

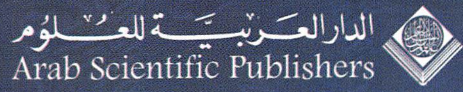
إسلام أون لاين.نت
www.islamonline.net

سلسلة مشاكل وحلول للشباب 13

هموم الأمة..

شباب يبحث عن حل

تقديم:
الدكتور يوسف القرضاوي



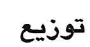
هذا الكتاب

- هذا الكتاب يفتح ملف الشباب وهموم الأمة-وهو ملف كاد يضيع على ألسنة اليائسين الذين لا يرون الشباب إلا غارقين في الجنس والأحلام الرخيصة، وهو محض انطباع قرروه دون دراسة أو تمحيص-من واقع الممارسات العملية والمشاكل الواقعية التي باح بها الشباب والفتيات لصفحة «مشاكل وحلول للشباب» بموقع islamonline.net، والتي يجيب عنها نخبة من كبار الأساتذة المتخصصين.
- وعبر صفحات هذا الكتاب يطالعك قطاع كبير من شبابنا لا ينقصه الوعي أو الاهتمام بدينه أو قضايا وطنه، ولكنه يتبدد جهده وتتشتت طاقته ببؤس ما يُطرح عليه من أفكار ساذجة وتصورات سطحية ومشاريع متواضعة أو شبه مستحيلة أو غامضة للتغيير والإصلاح، تجعلهم يدورون حول أنفسهم، ويضيع منهم الطريق، وتتشعب بهم الدروب والمسارات.
- وحاولنا دائماً في ردودنا أن نلفت النظر إلى المناهج والأساليب التي نراها مناسبة لمقاصد الشرع وروح العصر، ولطاقة الشباب ومرحلته السنية، وقدراته الذهنية.
- ومن بين مئات المشاكل الواردة لصفحة «مشاكل وحلول للشباب» ننشر في هذا الكتاب نحو 45 مشكلة مع ردود نخبة من المستشارين عليها.. مجتهدين أن تغطي هذه المشاكل المنتقاة علاقة الشباب بهموم الأمة.

سلسلة
مشاكل وحلول للشباب

سلسلة تهتم بقضايا الشباب، وتصدر بالتعاون بين «الدار العربية للعلوم» وشبكة «إسلام أون لاين.نت»، وقد صدر من هذه السلسلة الكتب التالية:

1- الحب الأول
2- الحب والخطيئة
3- الإنترنت والحب
4- اختيار شريك الحياة
5- سنة أولى زواج
6- من حواء لآدم
7- من آدم لحواء
8- العلاقات الحميمة بين الزوجين
9- الإنترنت والزواج
10- الطلاق.. آثار وعواقب
11- البنات.. حكايات وأسرار
12- الشباب.. حكايات وأسرار
13- هموم الأمة.. شباب يبحث عن حل
14- الدراسة.. عقبات وحلول
15- عواقب التحرش الجنسي
16- الجسد بين الصورة والمرآة
17- جحيم الوسواس






حي 1200 مسكن عم
الهاتف : 69 18 96
UMN.COM

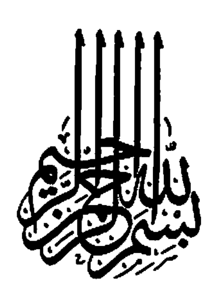


ص. ب. 5574-13 شوران 2050-1102 بيروت - لبنان
هاتف: 785107/8 (1-961+) فاكس: 786230 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

ISBN 9953-29-845-9


همـوم الأمـة..

شبـاب يبحـث عـن عمـل


بسم الله الرحمن الرحيم

همـوم الأمـة..
شبـاب يبحـث عـن عمـل

إعــداد:





ISBN 9953-29-845-9

الطبعة الأولى

1424 هـ - 2004 م



الدار العربية للعلوم
Arab Scientific Publishers

عين التينة، شارع ساقية الجنزير، بناية الريم
هاتف: 860138 - 785108 - 785107 (961-1)
فاكس: 786230 (961-1) ص.ب: 5574-13 - بيروت - لبنان
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

الترجمة: مركز التعريب والبرمجة، بيروت - هاتف 811373 (9611)

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)

الطباعة: مطبعة المتوسط، بيروت - هاتف 811385 (9611)

المحتويــات

الفصل الثاني الشباب وفلسطين

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم بقلم: أ.د/ يوسف القرضاوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

(وبعد)

فإن الشباب هو مرحلة القوة بين ضعفين: ضعف الطفولة، وضعف الشيخوخة، كما أشار إلى ذلك القرآن، في قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة﴾ [الروم: 54].. وهو من الحيوية الدافقة، والنشاط والتوثب، والأحلام والتخيلات، والعواطف والانفعالات، حتى عبر الناس عن ذلك قديما بقولهم: الشباب شعلة من الجنون!

ومن الشباب من هيأ الله له التربية الصالحة، والبيئة الصالحة، فنشأ نشأة سوية، لا عقد فيها ولا متاعب ولا مشكلات، فكان من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم: "شاب نشأ في طاعة الله تعالى".

ومنهم من لم يتح له ذلك، فنشأ في بيئة منحرفة ساعدته على الانحراف، فمشى في طريق الغواية، حتى يقيض له من يرده إلى الحق، ويوقظ فيه الفطرة السليمة، ودواعي الخير، فيعود إلى الله بعد شرود، ويتوب بعد عصيان.

ومنهم من ينشأ في بيئة دينية ملتزمة بشعائر الدين، ولكنها مليئة بالعقد والأمراض النفسية، والمشكلات السلوكية والاجتماعية، فتورثه خللا في السلوك، وتناقضا في الفكر، وحيرة أمام كثير من صعوبات الحياة.

ومنهم من ينشأ نشأ مترفة، نشئ في الحلية، أو ولد وفي فمه ملعقة من ذهب كما يقولون، فلما واجه الحياة وجد فيها وردا وشوكا، وحلوا ومرا، وهو لم يجرب لمس الشوك، بل هو كما قال الشاعر:

خطــرات النسيــم تجــرح خديــه

ولمـــس الحريـــر يدمـــي بنـــانـــه!

فماذا يفعل أمام خضم الحياة الزاخر بالأمواج والتيارات المتلاطمة؟

وشباب آخرون كثيرون حائرون: بين ما ورثوه من قيم وأفكار وتقاليد تنتمي إلى الإسلام، وما غزاه به الغرب المنتصر من قيم وأفكار وتقاليد أخرى تنتمي إلى حضارة أخرى: أي النجدين يختار؟

وإذا اختار طريق الإسلام - كما هو الطبيعي والمنطقي لمثله - فماذا يفعل أمام هذه المغريات المتواصلة مما يقرأ وما يسمع وما يشاهد، التي تهيج الغريزة، وتثير الشهوة، وتدفع إلى الفتنة؟

ومشكلات الحياة التي لا تنتهي: الدراسة.. والوظيفة.. والزواج.. والأسرة.. والمجتمع.. والسلطة.. والعلاقة بهذا كله، وما فيه من عقد تطلب الحل، ومشاكل تطلب العلاج، وأسئلة قلقة تنتظر الإجابة الشافية.

كل هذه الأمور هي التي جعلت إخواننا في (إسلام أون لاين.نت) ينشئون هذا الباب تحت عنوان "مشاكل وحلول للشباب" ليعقدوا صلة مع الشباب، ويفسحوا لهم المجال، ليفتحوا لهم الآذان لتسمع، والعقول لترصد وتعي، وتوازن وتحلل، وتضع لهم في ضوء الواقع وإمكاناته ما يعينهم على النهوض من عثرتهم، أو الجواب عن سؤالهم، أو المساهمة في حل مشكلاتهم، في ضوء معطيات العلم،

ورصيد التجربة البشرية.

وهم في هذا يستعينون بكل ذي خبرة من أهل الذكر على تنوع تخصصاتهم، من علماء النفس، أو علماء التربية، أو علماء الاجتماع، أو علماء الدين، أو المجربين والخبراء في شؤون الحياة، كما قال تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [الأنبياء: 7] ﴿فاسأل به خبيرا﴾ [الفرقان: 59] ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ [النساء: 83]

وأود أن أذكر هنا أمرا، ربما يكون له حساسية خاصة لدى كثير من الناس، وهو ما يتعلق بالجنس. فقد تعود الناس أن يعالجوا هذا الأمر بالكتمان والتغطية عليه، واعتباره أمرا لا يجوز الحديث عنه، أو الخوض فيه، لما فيه من خدش الحياء، ومنافاة الأدب العام.

وأود أن أقول: إن هذا لم يكن هو السائد في ثقافتنا الإسلامية، فالفقهاء يعرضون لهذه الأمور في كتاب الطهارة في نواقض الوضوء، وموجبات الغسل، والحيض والنفاس والاستحاضة، ويتعرضون لها في فقه الأسرة: في حقوق الزوجية، وفي العيوب التي يفسخ بها النكاح، وفي غير ذلك من الأبواب.

كما يتعرض لها المفسرون في تفسير آيات القرآن، كما في عدة آيات في سورة البقرة، ويعرض لها المحدثون في شرح الأحاديث الصحيحة الكثيرة التي تتعلق بهذا المجال. وكانت هذه الأشياء معروفة في المجتمع، وتمضي بيسر وسهولة، دون أن يشعر أحد بحرج منها.

وقد خصص أخونا الفاضل عبد الحليم أبو شقة رحمه الله في موسوعته (تحرير المرأة في عصر الرسالة) الجزء السادس للثقافة

الجنسية، والتربية الجنسية، فأحسن وأفاد.

المهم أن تعرض المشاكل الجنسية وحلولها في جو من الجدية والموضوعية والعلمية، بعيدا عن جو الإثارة والفتنة. وهذا ما أعتقد أن إخواننا في (إسلام أون لاين.نت) قد حرصوا عليه، وهو الموقف الذي يفرضه الإسلام، كما يفرضه العلم.

وقد رأى إخواننا أن نشر هذه الحلول والإرشادات نافع للقراء، ليتاح لأعداد أخرى ممن لا يتابعون الإنترنت أن يقرأوها، كما يتاح للجميع أن يقتنوها في كتب، فما زال للكتاب موقعه وأثره، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تقديــــم..

نحن – في فريق الحلول بصفحة "مشكلات وحلول للشباب" على موقع "إسلام أون لاين.نت" – لدينا مخاوف مستقبلية كثيرة، وأهمها خشيتنا من أن يختل إدراك الناس لدورنا ورسالتنا.

نخشى مثلاً أن يصفنا البعض أو يختصرنا إلى مجرد مصدر للثقافة الجنسية الصحيحة، أو يرانا آخرون مجرد منبر لعرض "الجنس على الطريقة الإسلامية"؛ وعليه فيبدأ هؤلاء أو أولئك في انتقادنا أو الدفاع عنا.

وليست عندنا مشكلة مع الجنس علماً أو تعليماً، أو تصحيح مفاهيم وممارسات، والحمد لله، ولكن بيت القصيد أن هذا التوصيف والإدراك لصفحتنا واختصارها إلى هذه المساحة وحدها يبدو لنا مشوهاً ومخلاً، ويستوي لدينا في ذلك القصور المادحون والقادحون.

ولطالما كررنا وقلنا: إن هذه صفحة لهموم الشباب وقضاياه – والجنس واحد منها، وإن شبابنا سألوا عنه وعن غيره، ونحن قد أجبنا عليهم حول الجنس وغيره، بنفس الوضوح والعمق والتفصيل، ولا يخلو من التقصير عمل بشر، وسيظل هذا منهاجنا بمشيئة الله..وربما تستمر نفس الشبهة رغم ردود أصحاب الإدراك الأشمل والأوضح والأوسع لصفحتنا ومحتوياتها كمّاً وكيفاً، ونرى أن هذا الكتاب سيساهم – بشكل عملي – في الرد على من يطرحون تلك الشبهة بين الحين والحين، وذلك بتركيزه على وجه آخر محدد من وجوه

الصفحة، ربما ضاع بين زحام المشكلات الأخرى.

وفي ملامح هذا الوجه المختفي سنجد الشباب المهموم بأمته يطرح أسئلة تتعلق بالأوضاع الاجتماعية والسياسية، وبالأحداث الجارية، ودوره فيها، سواء في قضية فلسطين أم في غيرها، وسنرى أن القول بأولوية الجنس في قائمة اهتماماته هو محض انطباع قرره البعض دون دراسة أو تمحيص ثم صدقوه، وذهبوا ينفون أو يؤيدون، يعذرون أو يسخطون، بينما الأمر برمته مجرد انطباع خاطئ من البداية.

في هذا الكتاب سنرى أن قطاعاً كبيراً من شبابنا لا ينقصه الوعي ولا الاهتمام بدينه أو قضايا وطنه، وأن اتهامه بالتفاهة والإهمال المزمن هو أيضاً من قبيل الخطأ، والاتهام الباطل الذي يطلقه البعض وتصدقه الأغلبية للأسف.

وسنرى أن هذا القطاع الكبير من شبابنا يتبدد جهده، وتتشتت طاقته بسبب ما يطرح عليه من أفكار ساذجة، وتصورات سطحية للدين والدنيا، ومشاريع متواضعة أو شبه مستحيلة أو غامضة للتغيير والإصلاح.. والنتيجة أن يدور الشاب حول نفسه، وأن يضيع منه الاتجاه الصحيح، وتتشعب به الدروب والمسارات، رغم صدق نيته ورغبته الأكيدة في العمل النافع لنفسه ولأمته، ولكن من قال إن النية الصادقة أو الرغبة الأكيدة تكفيان لتحقيق الأهداف، أو تغيير الأحوال؟!

وبنظرة فاحصة في هذه المشكلات وإجاباتها سنجد أن هناك حلقة مفقودة بين شلالات الحماس والطاقة المشتعلة، وبين استثمار

هذا الحماس وتلك الطاقة وتشغيلهما على النحو الذي يفيد من يحملهما قبل أن يفيد من حوله، وقد حاولنا أن نلفت النظر إلى بعض المناهج والأساليب التي نراها مناسبة لمقاصد الشرع وروح العصر، ولطبيعة طاقة الشباب ومرحلته السنية وقدراته الذهنية والعملية، ولا ندري حقيقة إلى أين وصلت هذه الأفكار في وعي القراء والمتابعين للصفحة..

ولا تبدو أفكارنا أو أصواتنا - حتى الآن - بنفس الجاذبية التي تتصف بها مشاريع أخرى تبدو أكثر ثورية، أو تبدو واعدة بتغييرات جذرية أكبر، بغض النظر عن واقعيتها، أو مشاريع أخرى تبدو أسهل أو أقل تكلفة من تأسيس جديد لأساليب غير مألوفة، أو أكثر تركيباً مما اعتاده شبابنا، ونرجو ألا ينال هذا من عزمنا وإصرارنا وثقتنا بأن الصحيح هو الذي يصح في النهاية، وإن استغرق الأمر وقتاً وجهداً، واحتاج التفهيم والتوضيح "أخذاً ورداً" وشرحاً وتفصيلاً، وهو ما يحتاجه أي تأسيس أو تجديد.

ولقد كان وما يزال وسيظل حرصنا مستمراً على ربط الأبعاد الفردية الخاصة لمشكلة القارئ، أو محنة السائل بالأبعاد العامة، أو الجوانب الأوسع اجتماعيّاً وثقافيّاً وسياسيّاً بحيث تظهر العلاقة الطبيعية بين الخاص والعام، أو الفردي والاجتماعي؛ فتتوازن الرؤية وتتضح الصورة وتتكامل.

وسنجد في هذا الكتاب بعض المشكلات ذات الطابع العام بشكل أوضح وأغلب، ولن نجد الكثير من المشكلات الخاصة التي تحمل أبعاداً عامة؛ لأن النوع الأول يمثل أكثر من 90 % من مجموع

المشكلات التي تعاملنا معها.

وإذا كانت صفحتنا قد كشفت عن هذا الوعي وذلك الحماس، فإن العمل لا يكتمل إلا بأن بتواصل الأفكار في فكر منتظم يحلل ويصف خطة العمل، ويعين على المزيد من الوضوح والإيجابية، والله الموفق.

د. أحمد عبد الله

مدير فريق "مشاكل وحلول للشباب"

بموقع Islamonline.net

الفصل الأول

الوعي السياسي

الفوز بالحسنين.. الأهل والشهادة

أنا شاب متزوج، ولديَّ طفل، متواجد في الولايات المتحدة لاستكمال الدراسات العليا. في ضوء علاقتي مع الشباب المسلم في أميركا أحس بالرغبة بالجهاد. والله لا أقول هذا تفاخرا، إنما أسعى للجهاد بالمال، ولكن والله إني أتطلع إلى الجهاد بالنفس.. ولكن بعد لحظة تفكير أجد أن الأمر صعب، وأن البعد عن الزوجة والطفل صعب..

مشكلتي هي: كيف يمكن أن أربي نفسي على الجهاد بالنفس؟ وكيف يمكن الالتحاق بفرق المجاهدين؟ وكيف يمكن أن ترضى أسرتي أن أفارقها، رغم أنني أقوم بتوفير الحياة المنعمة لهم بعد الله تعالى؟

خ – قطر

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أخي الكريم، إحساسك بالرغبة في الجهاد إحساس واجب على كل مسلم يحب الله ورسوله، هكذا يكون دائما قلب المسلم الحيّ، القلب الذي ينبض بالإيمان، والعالم الإسلامي اليوم يمر بمرحلة خطيرة وصعبة، تستوجب وقوف كل أبنائه معا للنهوض به، ولم تقتصر ساحات الجهاد اليوم على المناطق التي يحارب فيها المسلمون بالسلاح، بل لعل الحرب الاقتصادية ووسائل الحصار والتضييق على

بعض البلدان تكون أكثر خطورة وتأثيرا، لو نظرت إلى حال المسلمين أنفسهم لوجدت أنهم يحتاجون إلى جهاد من نوع خاص، جهاد الدعوة إلى الله تعالى، وإعادتهم إلى الإسلام من جديد.

ولكن دعنا من كل ما سبق، ولننظر إليك أنت يا أخي الكريم، إنك إن جاهدت أنت بنفسك واستشهدت فإنك قد تنال رضا الله تعالى وتفوز بالجنة، ولكن وحدك دون سواك إلا من تشفع فيهم يوم القيامة كشهيد، إنك بذلك لم تفعل شيئاً، بل اخترت أيسر السبل، وتركت المهام الصعبة والجسام لغيرك، بل وتركت المسلمين، لكن إن أنت جاهدت الكفر والفسوق والعصيان أينما كان؛ فقد يجعل الله منك هاديا لغيرك، وكما قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: "يا معاذ أن يهدي الله على يديك رجلا من أهل الشرك خير لك من أن يكون لك حمر النعم" [رواه أحمد]، وفي هذه الحالة ستنال أنت الجنة إن شاء الله تعالى وتجعل غيرك ينالونها، وبالطبع لك أجر كل من آمن والتزم بدين الله سبحانه.

هذه نقطة.. النقطة الثانية تتعلق بأهلك.. هل ترضى لنفسك يا أخي الكريم أن تدخل أنت الجنة، وتدع أهلك الذين قد يضيعون، ويكون مآلهم – لا قدر الله – إلى النار؟ هل ترضى هذا؟ يقول صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثما أن يضيّع من يقوت" [رواه أحمد]، وكما تعلم يا أخي فإن الذرية الصالحة تأتي بذرية صالحة، وقيامك بواجبك نحو عائلتك هو بمثابة قيامك بواجبك تجاه جيل بأكمله.

النقطة الثالثة والأخيرة هي في حكم الجهاد.. اتفق الفقهاء على أن الجهاد يكون فرض عين على أهل البلد الذين يقيمون فيه، ثم الأقرب فالأقرب، وأما باقي المسلمين فعليهم الجهاد الآخر؛ الجهاد

المالي – وهو الذي تقوم به بارك الله فيك – وجهاد الدعاية لهم ولقضيتهم، وجهاد الدعاء لهم.. وهذا هو دورك الحقيقي.. فلا تشق على نفسك يا أخي وابدأ بالجهاد الأصعب: جهاد النفس، محاربة الفسوق والعصيان، بالتي هي أحسن، وإعطاء المثل الأعلى في الخلق والعلم.. ودرجتك في العلم – والحمد لله – تؤهلك لذلك، وخصوصا مع غير المسلمين.

أما مسألة تربية النفس على الجهاد فجهاد النفس أول مراتبها؛ أن تكون دائما قريب الصلة بربك، أن تربي نفسك على ألا تكون لديك عادة، ألا تلزم نفسك بشيء لا تستطيع الاستغناء عنه، أن تبتعد عن كل ما يضر بدنك وصحتك، أن تتعلم رياضة بدنية تقوي جسدك وتجعلك دائما في لياقة بدنية جيدة؛ فإنك إن حققت كل ذلك تكون مستعدا للجهاد في أي وقت.. وأينا يستطيع ذلك؟! ولكن كل ما علينا بذل ما نستطيع، والله يعلم حالنا ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: 69].

أخي الكريم، كل ما عليك أن تعد نفسك للجهاد، وأن تقدم لإخوانك المجاهدين كل ما تستطيع من دعم، وأن تكون مثلا يحتذى لكل من حولك؛ فإن هدى الله بك امرء فإنه سيكون لك إن شاء الله تعالى أجر وجزاء المجاهد بنفسه في سبيل الله لتفوز بالحسنيين، تنال أجر المجاهد وتحفظ أهلك ومن تعول، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الشهادة بصدق بلّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه" [رواه مسلم]، وفقنا الله وإياك لما فيه الخير.

فيلم أمريكي مناهض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أنا أريد أن أثير موضوعا في غاية الأهمية.. تم مؤخرا عرض فيلم جديد في السينما اسمه "قواعد الارتباط". أنا حزين من هذا الفيلم ومستاء للغاية؛ لأنه آلمني ألما شديدا، وسيؤلم كل مسلم يغار على دينه الإسلامي. هذا الفيلم يهاجم الإسلام؛ فهو يبين أن المسلمين جماعة من الإرهابيين، وأن الإسلام دين إرهابي. فالفيلم يحتوي على مشاهد عن نساء مسلمات وأطفال مسلمين يحملون الأسلحة، ويضربون الناس في السفارة الأمريكية باليمن. وقالوا في الفيلم: إن المسلمين يؤمنون بوجوب قتل كل الأمريكيين في العالم؛ لأنه أمر من الله (هذا ما قالوه عبر الفيلم).. وأشياء أخرى كثيرة تجرح كل المسلمين في العالم.

نحن نواجه مشكلة كبيرة، ولا بد أن نفعل حيالها شيئاً. ملايين الناس يذهبون لمشاهدة هذا الفيلم ويأخذون انطباعا سيئا عن الإسلام. ففي هذا الفيلم ينقلون فكرة أن الجهاد الإسلامي هو المسؤول عن كل الإرهاب. أي مُشاهد للفيلم سيعتقد أننا إرهابيون. وهناك شيء آخر وهو أن الفيلم صوّر العرب على أنهم رعاع يعيشون في الصحراء ويعيشون في الزبالة، وأن معظم العرب والمسلمين يعيشون في جهل وأشياء كثيرة أخرى تؤذي.

أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك أرجوك أنا مقهور من الأفكار السيئة التي يلصقونها بالإسلام.. لا بد أن نفعل شيئاً. لا بد أن نوقف هذا الفيلم. إنهم يستخدمون حرب الإعلام، ولا بد أن ندافع عن

أنفسنا؛ فلا يمكن أن نراهم يحطمون ديننا ونسكت، إنها مهمتنا أن نجعل كل الناس في العالم يفهمون الدين الإسلامي الحق، آسف لرسالتي الطويلة، وجزاكم الله خيرا.

أحمد - فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أخي الفاضل، شكراً على اهتمامك وثقتك، ولعل سؤالك يفتح ملفا جديرا بالنقاش منذ فترة طويلة.. السينما الأمريكية يا أخي العزيز صناعة محترفة تبحث عن الموضوعات المثيرة للاهتمام العام، ولا تعتمد - غالبا - على بحث وموضوعية، ولا تهدف إلى تعليم الناس وتثقيفهم، بل إلى إقناعهم بصريا وذهنيا، وهي تهدف إلى ترويج الأفلام كسلعة رابحة، وأعتقد أنها ناجحة في هذا بامتياز، وهؤلاء هم منتجو السينما الأمريكية، وتلك هي أهدافهم بوضوح، ومن الواضح أن فكرة "الإرهاب الإسلامي" جذابة ورائجة، و"تبيع جيدا". هؤلاء هم.. فماذا فعلنا نحن؟!

بعضنا يحرم السينما من الأصل؛ "لأنها صور"، ولأن التمثيل حرام، وبعضنا يكتفي بالمشاهدة ثم الصمت، أو الاعتراض!!

للكاتب "فهمي هويدي" مقال في جريدة الأهرام نشر في موقع "إسلام أون لاين.نت"، وأرجو أن تصل معانيه إلى كل مسلم، وكنت قد اتصلت بالكاتب، ونقلت له رأيي حول مقال سابق عليه أشار فيه إلى مواقف الفاتيكان المتحيزة لإسرائيل على حساب العرب والمسلمين، وقلت له: يا أستاذ فهمي، اليهود وغيرهم يعملون على كل المستويات، ويضغطون سلميا واقتصاديا؛ ولذلك

تأتي النتائج في صالحهم غالباً في مقابل كسلنا نحن واستسلامنا لمقولات تصلح لتبرير القعود المخزي، ولكنها لا تصلح واقعا معوجا بحال من الأحوال، وتحدثت معه طويلا عن أمثلة كثيرة على نشاطهم وتقاعسنا؛ فكتب - بارك الله فيه - مقاله الذي أحدثك عنه بعنوان: "متقاعسون لا ضحايا"، وأرجو أن تحصل عليه وتقرأه.

أعود إلى الفيلم لأقول لك في نقاط:

- انطلقت خلال الأيام الأخيرة في أميركا حملة رفض وتنديد، ومظاهرات اعتراضا على الفيلم المذكور، وأرجو أن يكون في هذا ما يشفي صدرك.
- ليس الإسلام بالفكرة البسيطة أو الصرح الهش حتى ينال منه فيلم أو رواية أو كتاب، هذه أحجار يلقيها البعض في المحيط.. فهل ستنال منه؟!
- المشكلة ليست في الآخرين من الأميركان وغيرهم؛ فهم يعملون على شاكلتهم ولأهدافهم.. المشكلة فينا نحن، ولذلك نحتاج إلى فهم أنفسنا وذواتنا، ومعرفة العالم من حولنا لنتفاعل معه على نحو مؤثر (وهذا لا يحدث) قبل أن نتحدث عن تشويه صورتنا من طرف الآخرين.
- ربما تكون نقطة البدء أن يراجع كل منا نفسه وموقعه من دينه، ومن عالمه الصغير المحيط به مباشرة، ثم عالمه الواسع، وأنصحك بهذا؛ فهو أولى وأجدى من كل نوبات الصراخ التي تعودنا على الاشتراك فيها "دفاعا صوتيا عن الإسلام".
- رسالتي لك وللمسلمين جميعاً أن يكونوا نافعين ولو في مجال محدد من المجالات، وليقف كل منا على ثغرة يحسن فهم معالمها، وطبيعة التنافس أو التدافع فيها، ويقدم شيئاً مفيداً بدلا من الاعتراض على الآخرين؛ فهو بمثابة دعاية مجانية لهم.. وشكراً.

الشباب والتحدي.. الأب أم العصر؟!

إخواني، أنا أعيش مشكلة مع أبي الذي لا يرضى عني أبدا، رغم أني لم أطلب مالا ولا زواجا، ولكن طلبت الذهاب للجهاد والشهادة في سبيل الله. إنني أعيش في تعاسة دائمة، والوضع العام في بلدي هو علماني يحارب الدين والمتدينين، ويعيش في البدع والمنكرات، ونشعر - أنا وشباب كثيرون - أننا غرباء في وطننا.

إنني أملك محلا، ولكنني أصبحت أكره العمل فيه، وذهبت مع جماعة التبليغ والدعوة، فرفض ذلك أبي، وتحركت مع جماعة أخرى فرفض أيضاً، وهو يرفض كل صديق أصادقه، ويعيرني أمام إخوتي الصغار بقوله: يا بنت.. يا خنثى.. يا عاق؛ حتى كرهني إخوتي بسبب هذا، ووصل به الأمر إلى أن منعني من أداء العمرة في رمضان، بعد أن كان قد وافق بالفعل، ولكنه عاد وتراجع في اللحظات الأخيرة.

... - تونس

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ العزيز، شكراً على ثقتك بنا، ومصارحتنا بهمومك الشخصية، ونرجو أن نكون عند حسن ظنك.

ما تشكو منه شائع في مجتمعاتنا العربية بصور مختلفة، ودرجات متفاوتة منذ أن بدأت "الظاهرة الإسلامية" في البزوغ

والتصاعد في نهايات الستينات وبدايات السبعينات، ويتكرر ما تشكو منه أكثر حين تضيق الأحوال السياسية في هذا القطر أو ذاك، وتصادر الحريات العامة، ويعتبر كل عمل سياسي مناهضا بالضرورة، إنها الأجواء التي تشبه ما كان سائدا في ظل الأنظمة الشمولية التي انهارت الواحد تلو الآخر، وهكذا المستقبل بإذن الله؛ إذ ليس للاستبداد أو القهر أو تكميم الأفواه أو عبادة الأصنام البشرية مستقبل في عالم الغد، أو هكذا نأمل، ونحسن الظن بالله.

المسألة إذن تتجاوز مجرد الصراع بين ابن شاب وأب متسلط إلى لحظة تاريخية معينة في أماكن معينة ما تلبث أن تتغير معالمها بإذن الله، ولكن عموم البلوى لا ينفي أن نتناول مشكلتك الشخصية بعد أن وضعناها في الإطار العام الأوسع.

يا أخي اسمح لي أن أوضح لك كلا من موقفك وموقف الوالد: أما عن موقفك فأنت شاب تحب أن تكون لك حياتك واختياراتك الشخصية أخلاقيًا واجتماعيًا، وربما سياسيًا، وهذا حقك، وقد اخترت أن تعيش هذه الحياة، وتحقق هذه الاختيارات استنادا إلى العقيدة التي تؤمن بها، وما ينبثق عنها من مفاهيم، وما تولد عن هذه المفاهيم من تجمعات وحركات. ومرة أخرى فإن هذا من حقك.

أما والدك فهو يرفض هذا لسبب أو لآخر، أو للأسباب التالية جميعاً:

- محاولتك للاستقلال والتميز تصطدم بنزعة الأبوية المسيطرة التي تزداد في مجتمعاتنا لأسباب ليس هنا مجال الاستطراد فيها؛ ولذلك فإن "الاستخفاف" بحق الشاب في الاستقلال وممارسة حقه في الاختيار هو النزعة السائدة، ومنه التهكم المستمر على

اختياراته ومحاولاته التي قد تكون بالفعل غير ناضجة، أو غير مدروسة بشكل كافٍ "بحكم خبرته المتواضعة في الحياة"، والقليل من الآباء والأبناء يستطيعون إدارة هذه المرحلة الحرجة؛ مرحلة تسليم الزمام، ومقاليد التصرف في الحياة، والصعوبة تتضاعف؛ لأنه لم يحدث تدريب متدرج من الأب لتنمية خبرات ومهارات ابنه في التعامل مع الحياة، كما لم يحدث تدرب من الابن في نفس مجال حسن التعامل والتحايل مع الأب للحصول على ما يريد، وحين تغيب عقلية التفاوض والتحاور؛ فلن يكون هناك بديل سوى العنف الذي يستخدمه الأب في صورة المنع والتسلط والسخرية، ويمارسه الابن في صورة التمرد والرفض، والصدام مع رأي الأب، ولو كان يحمل بعض الوجاهة.

- هذا الوضع الذي شرحته توّا موجود في كل زمان ومكان. يزداد الأمر اختلاطا وصعوبة في مثل حالتك لنصبح أمام شبكة من الخيوط المتداخلة: الابن ساخط على التسلط ويريد التحرر وممارسة حقوقه ومهام عمره ونضجه، والأب يقاوم هذا بكل الوسائل، وفي مواجهة سلطة طاغية بالمعنى الأسري والسياسي يرفع الابن راية الجهاد والاستشهاد، ويرفع الأب في مواجهته راية الخوف على مصلحة الابن، وتأمينه ضد العسف، وقسوة الأجهزة الأمنية وملاحقاتها لكل صاحب رأي مخالف لما تراه.
- الآخرون تختلط عليهم المسائل؛ فأحياناً يتعاملون مع المشهد بوصفه خلافا بين ابن متمرد وأب عاقل، وأحياناً يرونه قهرا وتسلطا من أب على ولده، وتبقى الخلفية السياسية للنزاع ماثلة أمام العيون، كامنة في النفوس بوضوح، ولو لم يتحدث عنها

أحد، وتدخل أطراف أخرى من جماعات الأصدقاء والجيران - كبارا وصغارا - بعضهم يصب الزيت على النار، والآخر يحاول التهدئة دون أن يملك القدرة على التحليل والتبصير والتوضيح، والنتيجة استمرار التشاحن حتى يمل الأب أو ينخلع الابن من مدار التحكم والسيطرة، أو تتحسن الأحوال الأسرية أو السياسية؛ فيصير مسموحا ما كان بالأمس ممنوعا.

وأقول لك يا أخي ولأمثالك:

أولاً: ما مفهوم الجهاد؟ وهل صبرك في موطن البلاء، وأعمالك كتاجر أمين، وكإنسان يسعى إلى تثقيف نفسه، وتوعية غيره، وينشر الخلق القويم بالقدوة والعمل الصالح قبل الكلمة والموعظة، ويقيم بيتا يكون مرفأ للناس؛ المحتاج منهم، وطالب الحكمة، والعلم، والأدب، ويصبح بسلوكه وتعامله مع الناس جميعاً كالنجم يُهتَدَى به في ظلمات ما أسميته بالبدع والمنكرات.. هل هذا كله ليس جهادا؟!

إلا أن هذا الجهاد هو الأصعب، ولقد رأيت إخوانا يسهل على أحدهم أن يبذل نفسه له دفعة واحدة في ميادين القتال، بينما يضيق صدره، وتظهر ثغرات نفسه، وعورات أخلاقه حين يكون المطلوب صبراً وثباتاً في مواطن البلاء وهي كثيرة.

يا أخي، لا ينقص أمتنا المزيد من الشهداء بقدر ما ينقصها علماء وحكماء وأدباء يعيدون لها ما انهار من ذاتها الحضارية، ومكانتها بين الأمم، وهذا ما يحتاجه كل قطر في بلدان المسلمين، فلا تجعل مرارة تسلط الوالد، وقلة حكمته في التعامل معك، تعمي عينيك عن إبصار الحقائق المتعلقة بواجب الوقت - المطلوب من المسلم حاليا - إلى هدف جليل بلا شك، ولكنه ليس واجب الوقت في حقك أنت.

ثانياً: من يملك المال يتحكم في القرار، واستقلالك المادي هو مقدمة لازمة لاستقلال قرارك؛ فهل لديك خطة لهذا الاستقلال المادي؟! وهل لديك خطة للاستقلال الأسري النسبي الذي يحصل بالزواج، والانتقال إلى بيت تكون أنت المسؤول فيه ماديًا ومعنويًا؟ أقول هذا لألفت نظرك إلى أن الكثير من غلواء الآباء في معارضة إرادة الأبناء يخف باستقلال الأبناء بتكوين أسرهم الصغيرة؛ لأنهم يرون – ومعهم بعض الحق – أن هذه الأسر ستكون سبيلا للنضوج الحقيقي، وممارسة أدوار أكثر رشدا في الحياة.. فما هي خطتك في ذلك؟!

ثالثاً: في مرحلة التطور الاجتماعي والسياسي لأغلب مجتمعاتنا التي تعاني الاستبداد والقهر قد يكون الجهد المطلوب في بلدان معينة ليس هو الانضمام لهذا الفريق أو ذاك بمقدار ما هو السعي الجماعي المتواصل لتأسيس قواعد حقيقية وقانونية يحترمها الجميع لممارسة التعددية الثقافية والسياسية وكافة الأنشطة العامة الأخرى. إن إعادة تأسيس قواعد وقوانين اللعبة تبدو أهم من اللعب مع هذا الفريق أو ذاك في هذه المرحلة، وإعادة التأسيس هذه هي ما تسعى إليه بعض المنظمات والجمعيات الناشطة في إحياء المجتمع المدني، ومنها روابط حقوق الإنسان وأمثالها.. فما هو موقعك من هذه الجهود الهامة التي أعتقد أنها أهم من الجهاد متى صلحت النية؟

رابعاً: إن الأوضاع في بلدك وفي سائر بلادنا تسير إلى التغيير – آجلاً أو عاجلاً – مما سيطرح مجموعة من التحديات تختلف عمّا تعودنا عليه، ويبدو أننا مصرون على الاستغراق في الماضي والحاضر المرتحل، دون النظر إلى مستقبل أصبحت معالمه أوضح،

وتحدياته تحتاج إلى استعداد ووعي يبدو أننا نفتقد إليه جميعاً بدرجات.

وأنهي موضحا أنه لن تكون طبيعة معارك الغد القريب على شاكلة معارك الأمس، والميادين ستكون مختلفة عما ألفناه؛ ولذلك يبدو تحديد مفهوم الجهاد هامًا في هذه المرحلة، وفهم طبيعة الإمكانات التي يطرحها هذا المستقبل القريب وطبيعة التحديات التي تكتنفه أساسيًا لنصرة الإسلام، ولتكون كلمة الله هي العليا في عصر مختلف، إنه التحدي المطروح على قوة بحجم وأهمية "حزب الله" في لبنان مثلا.. فهل سننجح في فهم العصر الحالي وجهاده؟

خامساً: أود أن تبقى على صلة بنا، وأن تخفف من صدامك مع والدك؛ لأن فيه استنفادا لكثير من الجهد والطاقة فيما لا طائل من ورائه، والزمان كفيل بتجاوزه، وصراعك الحقيقي يا أخي، ليس مع الوالد – رغم أنه يبدو كذلك – ولكن مع وقتٍ "هو حياتك" ينبغي أن تتعلم فيه أشياء كثيرة، وتستعد لما بدأ بالفعل من تحولات جذرية في مسار الحياة محليًا وإقليميًا ودوليًا. وشكراً لك.

لمن أنتمي:

التاريخ والأيدلوجيا.. الشباب والسياسة؟

لا أعرف ما إذا كان يجب أن تقتصر مشاكل الشباب في هذه المرحلة بالذات على المشاكل الجنسية، ولكن الذي أعرفه أنني أختلف عن غيري ولربما هنا تكمن المشكلة.. حسنا.

مشكلتي: أنا أعيش في فلسطين المحتلة، وأنتمي إلى حزب سياسي يقوم على مبدأ قومي، ويعيد بناء التيار الناصري المتهدم بطريقة نقدية.. المهم أنني انضممت إلى هذا الحزب منذ سنتين أو أكثر، وهو حزب في طور البناء، وقد لاقى بين أوساط المجتمع قبولا كبيرا، وهذا الشيء طبعا أسعدني، وقد أخذت من صورة جمال عبد الناصر مثلي الأعلى، وبنيت له صورة الرجل المخلص الذي سيعود يوما ويخلصنا (مع أني لم أشهد عهده، ولكني قرأت عنه وأخبروني عنه).

وقد طرحنا ضمن هذا الحزب مبدأ: "الدين لله والوطن للجميع" كمبادرة لإعلان الأخوة والوحدة بين الإسلام والمسيحيين بعد الخلافات الأخيرة، وذلك لتوحيد صفوفنا أمام المحتل الصهيوني.

والأمور هنا تسير بخير حتى وصلت إلى مفترق طرق، وسألت نفسي: إلى أين أنا أمضي؟ عن أي قومية أتحدث؟ أليس الإسلام هو الحل؟ أليس تحرير فلسطين على يد الإسلام؟ "واهتزت زنزانتي" عندما تحدثت مع أحد الرجال النشيطين في حزب إسلامي أصولي، جاءني بالبراهين أن جمال عبد الناصر لم يكن سوى ديكتاتور استطاع أن يخدع

الناس ويوهمهم، أنكرت في البداية، وناقشته، وحاولت إثبات العكس له، ولكن في قرارة نفسي كنت أشعر أنني مخطئة.

المشكلة الآن أني لا أستطيع أن أترك الحزب؛ لأنني أشعر أنني ساهمت في بنائه، وأنه نهج جيد بدلالة التفاف الناس حوله.. ومن جهة أخرى اهتزت صورة هذا الحزب ونشاط قائده والعلاقات التي تربطني مع أعضائه في أعماق نفسي؛ لأني أعرف أن الإسلام وحده الذي سيحرر هذه الأرض، وأن "الإسلام هو الحل".

ما العمل، والوالدان أعطياني حرية الانضمام السياسي ولم ينصحاني بشيء؟. قد لا تجيبون عن هذه المشكلة التي أعتبرها أهم من مشاكل أخرى، ولكنني ما زلت أرى أن مشاكل الشباب تبدأ من هنا: من معرفة الذات. ولا أطلب على أي حال رأيًا سياسيًا أو تحيزا معينا.. المطلوب هو مجرد إرشاد، وشكراً.

هديل – فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الابنة الكريمة، رسالتك ستحتل مكانا متميزا بين الرسائل؛ لأنها تناقش قضايا هامة ومتشابكة رغم بساطة ووضوح أسلوبها؛ فجزاك الله خيراً.

تعالي نحاول مناقشة النقاط الأكثر أهمية:

الإسلام والقومية: باختصار هناك قومية لا تتعارض مع ثوابت الثقافة والتاريخ والحضارة السائدة في أمتنا، وهناك قومية علمانية في تفاصيل فهمها وممارستها.. هناك قومية تطرح صيغا تجمع وتوحد

الأمة بطوائفها ومذاهبها مع الحافظ على أصولها، وهناك قومية تجعل الخيار صعبا حين تضع الدين في كفة، والوحدة في كفة أخرى، وهو تقسيم خاطئ أو خبيث.

وجدلية الدين والقومية هي مسألة يطول شرحها، والمساحة المشتركة اليوم بين الإسلاميين والقوميين صارت أوسع من ذي قبل، بل إنها وصلت إلى التحالف السياسي، والتقارب الفكري في أكثر من مناسبة وموقف، والقفز فوق هذا الرصيد أو تجاهله لا يبدو واقعيا ولا مفيداً.

وعلى أرض الواقع في فلسطين عرفت د. عزمي بشارة وهو مسيحي الديانة، قومي الأيدلوجية. والناصرية في حالة بشارة وآخرين – في تصوري – كانت حلا ذهبيا للتناقض الشائع بين العروبة والإسلام، أو بين الدين المختلف والوطنية الواحدة، دون إهمال لأهمية الإسلام كمناخ ثقافي وحضاري، وروح تصبغ منطقتنا بصراعاتها وتاريخها. وقد قابلت شبابا من حزبه، وأعجبتني نظرتهم لمسألة الدين والتدين، وخلاصتها أنه بغض النظر عن التزام كل واحد منهم بدينه على المستوى الشخصي فإنهم يدركون أن للصراع بُعدا دينيا، من الخطأ إهماله أو تهميشه مع الاحتفاظ بحق الاختلاف السياسي مع من يحملون الأيدلوجية الإسلامية، وأتمنى من كل قلبي ألا يضيع هذا الموقف الراقي في أتون التنافس السياسي الذي طالما أصابت شظاياه ثوابتنا بأضرار بالغة.

عبد الناصر.. الاختصار المخل: لا يمكن فهم التاريخ بطريقة "أجب بنعم أو لا" على الأسئلة التالية.. كما أنه من الخطأ اختصار دروس التجارب في تعبيرات مقتضبة.

وتجربة مرحلة الرئيس "عبد الناصر" من أهم التجارب في تاريخنا المعاصر، وتلخيصها في صورة المُخلِّص الذي سيعود أو الديكتاتور الذي

خدع الناس من قبيل العبث الذي ينبغي أن يرتفع عنه الجادون، وأزعم أن كثيراً من الذين انتقدوا عبد الناصر قد وقعوا في أخطائه نفسها حين آل لهم الأمر، وأزعم أن أغلب الذين يتغنون باسمه، ويهيمون بحبه لا يدركون حتى الآن كيف يمكن فهم تجربته، ليس لإعادة إنتاج أشكالها، ولكن للبدء من حيث انتهت، مستوعبين الدرس، قادرين على التجاوز والتطوير بما يتلاءم والعصر الذي تغيرت فيه أشياء كثيرة.

ولا أريد أن أتورط فيما حذرتك منه، وهو إصدار حكم مختصر، أو كتابة تقرير موجز على تجربة تستحق أكثر من مجرد الحب أو الكره، ولكن يبدو أننا ما زلنا نستسلم للعواطف لتقودنا حيث تشاء.. والمشكلة أن الشعارات البراقة تعيش لفترة، ولكنها ما تلبث أن تصبح مجرد ذكرى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يتعلمون.

الانتماء الأيدلوجي.. مميزات وعيوب: وما زلت ألفت نظرك لزوايا أحببت أن تتضح أمام عينيك، ومنها أن الالتزام الحزبي أو الأيدلوجي له مميزات وله عيوب، بغض النظر عن الاتجاه الذي تختارين؛ فكثيرا ما يتعارض الالتزام الحزبي مع التحرر الفكري، والموقف الأيدلوجي مع الإدراك الفردي للواقع والأحداث، والعقلية الجمعية التي هي أساس العمل الحزبي أو التنظيمي تريد أن تكون مجموعا مضاعفا لنتاج جهد وإبداع الأفراد، فإذا بها تتحول أحياناً إلى قوالب تحبس المواهب المتنوعة بطبيعتها في أنماط وبرامج بعينها، وقد يكون الانتماء الأيدلوجي هو الخيار الأفضل في مرحلتك السنية حتى يتحقق لك قدر من النضج الفكري والنفسي، تقررين معه الاستمرار في قلب الهيكل الحركي أو السباحة إلى ضفافه لإنجاز مهام قد يصعب القيام بها وسط التيار الهادر لأمواج الحركة مدا وجزرا.

الانتماء الأيدلوجي يكون بمثابة قشرة البيضة التي تحمينها حتى ينضج المحتوى، ولكن هذا النضج أحياناً لا يجد سبيلا للاكتمال إلا بكسر القشرة بعد حين!

ولا يعاني أصحاب الانتماء الأيدلوجي عادة من مشكلات الوحدة أو الفراغ أو الشعور بفقدان الهدف والجدوى أو اضطراب الهوية النفسية، ولكنهم يعانون من نوعية أخرى من المشكلات أشرت إلى بعضها فيما تقدم توّا من سطوره.

الأنوثة الحائرة: لا أستطيع أن أتغافل عن كونك أنثى مع ما يعمله هذا – في حد ذاته – من تحديات حين تتدرجين في أي من التيارين!

رغم الشعارات الجميلة لدى الجميع عن المرأة ومشاركتها، وأهمية دورها النضالي كل بحسب قاموس مصطلحاته وديباجاته؛ فإن التاريخ القريب والبعيد يقول: إن المسألة ليست سهلة؛ أعنى أن تنشط أنثى، وتنتعش ملكاتها، وتتطور دون مضايقات.. والنماذج الناجحة تظل قليلة للأسف ولا يقاس عليها.

ولا أقول هذا من قبيل تثبيطك.. بالعكس.. فلو تابعت صفحتنا على موقع "إسلام أون لاين.نت" فستعرفين موقفنا من حركة المرأة في المجال العام للمجتمع، والتي نرى أنها أصيلة من حيث المبدأ، وإن كانت متنوعة من حيث الدرجة، وشكل الدور بحسب ظروف كل امرأة: العمرية والاجتماعية والمهارية مثلما هي في حالة الرجال تماما، حين يتحدد دور كل واحد بحسب ظروفه وإمكانياته وملكاته وقدراته.

قد تجدين في أوساط الإسلاميين من يضيق بوجودك من باب أن الأصل هو أن تجلس المرأة في بيتها فلا ترى أحدا ولا يراها أحد.. وقد تصادفين أشياء أغرب وأكثر إيلاما.

وقد تجدين في أوساط القوميين مثل هذا، أو غيره من مضايقات، أعفيك من ذكرها حرصا على مشاعرك، وعليك أن تكوني مستعدة لتوقفي كل متطفل عند حده، والرد عليه بما يليق من منطق حاسم وهادئ حتى يرى الجميع فيك العقل والإبداع، كما يرون الجسد الذي قد يتبرم فيه البعض، ويتحرش به آخرون!

وبعد.. فقد نكون لم نجب على ما يبدو أنه سؤالك، وهو إلى أي الأحزاب تنضمين؟ ونرى أن كل اختيار له عيوبه ومميزاته، ونحسب أنك إذا استوعبت المعاني التي ذكرناها لك هنا؛ فلا يضيرك أن تكوني حيثما شئت، ولا تخجلي من الحركة بين هؤلاء وهؤلاء، لعلك تكونين في أوساط القوميين صوت التنبيه الدائم إلى أهمية الإسلام كونه روح ثقافة هذه الأمة، ورافد فلسفتها وازدهارها، أو أن تكوني بين الإسلاميين داعية تستوعب الاختلافات في الدين والأيدلوجية بحيث تتوجه فوهات البنادق في الاتجاه الصحيح.

ولا يكون هذا إلا بنضج في فهم الآخرين وتقديرهم، ووضع الخلاف معهم في حجمه ومستواه، وقد تحسمين في ضوء ما تقدم انتماء ينحاز لأحد الفريقين.. وكل ما نرجوه أن يكون انتماء واعيا قوامه الطاعة المبصرة.

وتوجد مقالة في صفحة "حدث في العام الهجري" و"مجاهيل ومشاهير" بموقع "إسلام أون لاين.نت" بعنوان "جمال عبد الناصر"، نرجو منك الاطلاع عليها لمعرفة المزيد من التفاصيل عن ذلك الزعيم السياسي.

لمن أنتمي:
التاريخ والأيدلوجيا (مشاركة)

الأخت الكريمة، قرأت سؤالك والإجابة عليه، وعندي مشاركة بالنسبة لمشكلتك:

إن كان الأمر يتمثل في الحيرة بين أي الأمرين أو الطريقين تختارين، فيمكنك دراسة هذا الأمر دراسة موضوعية بحتة مع تجنيب العوامل العاطفية والبعد عن اتباع الأهواء وإخلاص النظر والتفكير مع إعمال العقل، دون النظر إلى أي اعتبارات أخرى كالمزايا المادية أو المعنوية التي تعود عليك من جراء انضمامك لهذا الحزب.

ويكون ذلك بجمع المعلومات من المصادر الصحيحة الموثوق بها التي تطمئنين إليها، والقراءة حول منهج وتاريخ كلا الاتجاهين حتى تستقري على أي الأمرين تختارين، ويمكنك الاستعانة بقسم "استشارات دعوية" بموقع "إسلام أون لاين.نت" لمعاونتك في هذا الأمر.

والتفاف الناس حول اتجاه ما ليس ذا دلالة كبيرة على صحة هذا الاتجاه، وما رأيك في المبادئ الشيوعية الرنانة التي تهدمت وانمحى أثرها بعد أن التف حولها الكثيرون؟!

أما إن كان الأمر محسوما لديك، وقد استقرت نفسك على التغيير فعلاً؛ فالأمر لا يحتاج إلا إلى لحظات من الإخلاص والصدق مع النفس والثبات على المبدأ والتضحية بالمغريات والشكليات.

والتاريخ زاخر بآلاف الأمثلة من الرجال والنساء الذين غيّروا مبادءهم ووجهتهم في هذه الحياة، عندما علموا بخطأ ما كانوا عليه وبصحة الطريق الذي يعتزمون التوجه إليه.

ومن المعلوم أن هذا التغيير سيقتضي تحمل بعض الصعوبات والمشقات، ولكن ألا ترين - مثلا - أن من يسعون إلى تغيير دينهم يواجهون أشد ما يواجهه من يسعون إلى تغيير بعض آرائهم أو أفكارهم أو توجهاتهم بكثير؟وفكري في الأمر مليا قبل اتخاذ القرار.

هديل – فلسطين

الخروج عن ملتنا..
يسمونه المجتمع المدني

هذه مشاركة على مشكلة "بعض الآلام في بلاد العم سام" التي تشكو صاحبتها من كرههم للعرب لكونهم منافقين في رأيها، دفعتني هذه المشكلة للحديث عن أحوالنا، وعن فكرة قد تفيد أصحاب العقول والهمم؛ فنحن نرى الكارثة مستمرة في بلادنا العربية من انحطاط في شؤون ونظم الحياة الإنسانية ومن انتشار الأمية والجهل والفقر، وعدم توافر الحرية أو العدالة، واحترام القانون، وهبوط مستوى التفكير والثقافة... إلخ.

في حين نجد في الغرب أن كل فرد تقريباً يكون عضوا في جمعية معينة بحيث تجتمع الجهود، نرى في أمتنا الإهمال في جمع الطاقات لدى كل المستويات من بني أهلنا، وملتنا تتكلم أكثر مما تعمل عملا مفيداً، وعندنا فإن تجميع الجهود يمكن اعتباره أحياناً نوعا من الخيانة أو التمرد.

أنا لا أقصد تجميع الجهود من أجل الفوضى أو القتل أو التغيير بالعنف وارتكاب الجرائم، ولكني أعني العمل الجماعي لصالح الإنسان المظلوم والمحروم، واليائس والحزين، ومن أجل أن يكون للإنسان الفاعل هدف واهتمام، إننا نحترم الأجنبي في بلادنا، ونستذل المواطن، بل قد نلاحقه في مهجره، بينما الأجنبي يعيش سيدا حيثما يحل في بلادنا، في كل مكان، وهذا بسبب النظام في عالم ما يُسمى بالعم سام وغيره.

سؤالي هو: هل يمكن للذين لديهم الفكر والطاقات من أبناء جلدتنا في الخارج والداخل أن يفكروا ويعملوا؟ فلا تتولد طاقة الفعل إلا بالاجتماع على الهدف الواضح.. والمبادرة الصحيحة تبدأ من أهل الإمكانيات والقدرات، وليس من القاعدة الفقيرة الغارقة في المشكلات. والسلام عليكم.

منصور - ...

الحل

المستشار: د.أحمد عبد الله

أخي الكريم، أنت أتيت بالخلاصة، ومن الآخر - كما يقول المصريون - ونحن في صفحة "مشاكل وحلول للشباب" حين نتحدث عن حل أو حلول عملية عامة، فإنما نقصد تماماً ما تتحدث أنت عنه هنا من تجميع للجهود المخلصة البسيطة من أجل تغيير الأحوال والأوضاع الاجتماعية والثقافية، وهي فكرة وصيغة معروفة ومجهولة في الوقت ذاته عندنا في أوطاننا!!

هذه الهياكل والأعمال يسمونها في الغرب "المجتمع المدني"، وهي صيغة معروفة تاريخياً، عرفناها منذ القدم حين أمر ديننا الناس بالتكافل وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تنفر من كل فرقة طائفة ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم... إلخ.

فكرة تكوين الجماعات والمجموعات من الناس لخدمة الأهداف الجزئية لمقاصد هذا الدين في العيش والمشكلات التي تقابل الناس في حركاتهم وحياتهم، هذه الفكرة قديمة ونابعة من الشرع، ومتواصلة في التاريخ، تتخذ أشكالا متنوعة تتطور أحياناً، وتتحسر أحياناً أخرى، وما زالت هذه الفكرة تصنع كيانات تتنوع في أشكالها

وأهدافها وأسمائها، ولكن فاعلية هذه الأفكار والهياكل أصبحت مشلولة، عاجزة لأسباب برعت أنت في تحديدها ببساطة وعفوية أذهلتني..

فمن ناحية قامت الدولة الحديثة في أوطاننا على أنقاض تدمير هذه الكيانات؛ لأنها رأت فيها تهديدا لقوتها وسطوتها، ومنافسا لجهاز الدولة حين تتجمع الطاقات في كيانات لا تقع تحت سيطرة السلطة، ومن ناحية أخرى فإن بعض هذه الكيانات قد أضافت إلى برامج عملها حديثا مهمة تغيير الأوضاع السياسية، ومنافسة الأنظمة القائمة؛ فجمعت بين التخصصات الاجتماعية، والمشكلات الحياتية المختلفة، وبين غرض الوصول إلى السلطة الذي له - في الأصل - طرقه وأساليبه وأصوله، وفي مرحلة تالية تأكدت الظنون الآثمة التي كانت لدى السلطات من أن هذه التجمعات هي بالضرورة مناهضة لسطوتها، وخارجة عن سيطرتها؛ فوضعتها في مربع العداء، أو على الأقل "عدم الترحيب".

ثم دخل الغرب على الخط حين اكتشف أن أسلوب العمل، وتجميع الطاقات في هذه الكيانات الأهلية هو أسلوب جيد ومفيد، وبدأت موجة الاهتمام بالعمل الأهلي، وتلك الهياكل والدوائر المجتمعية تزداد وترتفع في أميركا وغيرها، ووصلت إلى آفاق واسعة ومذهلة في النمو والنظام.

أما لدينا فالحابل يختلط بالنابل: فتجد من الجمعيات التقليدية القديمة ما يعمل في مجالات، مثل: مساعدة الأيتام، ودفن الموتى، وتحفيظ القرآن، أو تزويج الشباب، وتجد من الجمعيات الجديدة ما يهتم بقضايا، مثل: حقوق الإنسان، والتنمية بمجالاتها المختلفة، والبيئة، وحوار الثقافات.. وغيرها من عناوين الأجندة التي ينشغل

بها الناشطون والمثقفون، وجمهرة من أسميتهم أنت بأهل الإمكانيات والقدرات في عالم اليوم.

وهذه الأنشطة - التقليدي منها والحديث - ينظر إليها كل صاحب غرض نظرة تتفق مع أغراضه؛ فالباحثون عن التغيير السياسي ينظرون إلى هذه الكيانات كأبواب خلفية للتسلل إلى العمل العام؛ لأن الطرق السياسية الحقيقية مسدودة!

والسلطة تتابع هذا؛ فيتلاقى خوفها القديم مع علمها المتجدد على تأكيد الشكوك والمخاوف، فتجتهد في تكبيل هذا الهامش الاجتماعي؛ حتى لا ينفذ منه الخصوم!! ولكنها أحياناً تترك له بعض المجال المحدود ليتنفس، ويساعد في تحسين أحوال الناس الغارقين في المشاكل، كما وصفتهم أنت بحق.

والبعض في ملتنا ينظر إلى هذا العمل بريبة، خاصة الحديث منه؛ لأنه يشعر أنه يبث ثقافة الغرب وأفكار الغرب، وتزداد الريبة في حالة وجود تعاون مع جهات أجنبية، أو تمويل من هذه الجهات! وتستخدم هذه ذريعة للمزيد من التكبيل والتقييد.

والناس منهم من يتفرج سلبا، ومنهم من يشارك في جهود القطاع القديم التقليدي بمهامه البسيطة المعروفة من باب فعل الخير، وابتغاء مرضاة الله، وأقل القليل يعمل في المجالات الحديثة: حقوق الإنسان، والتنمية... إلخ.

وأغلبية هذه الأقلية المحدودة تعتبر هذا النشاط نوعا من الفعل الاجتماعي، وأحياناً الوجاهة بين الناس، أو مهنة للتكسب، وأقلية من هذه الأقلية - وأنا منهم - تفهم أنه جهاد في سبيل الله، ولكن بأساليب العصر الذي نعيشه.

هذه – يا أخي – هي خريطة المسألة في أوضاع أهلنا "وملتنا"، وأرى أن انتشار الاهتمام بهذه الأفكار وأساليب العمل المنطلقة من القاعدة الدينية والتاريخية الأصيلة لها عندنا، قد يكون أفقا مهمّا للانعتاق من الأمراض التي وصفت أنت بعضها.

أخي الكريم، سعدت برسالتك، وبفكرتك التي أرسلتها في سبيل الخير والإصلاح كما تذكر. والله الموفق.

ضد العدوان..
الحرب الثقافية والجهاد المدني

الإخوة الكرام، لقد قرأت – تقريباً – كل إجاباتكم السابقة على صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت"، وخاصة الإجابات المتعلقة بالقضايا العامة للمسلمين مثل قضية فلسطين، والأحداث الأخيرة في أفغانستان، وغيرها..

وأريد أن أسألكم سؤالاً بعد كل هذا الكم الهائل الذي قرأته، ولكن أرجو ألا تسخروا من بساطته، وأن تتقبلوه بصدر رحب.. أريد أن أعرف ما هو المطلوب بالضبط منا كشباب بشكل محدد وواضح؟ مع الشكر.

ع – ...

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ السائل.. منذ شهور طويلة وأنا أكتب عن أُفُقٍ أدعو إليه، وأنصح به خروجا من وضع "الفُرجة" المؤلم الذي نحن فيه، سواء منذ بدء انتفاضة الأقصى المبارك منذ أكثر من عام، أو الحرب القذرة الظالمة ضد أفغانستان، أو غير ذلك من أوضاعنا، ولكن يبدو أن هناك حلقة مفقودة بين كلامي والواقع المعاش!! وقد تكون هذه الحلقة المفقودة هي غياب رؤية واضحة لأحكام الشرع الحنيف،

وأوضاع العالم المعاصر، ولا يمكن الحديث عن فعل في غياب أو غيبوبة عن هذه وتلك!!

وقد تكون الحلقة المفقودة هي ما تعوَّدناه من منطق التهييج والصراخ، وخطاب التحريض السالب، وغياب الفعل الإيجابي العام، والنظر بازدراء إلى المبادرات الفردية، والخطوات البسيطة، وانتظار التحولات الكبرى، والتغييرات العظمى التي من طبيعتها أصلا أنها تحدث مرة كل قرن أو يزيد!!

يبدو أن رؤيتنا لأنفسنا وقدراتنا، ولمقاصد ديننا ومبادئه، ولمكونات واقعنا والواقع المحيط بنا فيها "غبش"، بل وتشوُّه كبير، وما لم ينصلح هذا فسنظل نصرخ كالطفل الجاهل لا نفرق بين الجمرة المشتعلة والجوهرة اللامعة، حين نمدُّ الأيدي نحو البريق، وكأن كل ما يلمع ذهباً، نحسب كل صيحة علينا، ونغرق في لجة الآلام العمياء، نتأوه حينا ثم نغيب.

التفكير المخطط والفعل المنظم ليس حالة طارئة تتلبس من يقوم الليل يطلبها دون سعي لها في النهار، وليس نوبة سُعال تصيب من يتعرض للرياح الباردة الآتية من الشمال الذي تتعجب من طريقة فعله، وليس ضربة حظٍّ جاوزها في غفلة من الزمن، ولكنه منحة الله لمن أرادها وسعى لها.

قلنا: إن تعليق الآمال بالحكومات والجهات الرسمية كباسط كفيْه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه، ومحاولات الضغط والاستنكار والاستدعاء والبكاء والتباكي لن تجد إلا التجاهل في أحسن الأحوال والقمع بدرجاته في الغالب، واليأس في هذه - كما كان دوماً - هو أحد الراحتين؛ فهل نحسم هذا؟

وقلنا: إن بناء القدرة الذاتية للناس على الفعل السلمي العلني المنتظم في إطار الحق والعدل والحرية والمسؤولية هو السبيل الوحيد لمستقبل مختلف عن هذه الفوضى العارمة، وكرَّرنا دائما أن هذا متاح وممكن، ومهاراته متوافرة في متناول الجميع، سهلة وبسيطة، وآثاره عميقة ومتراكمة.

وما نشهده الآن وفي المستقبل سيكون بمثابة حرب ثقافية ممتدة بين نوعين من القيم، وحزبين من البشر على مرأى ومسمع من ملايين المشاهدين:

حزب يؤمن بالإنسان خليفة لله في الأرض، وبأنه يستحق أفضل مما هو عليه حاله، وأن السبيل للحصول على وضع أفضل هو نضال مستمر لا ينقطع، ينطلق اليوم ضد الحرب المجنونة في أفغانستان، وقد ينطلق غدا ضد غيرها، أو ضد كل صور الظلم والاستغلال، ونهب الشعوب، وتخريب الأرض التي أمر الله الإنسان بعمارتها، ولهذا الحزب أنصاره هنا وهناك، وللإسلام فيه نصيب هام، ودور أساسي، ولكن هذا الدور لا يزال غائباً أو خافتاً لغفلة المسلمين عن مكانهم ومكانتهم، وعزلتهم داخل قوقعة الأساطير الملتبسة، وضياعهم في متاهات تبديد الطاقات والقدرات في السفاسف والترهات.

والحزب الآخر هو حزب "جنون القوة"، لا يعبد سواها، ولا يرى غيرها حلا حاسما لكل صراع، وصوتا مسموعا يعلو بدلا من أوهام الحوار ومحاولات التعاون بين البشر ضد الفحشاء والمنكر والبغي.

والذين لا يرون قوة إلا بالعنف، ولا يرون نصرة إلا ببثٍّ

الرعب، وتعلو عندهم شهوة الانتقام فوق حكمة الإنصاف، ولا يرون العالم إلا معهم أو ضدهم، ولا يتصورون البشر إلا قاتلا أو مقتولا، سيدا مطاعا أو عبدا ذليلا.

وقلنا: إن عُدة الحزب الأول بعد الإيمان رؤية راشدة، وجهاد يبدأ من النفس ويتناول مظاهر الحياة جميعاً، ويتضمن الحوار والجدال بالتي هي أحسن؛ ليتغلب على العداوة التي أساسها الجهل بالآخر، ويحقق مقصود التعاون بين البشر، ويفرز الصفوف لتتمحص عن الخصوم الحقيقيين؛ فيخوض معركته ضدهم مدعوما بكل رصيد الإنسان حين يواجه الشر في مسيرته إلى الله، وكدحه في سبيله.. وتحدثنا عن أن أساليب العمل متنوعة بلا حدود، منها الاستعداد بالمعرفة والأسلوب المناسب للموقف والجمهور المناسب، ومنها الأفعال الفردية من إرسال رسالة بريدية إلى تنظيم مظاهرة إلكترونية، إلى إقامة تظاهرة فنية.

إن لدينا جيوشا مدنية من ملايين الشباب والفتيات بطولِ العالم وعرضه، ويمكن أن نخوض معهم وبهم حرب شوارع ثقافية من بيت إلى بيت، ومن جامعة لجامعة، ومن قُطْر إلى قطر، دون أن تكون لدينا ميليشيات أو متفجرات. نستطيع أن نوجع أنصار حزب القوة المتحالفين مع المستكبرين والفاسدين والظالمين بعمل دائم ومستمر، وصداع مزمن بمواجهة التزييف والتغييب.

نستطيع نشر المعلومات الصحيحة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة، وفض الالتباسات المتوهمة، ودحض الأكاذيب والأساطير الشائعة، وتعديل الأوضاع المقلوبة.. ونستطيع أن نزلزل العالم، ونهزّ الأرض من تحت أقدام الذين يتلاعبون بمصائرنا مستقرين فوق فُرقتِنا

وجهلنا، وقلّة وعينا، وهواننا على الناس، نستطيع أن نتضامن ونتعاون بأشكال كثيرة لوقف الحرب، ومحاصرة الظلم، وتغيير وجهة التاريخ، فقط إذا كنا نؤمن بالإنسان الذي كرمه الله؛ فهو كريم طالما اختار أن يكون وفيّا لإنسانيته، وإذا كنا نؤمن بأن الله يغيِّر ما بالناس حين يُغَيِّرون ما بأنفسهم، وهذا ممكن ومتاح.

في حوار مع بعض الشباب قالت إحدى الفتيات: قرأت ما نشرتموه من قبل في حزب مناهضة جنون القوة، ولكنني لم أتبين في نهاية المطاف ما ينبغي أن أفعله، **وأقول لها ولك ولغيركما:**

- مطلوب فهم عميق - يتجاوز الصراخ - لحقيقة ما يحدث في العالم بدوائره محليّا وإقليميّا ودوليّا، وتضاريس وعلاقات الأفكار والقوى فيه.
- مطلوب نشر المعلومات الصحيحة، والأفكار الإيجابية على أوسع نطاق.
- مطلوب الحوار مع الآخرين، والمهم التركيز على الراغبين في الفعل، والمتجاوبين مع المبادرات ممن لديهم الإرادة والقدرة على إنجاز إيجابي، ولو قل.
- مطلوب تكوين شبكات تنشيط واتصال عبر الإنترنت مع أصحاب نفس الأفكار والهموم حول العالم، ومتابعة أخبارهم، وتبادل الخبرات والتجارب؛ لرفع الكفاءة والقدرات والمهارات لدى الجميع.
- فكرة السفر واردة، والتلاقي المباشر هام حيثما كان ممكنا، وينبغي انتهاز الفرص لاستضافة آخرين، أو الالتحاق بهم في متابعات وفعاليات حوارية مباشرة، وأمامنا الآن فرصة نادرة

وتاريخية لعرض وجهة نظرنا، والتنبيه إلى ثقافتنا، واستعادة المكانة الحضارية التي نستحقها، نظريًا على الأقل.

- أساليب التعبير والتكوين والتثقيف الذاتي والجماعي كثيرة، منها النقاش حول كتاب أو تقرير، ومنها الندوة والمناظرة بين الآراء المختلفة، ومنها العروض المسموعة والمرئية، وأفضل الأشكال وأبسطها، والأماكن المتاحة بحسب ظروف كل بلد، ونحن كمسلمين يمتد وجودنا في كل العالم.. فهل نبدأ الحرب؟!! تبقى مسألة واحدة ينبغي أن أذكرها من باب الأمانة، وهي أن قدرتنا على عرض ثقافتنا وحضارتنا مرهونة بمعرفتنا العميقة بهما، وأغلب المسلمين يجهلون الإسلام كثقافة وحضارة، أو معرفته لا تتجاوز القشور، وتلك هي العقبة الأولى، والواجب الأول نحو إنجاز كل ما تقدم.

بن لادن وتدهور الإسلام..
أسئلة المتدينين الجدد

السلام عليكم، أشكركم بشدة على صفحة "مشاكل وحلول للشباب"، بصراحة لقد فتحت أمامي بابا من أبواب الاستفادة والعلم، وأغلقت باب الشات، والحمد لله.

والمشكلة التي أريد التحدث عنها هي مشكلة موجودة يريد الجميع أن يسأل عنها، ولكن الكل للأسف ينسى أو يتناسى، وهي مشكلة إن دلت على شيء فإنما تدل على البعد عن الله وغضبه علينا، أو – إن شاء الله تعالى – عليهم فقط.

المهم المشكلة هي تعدد الفتوى في العالم الإسلامي.. فأنا فتاة في الـــ 19 من عمري في كلية الهندسة، أعيش في بلد إسلامي في مستوى جيد والحمد لله، كانت كل اهتماماتي إلى أن هداني الله هي اهتمامات الفتيات من أزياء وأرقام وصبيان، والحمد لله زالت من قلبي معظمها ولم يبق سوى حاجزين: أولهما – وهو الأهم – تضارب وتعارض المفتين خصوصا في هذه الظروف من حروب وإرهاب وجهاد... إلخ.

تخيلوا أني عندي 19 سنة ولا أفهم الحقيقة بعد؛ حقيقة أميركا، وهل أسامة بن لادن مجاهد على صواب أم إرهابي؟ وهل أميركا عدو أم لا؟.. ومئات الأسئلة؛ وهذا لأن فتوة الدولار للأسف عمت وفشت في البلاد.

فهل يعقل أن أسامة بن لادن كافر كما صدرت الفتوى في السعودية أم هو مجاهد كما أظن؟ وهل الحكومات التي ذكرها أسامة بن لادن كافرة كما قال أم أنه يحرم علينا تكفير المسلمين؟ أين الفتوى الصحيحة؟ وهل نحن - المسلمون - بهذه التفاهة حتى يضحي أحد رجال الدين بدينه ليصدر فتوى بأن المجاهدين جراثيم أو إرهابيون فقط؟ وهل تدهور الإسلام لهذه الدرجة؟

وعندما أتبنى رأيا من الآراء اقتنعت به أو اقتنعت بأنه الحق أو لأني أثق في المفتي مثلا.. فهل أحمل وزر هذا الاعتقاد أم يتحمله المفتي الذي باع ضميره لقاء منصب أو موكب؟

أخيراً لا أستطيع إلا أن أقول: اللهم إني بلغت اللهم فاشهد، اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه. وأحذر الذين أخذوا أمانة الوعظ والإرشاد إن وعد الله قريب، ومن يعلم ربما يكون قريبا جداً.

سما - مصر

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخت الكريمة، أهلا بك زائرة لصفحتنا، وأهلا بك في عالم الالتزام الديني المليء بالأفكار والاتجاهات، والذي يمتلئ أيضاً بعشرات الأسئلة التي تبحث عن إجابة!!

ومن خلال اطلاعي على كثير من الصحف من حين إلى آخر يبدو أن مسألة "الدعاة الجدد" قد شغلت العديد من الناس والكتاب، واهتم هؤلاء بتلك الظاهرة، من حيث أسبابها ومظاهرها وآفاق مستقبلها، بينما لم يهتم أحد بظاهرة "الملتزمين الجدد" وقضاياهم،

والأسئلة التي تدور في أذهانهم، والتخبط الذي يمكن أن يحدث لهم كما حدث لغيرهم من قبل في بداية الالتزام بالدين. وقصور الاهتمام بالملتزمين الجدد هو آفة قديمة ومستمرة أدت إلى انحرافات هائلة، وتبديد طاقات، وتفكك أسر، ودماء أريقت، وأرواح أزهقت بغير حق، ونزيف لم يجف في أقطار كثيرة. وأعتقد أن الاهتمام بهذه الظاهرة وأفرادها الذين يزداد عددهم يوما بعد يوم يمكن أن يخفف أو يوقف هذا النزيف والتبديد والإهدار.. فهل من مجيب؟!

أختي الكريمة، يبدو أنك جديدة على موقعنا؛ فكثير من القضايا التي تثيرينها تمت الإجابة عليها بالفعل على صفحات موقعنا المختلفة، وعلى سبيل المثال:

عالجنا مسألة تضارب الفتاوى في صفحة "استشارات دعوية" بموقعنا، انظري مثلا:

- **أنقذونا من تضارب الفتاوى!!**
- **الاختلاف الفقهي.. مفخرة لا عيب**
- **الاختلافات الفقهية.. لماذا؟. مفخرة مرة أخرى**

وتم معالجة هذا الأمر في باب "للفتاوى" بالموقع تحت للعناوين التالية:

- **ما أسباب اختلاف الأئمة؟**
- **أسباب اختلاف الأئمة الأربعة وحكم تقليد غيرهم**
- **موقف المسلم العادي من اختلاف العلماء**

وحول أحداث أميركا كانت لدينا العناوين الآتية في صفحة "استشارات دعوية":

- **أحداث أميركا، قواعد الشرع ورؤيتنا الواضحة**
- **قتل الأميركان.. قواعد الدين والدور المنشود**

وحول "أسامة بن لادن" يمكنك أن تطالعي في صفحة "استشارات دعوية" أيضاً استشارة للدكتورة ليلى أحمد مع تعقيب للأستاذ كمال المصري "أنقذونا من تضارب الفتاوى!!".. (مشاركة).

وبدون استطراد أقول لك:

أولاً: تعدد الفتاوى ليس مشكلة بل هو من طبيعة الدين والعصر؛ فالفتوى يا أختي الكريمة تعني تصور المفتي لما هو حكم الدين في أمر بعينه، وهو بذلك يعتمد على قاعدتين: الأولى هي نصوص القرآن والسنة، وهي نصوص تحتمل وجوها متعددة بطبيعتها، ويمكن فهمها بأكثر من طريقة، وعلى أكثر من مستوى، وكذلك فإن إدراك وقائع العصر وأحداثه يختلف طبقا لمنهج التحليل... إلخ.

وأنا هنا بالطبع أتحدث عن الأمور في المعاملات وشؤون السياسة والمجتمع، أما العبادات فالأقوال فيها معروفة ومحدودة لطبيعتها الأكثر ثباتا؛ ولذلك تختلف الآراء في قضايا الدنيا أكثر مما تختلف في قضايا العقائد أو الأخلاق أو العبادات كما ذكرت لك، ومن أسباب الاختلاف أيضاً المصالح الشخصية أو القُطرية؛ فنحن بشر نتأثر بالأهواء رغم أننا نحاول التجرد منها؛ فمن هو في منصب من المتوقع أن يراعي توازنات منصبه هذا، خاصة أنه يرى غالباً أن بقاءه في هذا المنصب يحمل مصلحة للإسلام والمسلمين؛ لأنه هو – ربما – أفضل من غيره.. وهكذا!!

ثانياً: مسألة أخرى تثيرها رسالتك، وهي مسألة الانقياد لقول بشر مهما كان؛ فالفتوى هي قول بشر ورأي بشر، وكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لم يكن ينطق

عن الهوى، وبالتالي فمن واجبك تحري أسباب الفتوى ودلائلها على قدر استطاعتك، ومن واجب كل مسلم أن يفهم أصول دينه فهما يعينه على الاختيار بين الآراء المتعارضة، وهذا الفهم ينبغي أن يكون هو أساس الثقة في هذا المفتي أو ذاك.

وعندما "يتدهور" أحد المشايخ أو حتى أي مسلم فإن ذلك لا يعني تدهور الإسلام كما تقولين، والإسلام لا يتدهور يا أختي؛ فهو كلمة الله، وكلمة الله هي العليا، إنما يتدهور المسلمون، وتتحدر أحوالهم بسبب تخلفهم عن فهم دينهم، وشؤون دنياهم، وتقاعسهم عن عمارتها؛ فحذار من الانقياد الأعمى لأحد مهما كان، وحذار من خلط الأمور ببعضها.

ثالثاً وأخيرا: ألفت نظرك إلى شيء مهم وهو آفة سائدة عند المسلمين – وربما عند غيرهم – وهي اتهام المختلف عنهم في الرأي أو السلوك أو الاختيار الفقهي أو السياسي بأبشع التهم، وفي هذه النقطة مثلا ستجدين أن "بوش" و"أسامة بن لادن" يتفقان في تقسيم الناس حول العالم إلى صنفين: أحدهما معه وهو الطيب الجميل، والآخر ضده وهو الشرير السيئ..

أسامة بن لادن في بدايات كلامه كان يتحدث عن فسطاطين: الإيمان والكفر، و"بوش" يتحدث عن تحالف الأخيار في مواجهة محور الشر، ولا أدري أين يمكننا وضع الملايين التي تتظاهر في أنحاء العالم ضد الحرب؟! هل هم في فسطاط الكافرين أم في فسطاط المؤمنين؟! هل هم معنا أم علينا؟! هل هم من الأخيار أم ضمن محور الشر (بحسب بوش)؟ وعلى كل حال فإن من حق كل مسلم بل وكل إنسان أن تكون له رؤيته واجتهاده في فهم الأحداث والتعامل

معها، وعليك أن تنتبهي إذن لهذه الآفة الخطيرة، وهي اتهام المخالفين بأبشع التهم، وبالجملة أن تعلمي أن العالم أكثر تعقيدا وتركيبا من تقسيمه إلى أخيار لا شر فيهم، وأشرار لا خير فيهم!!

وقبل أن أتركك في رعاية الله أذكرك بأن الطريق إلى الله طويل، ويحتاج إلى جهد وصبر ووعي وعمل؛ فلا تعتقدي - مثل السذج - أن ثمرة الإيمان يمكن أن تنضج دون بذل وقت، ودون تأمل هادئ أحياناً، أو دون حركة في سبيل الله تشمل اجتهادك في تحصيل العلم الذي تدرسينه، وفهم العالم الذي تعيشين فيه، والحركة في الواقع المحيط بك.. لا يكفي ترك السفاسف من أزياء وأفكار وأفعال، بل ينبغي الأخذ بأسباب التفاعل، وبناء البدائل الصحية في حياتك وحياة من حولك على الأقل؛ فلا تتعجلي، ولا تبددي طاقتك النفسية حسرة على أمور هي من طبائع الأشياء، وواصلي سعيك إلى الله سبحانه بالفهم العميق لأصول الأشياء والأحداث، وبتحصيل المهارات والمعالي لتزدادي كل يوم، وتقتربي أكثر من الحقيقة، وتابعينا بأخبارك.

الجهاد المدني..
الطريق إلى فعل مختلف

بقلم: د. أحمد عبد الله

"ماذا نفعل؟" سؤال الوقت الذي يتكرر مع كل أزمة تشتد وتتعرض لها الأمة؛ حيث يعم الشعور بأننا أسرى خيارين لا ثالث لهما؛ فإما القيام بفعل مسلح والاشتباك بالقوة مع مصدر التهديد، أو القعود والاستسلام فريسة لليأس.

لقد حاولنا أن نثبت أن بين الخيارين مساحات من المشاركة والفعل، وذلك عبر تجارب مختلفة في مهام لدعم الانتفاضة، وكان كاتب هذه السطور قد بلور مبادرة في مواجهة أحداث 11 سبتمبر، كما بدت الانتفاضة العالمية ضد الحرب على العراق فرصة أكبر وأبلغ دلالة على ما حاولنا إثباته بما يدفع الآن لضرورة إطلاق مبادرة مبدئية - نسعى لإدارة حوار ونقاش مفتوح حولها - تبلور الخبرات المترامية، وتواجه دورات الإحباط المتكررة عند الأفراد حتى تصبح المقاومة فعلا يوميا.

وعليه فإن الأفكار والسطور التالية تنطلق من اقتراح مبدئي لا بد من القبول به لتصبح التصورات المطروحة هنا ذات معنى وجدوى. وهذا الاقتراح يقول بأن الفرد المدني العادي الذي لا يحمل بندقية أو قنبلة يمكن أن يكون شريكاً أساسياً هو وأسرته ومن هم مثله

في فريضة الجهاد ضد الهيمنة - أو بالأحرى محاولات الهيمنة - الأمريكية، وإذا كانت شعوب الأمة قد تفانت طوال تاريخها في تنظيم بذل حياتهم استشهادا وفداء لمعتقداتهم وأوطانهم؛ فإنه قد حان الوقت ليتعلموا كيف ينظمون مفردات عيشهم وحركتهم اليومية في سبيل رفعة هذه الأديان والأوطان.

الجهاد المدني.. تشريح المفهوم:

الجهاد المدني هو مفهوم مركب مستمد من عدة روافد قديمة وحديثة، ويسهم في تفسيره وتسييره عدة مكونات، وأعتقد أن استعادة هذه الروافد متضافرة، وفهم آليات هذه المكونات قد بات ضرورة حياة بالنسبة لأمتنا.. **ومن هذه الروافد والمكونات:**

أ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهو قطب محوري حاكم في التصور الإسلامي، بل وكل فكرة دينية أو إنسانية ذات طابع اجتماعي، ولا أقصد في هذه العجالة فتح نقاش - أراه لازما - حول الالتباسات والعقبات التي أحاطت بالمفهوم، ولم تزل تعطله أحياناً، أو تفتعل فيه ما ليس منه أحياناً أخرى، ولكنني أقول بوضوح: إن استدعاءه هنا يأتي بوصفه شيئاً مختلفا عن مجرد فعل الخير البسيط - على أهميته - ، وهو مختلف عن الوعظ والإرشاد، وعن المعارضة السياسية أو غيرها من وجوه تم صرف المفهوم إليها. ولسنا هنا بصدد نقاش صحة كل فهم من هذه الأفهام أو دلالته، ولكننا فقط نقصد التوضيح بأننا نصرفه إلى أفق أوسع، وتطبيقات أكثر تركيبا وعمقا. ونرى لذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بأنشطة تضم آحاد الناس، وتدربهم على إدارة شؤون أنفسهم في مجال من مجالات الحياة: تعليم وصحة... إلخ، على نحو

يقيم المعروف بمعناه الواسع، ويحارب المنكر بصوره المتعددة ومستوياته المختلفة، وهذا - في فهمنا - هو معنى تغيير المنكر باليد الذي هو أعلى مراتب هذه الفريضة المظلومة.

ليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجرد وظيفة يحتكرها "أولو الأمر"، أو تبتذلها مجموعات من المتحمسين؛ فتضرب سكيرا أو تحرق ناديا للفيديو ... إلخ، بل هي جهود تتصدى للغيبوبة بالوعي والتوعية، وتسعى مثلا لإنتاج إعلام وترفيه نافع وممتع بدلا من أن تكتفي بخلع شعرة من جسد الإعلام الضال المضلل.

ولا ينحصر دور آحاد الناس - في تصورنا - على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان والقلب والوعظ والتنبيه، إنما يتعدى الأمر إلى إقامة بنيان الخير ومقاطعة روافد الشر، ودعوة الناس إلى هذا وذاك، وتدريبهم على المهارات اللازمة للنهوض به، والتماس التمويل اللازم له من القادرين بوصفه ركنا من أركان الدين لا يقوم إلا به، وبوصفه فريضة واجبة على كل إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويدرك أن الله سيسأله يوم القيامة عن الدور الذي قام به فيها أو تخاذل عنه!!

ب - اللاعنف: وهو من مناهج التفكير والفعل التي تتسق مع الدعوة للجهاد المدني؛ إذ يقوم على استخدام أساليب في التواصل والتعبير والتعبئة والتأثير تبتعد تماماً عن العنف بدرجاته وأنواعه، بل وتحاربه بوسائل شتى.

والعنف هنا يأتي بمعنى واسع يمتد إلى المستوى اللفظي وغيره من مستويات العمل والتفاعل مع الأحداث والأشخاص في الدوائر المختلفة، بدءاً من الأسرة وانتهاء بالمجتمع الدولي. ومن أنواع العنف

التي يغفل عنها الناس مثلا ما يمكن تسميته "العنف بالترك"، وهو الإهمال بصوره، والفساد بأنواعه.

وهناك علاقة وطيدة بين العنف والقوة؛ فالاعتماد على فكرة القوة بأنواعها كمدخل للتغيير أنتج تركيزا للفاعلية - على المستوى النظري - في مساحات بعينها، حتى ارتبط التغيير في أذهان الناس بالحاجة إلى قوة إيجابية مادية مسلحة أو غير مسلحة لإنفاذه، وأنتج هذا صراعا مضاعفا على السلطة؛ حيث لا فعل خارج دائرتها طبقا لهذا الفهم، وبالتالي أصبح الفعل محصورا في نخبة معينة هي التي تمتلك القوة لتفعل!!

واللاعنف منهج يرى أن الكل يمكن أن يفعل، وأن عدم امتلاك القوة المادية ليس ضعفا بل هو نوع آخر من أنواع الفاعلية يمكن تسميته بقوة الضعيف التي تربك القوي الذي لم يتدرب إلا على مواجهة العنف بالعنف، والقوة المادية بالقوة المادية.

وفي التاريخ أمثلة متعددة على منهج اللاعنف في العمل، وهو على درجات، منها ما يسمى بالمقاومة "غير العنيفة" مثل حالة: غاندي في الهند ضد الإنجليز، ومنها صور العصيان المدني، وحتى الثورات البيضاء مثل الثورة الإيرانية.

واعتماد منهاج اللاعنف - في تصورنا - مثله مثل توسيع مفهوم "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" يقتضي تفعيل عمليات تنمية المهارات والقدرات والإمكانات الفردية والجماعية لإنجاز آلاف المبادرات التي لا تحتاج إلى قوة مادية لإنفاذها.

ج - العمل الاجتماعي: هناك مفهوم شائع للعمل الاجتماعي، وهو العمل الخيري التقليدي المرتبط بمؤسسات أو تجمعات دينية أو

جهوية أو فئوية، ويستهدف في الأغلب تقديم خدمات إنسانية أو مساعدات مالية أو عينية بما يقترب من المفهوم الإغاثي (أي حل مشكلات الناس الحياتية العاجلة)، ولأسباب متعددة فإن النتيجة النهائية لأنشطة هذا العمل تدور في مستوى تحقيق الكفاف، وليس الكفاية والتطوير.

وفي أغلب الأحيان فإن الكوادر والعقليات التي تقوم على إدارة هذا العمل تتصف بالروتينية والتقليدية، ورغم وجود نسبة لا بأس بها من التطوع.. فإن الروح السائدة غالباً ما تكون هي الروح السلبية المسيطرة في مؤسسات الدولة.. لاحظ أن أغلبية القيادات تكون من الموظفين السابقين أو الحاليين محدودي القدرات والمهارات.

وبالمقابل فإن المستفيدين من خدمات هذا العمل ينظرون إليه، وينتظرونه بوصفه منحة محدودة ومؤقتة، وليس مدخلا للإنتاج والاستغناء عنها في المستقبل.

ولا ينفي هذا أن قطاع العمل الاجتماعي يقوم بدور كبير في تقديم الخدمات الأساسية للقاعدة العريضة من الناس: صحة، تعليم، تكافل اجتماعي... إلخ.

أما العمل الاجتماعي من الزاوية التي نريد التركيز عليها هنا فيعني الانتقال من إغاثة الناس، وتقديم خدمات إعانتهم على مواجهة الصعوبات المختلفة إلى بناء قدراتهم، وتطوير مهاراتهم، ورفع كفاءتهم على تنظيم جهودهم، وحل مشكلاتهم، وإدارة شؤونهم بأنفسهم. وبذلك ينتقل العمل الاجتماعي من مستوى الإغاثة إلى التنمية.

ولا تتم هذه النقلة إلا بشروط عدة، منها: رفع كفاءة القائمين على هذا العمل، ونقل الكثير من الخبرات الناجحة والمتطورة منهم وإليهم.

وقد تقتضي هذه النقلة التبشير بثقافة التطوع وسط الأجيال الجديدة؛ مما يدفع بدماء شابة في شرايين العمل الاجتماعي المتصلبة، ويعيد رسم خريطة الأدوار، وتبادل الخبرات بين الأجيال.

ومن الجدير بالذكر هنا أن تفعيل أصول فكرة التطوع في ثقافتنا يبدو شرطا لازما لكفالة هذه النقلة استثمارا لزخم موجة الاهتمام والالتزام بتعاليم الدين؛ مما يستلزم خطابا إسلاميا جديدا يسلط الضوء على الأصول والنصوص التي تربط بين فعل الخير ونفع الناس.

د - ومن العمل الاجتماعي إلى دائرة أوسع حيث دور المجتمع المدني الذي تتمثل أنشطته في العديد من المؤسسات الجديدة نسبيا، التي يعمل أغلبها في مجالات التنمية والدفاع عن حقوق الإنسان والمرأة والطفل.

ومع بزوغ هذه الظاهرة - على الصعيد العربي - في أوائل الثمانينيات غلب على تمويلها المصادر الأجنبية بالأساس، وبدت منعزلة عن القواعد الشعبية، وربما كانت هذه العزلة بسبب قائمة أولوياتها التي تبدو غريبة عند كثير من الناس.

وتعيش هذه المؤسسات "محنة المثقف" بكل أبعادها؛ حيث يبدو مغتربا منفصلا عن واقعه، منطلقا من مرجعيات وقضايا ليست هي الأهم بالنسبة للأوضاع المحلية، ويبدو عاجزا بالتالي عن بلورة خطاب يتلاقى مع هموم مواطنيه، ويتفاعل مع اهتماماتهم.

بينما تفترض المنظومة الفكرية الأصلية للمجتمع المدني أن المواطن والجماعة فاعلة مباشرة بوسائل البحث والتدخل والضغط المدني على السلطة أحياناً والتفاوض أو الدعم أحياناً أخرى، وتعتمد الهيئات غير الحكومية على قوة الاتصالات والمعلومات وتوعية

الرأي العام وضغوطه، مستهدفة الفعل بذاتها، ومتجاوزة مجرد انتقاد السلبيات كما في أسلوب المعارضة السياسية.

وعمل المجتمع المدني أصلا يختلف عن العمل السياسي في عدة نقاط غير الأسلوب المستخدم والهدف المنشود؛ ففي فلسفته الأصلية يرى نفسه شريكا مباشرا في التسيير والعمل الوطني بالشراكة أو المشاركة مع أجهزة الدولة، ومع بقية الفاعلين من برلمانيين وإعلاميين وقيادات شعبية ورجال أعمال، ولا غضاضة عنده في أن يكون وسطا للتفاعل بين الأجيال المختلفة، أو الاتجاهات الأيدلوجية المتنوعة، أو بين الجهود المحلية أو الدولية حول قضايا بعينها، وهو في هذا يتجاوز الفكر السياسي التقليدي؛ حيث لا يكون الفعل إلا عبر السلطة بالوصول إليها أو بالاندماج فيها أو معارضتها.

والأصل أن يبدأ من طاقات محلية حية وموجودة، وقضايا حقيقية معتمدا على التمويل المحلي، وموظفا لهذا كله في خدمة جزئيات بعينها، ومتواصلا مع الأطراف الدولية المناسبة، مستهدفا إحداث تغيير اجتماعي وثقافي يكون أساسا لتفكير وممارسة سياسية أكثر رشدا وفاعلية لمن يريد ممارسة السياسة، وبحيث يكون المجتمع المدني هو الفضاء المفتوح لاستيعاب الجهود المجتمعية وتفعيلها وتطويرها، وتلاقيها مع الجهود الرسمية والدولية دعما للأداء في القطاعات المختلفة.

هـ - البعد العالمي: ويبدو أن جانبا كبيرا من إدراكنا لأهمية تطوير تجربة المجتمع المدني في عالمنا العربي ترتبط بالعالم الذي بدأنا نكتشفه أخيراً.. عالم جديد ضخم لم نكن ندركه أو نراه من قبل، وهو المجتمع المدني العالمي، رغم أنه كان موجودا زاخرا ومتفاعلا منذ وقت بعيد.

فالمظاهرات المليونية التي تتحرك في عواصم أركان المعمورة الأربعة ليست مجرد تجمعات من عابري السبيل أو الشباب المتحمس أو الموظفين الحكوميين.. بل هي نتيجة لتنسيق بين آلاف التجمعات المدنية التي تعمل في ميادين شتى وتتواصل عبر شبكة الإنترنت وغيرها، وتبني تحالفاتها حول قضايا بعينها، منها العنوان العريض: "مناهضة العولمة"، وقضية الساعة الراهنة "مناهضة الحرب على العراق" (كان ذلك قبل وقوع الغزو الأمريكي على العراق).

وفي هذا المحيط الهائل تدور أفكار وبرامج وخبرات وتجارب وطاقات وموارد يمكن التواصل معها، والاستفادة منها في دعم وتخصيب الأفكار والجهود والتجارب المحلية، وسواء كان الاحتكاك مباشرا عبر المشاركة في المؤتمرات والتجمعات، أو كان غير مباشر بالاتصال عبر شبكة الإنترنت؛ فإننا نراه ضروريا للاطلاع على ما يدور في هذا العالم، "الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها" [رواه الترمذي].

وفضلا عن الدعم المعنوي والخبراتي الذي يمكن أن يوفره التواصل مع هذا المحيط؛ فإن فهم الكثير من القضايا المحلية لا يمكن أن يتم إلا عبر رؤيتها في إطار مجمل الصورة العالمية، ولكن هذا التواصل لا يمكن أن يتم إلا بتكوين رؤى وكوادر قادرة على الاشتباك مع قائمة الموضوعات المطروحة، ولا تكفي هنا مجرد الرغبة الجامحة أو النوايا الحسنة.

وبالتدريج سنكتشف أن العلاقة بين التحرك الاجتماعي المحلي والدولي العولمي أكبر مما نتصور، ومن الجدير بالذكر أن تواجد العرب والمسلمين ما زال ضعيفاً في هذه المنتديات والتجمعات

والتحركات.. فهل نبادر ونتنهز الفرصة؟!

و - الإطار العملي: الحركة الواسعة الدائبة التي نحرص على بعثها تحتاج إلى إطار للحركة والتسيير، وفي خبراتنا المعاصرة تعودنا أن تتجسد الأفكار والبرامج في أشخاص وهياكل تكون هي عنصر التحريك والتطوير، وتخلق من حولها دوائر من المتحمسين للفكرة بدرجات متفاوتة، وبالرغم من تعدد الأشكال واللافتات التنظيمية ما بين أحزاب وجمعيات وجماعات متنوعة الأحجام والأهداف.. فإن عيوبا مزمنة ظلت قاسما مشتركا بين كل هذه الهياكل، ومنها الصراعات الداخلية والتآكل التدريجي، وعدم القدرة على مسايرة التغيرات ومقاومة الضغوطات.

وما تطرحه فكرة الجهاد المدني أنها ليست محدودة بهيكل أو متحيزة محتكرة في إطار.. بل هي متحررة من هذا وذاك، تفعل عبر الأفراد، بل عبر استعادة الوحدات التقليدية التي اندثرت كفاعل نشيط مثل الأسرة والعائلة وجماعة الجيران وشلة الأصحاب، وتستفيد من الأشكال الاتصالية الجديدة مثل مجموعات الإنترنت.

ورغم أن هذا التحرر من الأشكال التنظيمية الشائعة يفقد الفكرة إيجابيات الإطار التقليدي؛ فإنه بالوقت ذاته يخلصها من أعباء وقيود التراتبية الهرمية، واحتكار القرار والمبادرة، وضمور الإبداع، والملاحقات وأنواعها؛ فهو يجعل كل هذه المهام مرهونة بقدرات الفاعلين المباشرين وإمكاناتهم بحسب موقعهم ومحيط حركتهم.

ولا ينفي ما تقدم أهمية الجماعية، وإنما يحاول أن يقترح أشكالا جديدة لتبادل الخبرات والتجارب، وإدارة الطاقات والقدرات، وتطوير المهارات والفعاليات الفردية والتواصل بينها، والجديد الذي نحاول

إضافته هنا أن تتم كل هذه التفاعلات داخل إطار ونسيج المجتمع مباشرة، وليس داخل الهيئة أو المؤسسة أو الحزب أو الجماعة ثم تنتقل للمجتمع كما هو حاصل.

وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال تجارب حركية مثل حركات مناهضة العولمة في مرونتها وتنوعها وبساطتها وسرعة انتشارها وتأثيرها، ومن أهم الدروس التي يمكن أن نتعلمها هنا من هذه الحركة فكرة التعاون والتفاعل حول قضية محددة بغض النظر عن الاختلاف الذي يمكن أن يكون موجودا في القضايا الأخرى.

الجهاد.. ماذا يبقى من المفهوم؟

"الجهاد" وهو رافد أساسي؛ حيث يتطلب تأسيس تجربة الجهاد المدني النقاش حول تجلي مفهومه – عموما – في أذهاننا، وحول ما يبقى منه بعد استعراضنا لروافد ومكونات مختلفة دون تعرض مباشر له؛ إذ يبرز الفهم السائد للجهاد على أنه الفعل القتالي المباشر بسلاح مادي مع عدو ظاهر متحيز في شيء أو مكان أو أشخاص، رغم أن هذه هي لحظة التركيز والاحتشاد النهائي لعمليات متنوعة سابقة على هذه اللحظة، وهذه العمليات هي أصل الجهاد والقوة في الحقيقة سواء دارت هذه العمليات داخل النفس أو المجتمع.

إن تغيير ما بالنفس هو أوسع بكثير من مجرد التزكية الأخلاقية أو التخلص من المعاصي بالمفهوم الشائع، إن تغيير النفس يعني إكسابها القدرة على الفعل البسيط المتراكم الذي يحدث تغييرا في الذات وفي المحيط الأقرب للإنسان. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: 11].

والاقتصار على الظن بأن القوة في الحرب هي السلاح، وأن

الجهاد هو لحظة القتال، وأن الفريضة الغائبة تتطلب نفيرا في اتجاه الالتحام المادي مع قوات العدو فحسب دون أنواع النفير الأخرى الغائبة.. هذا الفهم ساهم في تعطيل بقية العمليات الجهادية المطلوبة بشكل يومي على كل المستويات.

إن عمليات مثل: جهاد النفس، ومدافعة التخلف في السلوك الفردي والعام، ومواجهة الاستبداد في المجتمع والحكم، وغيرها من المظاهر السلبية التي نعيشها تحتاج إلى إعادة اعتبار ونظر؛ بوصفها جهادا مفروضا على الجميع.

ولقد أثبتت الأحداث أن الإعداد النفسي للقتال، والاستعداد للتضحية، والتعبئة للمعركة النهائية ليست معضلة ولا صعبة المنال، على خلاف بقية العمليات الأخرى المشار إليها، ونرى أن غياب الإعداد والجهاد بمعانيه الواسعة قد أدى إلى نتائج شديدة السلبية على المستوى الفردي والجماعي، كما نرى أن قصر مفهوم الجهاد على معنى القتال المباشر قد أصاب بقية المعاني والنواحي والمستويات بعطب شديد، وأصاب نفوس الناس بإحباط عميق؛ لأن الظروف المادية والموضوعية المتاحة تمنع من القتال المباشر منذ عقود، وإلى أن يشاء الله غير ذلك.

نماذج واقعية.. احتضان البدايات:

نماذج واقعية للمفهوم: الروافد والمكونات التي عرضناها لمفهوم "الجهاد المدني" لا تعني الغياب التام لنماذج وتجارب تعد تطبيقا فعليا للمفهوم، ونسعى هنا لإلقاء الضوء على بعضها:

حركة المقاطعة:

ونعني بها الحركة الشعبية الواسعة التي بدأت مع اندلاع انتفاضة الأقصى – وقد تم تقديم متابعة إخبارية وتحليلية لها على

الموقع - بتطبيق النقاط السابقة سنجد أن هذه الحركة المباركة يمكن أن تكون مثالا ومادة خاما تصلح للتطوير في اتجاهات متعددة، وآفاق متطورة لتصبح من أهم معالم وأدوات "الجهاد المدني" الذي نتحدث عنه.

ويمكن الحديث عن بعض اتجاهات وآفاق التطوير في اتجاه دعم الاقتصاد الوطني للأقطار العربية والإسلامية، وكذلك تشجيع الادخار ومحاربة الإسراف والترف، والتأسيس لثقافة مقاومة تنتقي أو تقاطع من المنتجات الثقافية والغنية بناء على تصورها لما هو صواب ومناسب لهويتنا، وما هو خطأ أو غير لائق بنا.

وتحتاج حركة المقاطعة إلى جهود كثيرة في البحث عن المعلومات الموثقة، وفي التبشير بأفكارها، وتبسيط أطروحتها، ونشر برامجها بين الناس.. فهل من متطوعين؟!

الدبلوماسية الشعبية عبر الإنترنت:

ونعني بها الحركة الواسعة التي نشطت - وما زالت - للاتصال بين الفاعلين من الأفراد والتجمعات متنوعي الاتجاهات والخلفيات في البلدان العربية والإسلامية ونظرائهم في بقية أقطار العالم والتي طرحت كمبادرة مبدئية.

يمكن أيضاً الحديث عن تطوير هذه الحركة لتحتل مكانا متميزا في تيار "الجهاد المدني"، وبخاصة أن حركة أو حركات مناهضة الحرب قد أصبحت ظاهرة كونية هائلة تحتاج إلى تواصل أكبر منا بوصفنا أصحاب القضية، ولم يعد مقبولا أن تقتصر جهودنا في هذا الصدد على مجرد المتابعة، وتداول المعلومات والصور، إنما ينبغي أن نتدرب على الدخول كأطراف أصيلة في هذه التحركات محلياً ودولياً، والمسألة

مفتوحة للمقترحات والإسهامات.. فهل من مستجيب؟!

مراقبة الإعلام التقليدي:

وليس لدينا من معلومات هنا سوى مثال أو مثالين على بدايات يمكن تطويرها لتصبح فعلا منتظما في تحسين أداء الإعلام التقليدي بوسائله المتاحة من صحافة وقنوات فضائية ومحلية ووكالات أنباء... إلخ، سواء على مستوى احترام الثقافة المحلية أو نشر المعلومات الصحيحة أو تطوير الرسالة التي يبثها شكلا ومضمونا.

ودور الإعلام يبدو الأشد خطورة مع بدء اندلاع الهجمات، والإدارة الأمريكية ستكون حريصة على رسم صورة معينة لما يحدث، وفي غياب وعينا أو قلة معلوماتنا، وضعف إمكانات إعلامنا، أو غياب فلسفة محددة له يمكن أن تحدث بلبلة واسعة أو موجة جديدة من الصراخ والولولة تساهم في تكريس الشعور بالعجز بدلا من الاقتراحات بالأفعال الممكنة والمتاحة والمؤثرة.

ومراقبة الإعلام المحلي والدولي ستكون مهمة كبيرة تحتاج إلى أن نقوم نحن - المشاهدين - بدور فاعل في تحسين أداء إعلامنا من ناحية، والضغط على الإعلام الأمريكي - أو الموالي لأميركا حيثما كان - ليعطي صورة أقرب للواقع.

فهم وتفعيل آلية التظاهر:

آن الآوان لنقوم بتطوير الهامش المتاح والفعل المتكرر بالتظاهر؛ ليكون أكثر تعبيراً وتأثيراً مما هو عليه الآن، إن المظاهرة ليست مجرد مجموعة أفراد يجتمعون ثم ينفضون، وليست مجرد شعارات أو صيحات تنطلق للتنفيس.

المظاهرة آلية مهمة لحشد الجهود من خلفيات فكرية وعملية

مختلفة، وهي تعبير عن الاستعداد والنظام والجهوزية، وهي نموذج للتعاون والمشاركة بين الشعوب والأنظمة، والأمر يحتاج إلى مزيد من الاهتمام والنقاش.

جسور وشبكات:

وتحتاج كل هذه التحركات والأفكار إلى أن تنتقل من الإنترنت إلى المجتمع، ومن النخب إلى الناس، ويقتضي هذا نوعا من التبسيط في لهجة الخطاب وأدواته، وربما يحتاج إلى نوع من الإعلام الاجتماعي الموازي للإعلام التقليدي الموجود بالفعل، ولن يتم هذا إلا بإبداع في الوسائل البسيطة التي تنفذ وتنتشر أوسع وأسرع، وحركة التبسيط أو الإعلام الموازي هذه تحتاج إلى طاقات وجهود كثيرة وأفكار ومقترحات من الجميع.. فهل من متفاعلين؟!

تحتاج كل هذه البدايات إلى احتضان وتفعيل وتشبيك ودعم يساهم في استثمار الطاقات وتوسيعها، وتشجيع المبادرات، وتنمية مهارات العاملين والفاعلين فيها.

هذه هي الأفكار التي وددت أن أطرحها في تلك اللحظة الدقيقة من حياة أمتنا، لحظة تحتاج منا إلى التركيز والتفكير، والعمل المنظم، والحوار الهادئ، وسننجح بمقدار ما نحتفظ بعقول تعمل، وجهود تتشابك تدفعها مشاعر تفيض في قلوبنا جميعاً.

إن معركتنا مع الظلم والباطل والشر طويلة ومريرة، ولو استطعنا تنظيم أنفسنا، وإنتاج ردود أفعال مؤثرة؛ فإن هذا سيكون نجاحا يقلل من تضحياتنا، ويخفف من شعورنا بالخسارة في هذه الجولة.

وسأكون ممتنا لكل من يتفاعل مع هذه الأفكار فينقلها إلى غيره،

ويتحاور حولها مع من يعرف، أو يعمل بها في المحيط الذي يتحرك فيه، وسيسعدني أن يصلني رد مشجع أو إضافة موحية أو معلومة نافعة أو نقد يساهم في تطوير هذه الأفكار والبرامج؛ فالنص الذي أمامكم مفتوح للإسهام والتفاعل والتطوير.. والله الموفق.

الجهاد المدني.. الطريق إلى الفعل.. (مشاركة)

الأخ الكريم الدكتور، أحمد عبد الله، قرأت مقالتك عن "الجهاد المدني.. الطريق إلى فعل مختلف"، وأشكرك عليها لما حوت من معلومات قيمة، ورأيت أن الواجب يدعوني أن أضم صوتي إلى صوتك عبر صفحة "مشاكل وحلول للشباب" التي أعتقد أنها تستقطب الكثيرين من رواد موقعنا الكريم، لعل الاستفادة تكون كبرى.

إذ إنه يتوجب على كل من يملك مصباحا أن ينير الطريق الذي اشتد ظلامه في الآونة الأخيرة إلى درجة أصبح من المتعذر على الإخوة – خاصة من الشباب المتحمسين – تبين مواقع أقدامهم في ظلمة الليل الدامس، ولست ضد الحماس أبدا إذا أنتج فعلا موجها مؤسسا على منهج صحيح ورؤية شمولية للأمور؛ أي إذا ترافق الحماس مع الحكمة.

لكنني أخشى أن نصل إلى ما عبر عنه الإنجيل: "إنه صوت الشر فلتسكت الحكمة" بسبب الأصوات التي تتعالى هنا وهناك، داعية الناس إلى الجهاد المتجسد في مفهوم القتال فقط، مع أن مجالات الجهاد أوسع بكثير من هذا المفهوم كما بينت في مقالتك.

والحكمة تقضي باختلاف التصرف والاستجابة مع اختلاف الموقف والظرف، ولا أستطيع تبين وجه الحكمة فيما يجري الآن هنا وهناك من إثارة للعواطف والانفعالات بشكل يصبح الجميع معه

أدوات في يد أعداء الإسلام والإنسانية دون وعي؛ لأن الفعل المضاد لهؤلاء الأعداء لا يكون إلا باتخاذ أسلحة كأسلحتهم، وأهم سلاح يمتلكونه هو التخطيط، وهو السلاح الذي نفتقده على مستوى الأفراد والجماعات؛ فالعشوائية تغلب علينا، والانفعالية تحكمنا، والنظرة قصيرة المدى تحدنا.

وعندما أقول: إن أعداءنا يخططون فليس معنى ذلك أني من أنصار نظرية المؤامرة، بل لقد بينت رأيي في ردي المنشور بصفحة "مشاكل وحلول للشباب" تحت عنوان: "أفيدونا يا قوم.. الشباب بين الصفحة والواقع"، فلو لم تجد الجراثيم الفكرية الوافدة في الجسم العربي مرتعا خصبا لها لما وصل حالنا إلى ما نحن عليه الآن.

والسؤال الذي أطرحه على نفسي وعليك علنا كمن يفكر بصوت عال: مَن هو المستفيد من تفعيل العواطف وتجييشها عشوائيًا بهذا الشكل؟ هل هو بعض وسائل الإعلام بأشكالها المختلفة سواء الفضائيات أو مواقع الإنترنت أو الصحف ومن وراءها؟

لنأخذ مثلا الفضائيات العربية؛ إذ أرى كثيراً من القنوات العربية ما تزال تبث الأغاني والأفلام، ولا تذكر ما يحدث إلا من خلال الأخبار ذات المواعيد المحددة، بينما أرى بعضها الآخر جرد أسلحته كلها في رصد حالة الحرب على العراق وتحليلات أسبابها ودوافعها وتوابعها وتداعياتها، وهذا يحسب لتلك القنوات الأخيرة ولا شك؛ فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم كما ورد في الحديث [رواه الطبراني].

لكن هل يعني هذا أن تتوقف الحياة عند إدراك الحرب فقط؟ فأين بناء المجتمع الذي تدعو أنت له في مقالتك المعتبرة، ويدعو له

أمثالك من المثقفين المتنورين؟ ألا يستدعينا هذا الموقف الذي نراه أمامنا الآن يتكرر المرة تلو المرة في تاريخنا الحديث جداً أن نتوقف لنفهم ما يجري، وفي أي اتجاه يتم القذف بنا؟

السنة قبل الماضية شغلنا بأحداث الانتفاضة، والسنة الماضية شغلنا بأحداث أفغانستان ومذابح جنين وغيرها، ولم تكن ردود أفعالنا تجاه ما يحدث إلا ما تسمح لنا به الأنظمة الحاكمة، وقد سمحت حينها بالمظاهرات في أغلب البلدان العربية، اللهم إلا تلك التي فضلت أن تتقوقع في كهوف الصمت المطبق.

ولكن ردود الأفعال في أحسن الأحوال لم تتعدَّ الظاهرة الصوتية أو رسائل البريد الإلكتروني التي توقفت بتوقف الأحداث، وإلى الآن ما أزال أذكر أن إحدى الأخوات التي تُعتبر من المثقفات أرسلت لي صورة مأخوذة من موقع يهودي وكيف يخططون لتدمير الكعبة، فأرسلت أرجوها ألا ترسل شيئاً من هذا لي أو لغيري كي لا تساعد في دعم الخطط الصهيونية بنشر مخططاتها عبر الإنترنت؛ لأنها تساهم بذلك في الحرب النفسية؛ فرؤية بيت الله وهو يضرب بهذا الشكل إهانة لهذا المكان المقدس الذي له رب يحميه، لكن من يحمينا نحن من جهلنا وتخلفنا وغوغائيتنا وردود أفعالنا؟!

وهاهي ردود أفعالنا لا تختلف بحال عنها في السنة الماضية أو ما قبل الماضية؛ فقد عاد بريدي الإلكتروني يمتلئ بسهولة، وعادت الرسائل القصيرة "ترن" في المحمول من أمثال: "غدا دعاء للعراق من بعد صلاة الجمعة حتى المغرب"، أو "يوم الإثنين القادم صيام من أجل العراق"، ولا أحد يعترض بالطبع على أعمال الخير، لكن إلى متى سنبقى نذكر الله في الشدة وننساه في الرخاء؟ ولماذا لا نجعلها

عادة؛ فنلجأ إليه سبحانه صباح مساء؟!

لن أطيل عليك.. فقط أود أن أؤكد على بعض ما ورد في مقالتك الرشيدة، وأعقب عليها لعل في كلامي بعض الفائدة؛ إذ ما تزال شريحة واسعة من الناس لا تتقبل فكرة كهذه، وترفض بالكامل مسمى "الجهاد المدني"، **وأعتقد أن السبب أحد ثلاثة اتجاهات:**

الأول: ظن البعض أن فريضة الجهاد المدني تلغي فريضة الجهاد المقدس؛ لذلك وجب التأكيد على أن الجهاد المدني مرحلة أولية سابقة على الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، والذي يتمثل ببذل الروح رخيصة عندما يتطلب الأمر ذلك، لكن كون هذه الروح غالية جداً لأنها أمانة من الله سبحانه؛ فيجب أن يكون لدى المسلم البصيرة والوعي الكافيان ليعرف متى يبذلها ومتى يحميها.

وأبسط مثال على ذلك أن الشهادة في سبيل الله مآلها الفردوس الأعلى، أما الانتحار فعاقبته النار، رغم أن كليهما موت، لكن شتان بينهما.

الثاني: يظن البعض أن مفهوم الجهاد المدني يعني مسالمة ومهادنة الحكام، ويحتجون على ذلك بمقولة: "إن الله يصلح بالسلطان ما لا يصلح بالقرآن"، ومع عدم إنكاري صحة هذا القول؛ فإن الأمر ليس كذلك فيما أعتقد، بل إن السعي في بناء المجتمع المدني هو اعتماد أسلوب اللاعنف في الخروج على السيطرة، وشل إرادة المستبد، وهذه آلية من أعقد الآليات، وتحتاج حكمة وبصيرة وحنكة وذكاء، وتشتد هذه الحاجة كلما كان الحاكم مستبدا، وليس أجمل من قول عبد الرحمن الكواكبي رحمه الله: "إن الاستبداد لا يواجَه بالعنف، ولكن يواجه بالذكاء".

الثالث: ارتبط مفهوم المجتمع المدني في أذهان الكثيرين منا بفكرة فصل الدين عن الدولة التي نادى بها متنورو العصور الحديثة كرد فعل على ظلم الكنيسة وارتباطها بالطغيان الملوكي، حتى سادت تلك العبارة: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس"، وأعتقد أنه أحد الأسباب التي جعلت مؤسسات المجتمع المدني منعزلة عن القاعدة الشعبية كما تتفضل؛ فهنا أرى أنه من الممكن أن نستفيد من تجربة الأمم الأخرى دون أن نطبقها حرفيًا بشكل لا ننخلع معه من خصوصيتنا وذاتيتنا.

فأنا رغم أنني أتفق معك بالرأي أن يتم الاتحاد مع كل الأيديولوجيات الأخرى التي تدعو إلى تفعيل المجتمع المدني حتى لو لم تكن إسلامية، وذلك اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام الذي اشترك في حلف الفضول قبل الإسلام؛ بحيث ينتصر للمظلوم من الظالم، وقال عنه بعد البعثة: "لو دعيت إلى مثله في الإسلام لفعلت" [رواه أبو داود]؛ أي لا مانع من العمل المشترك مع كل من يدعو إلى احترام حقوق الإنسان، وإرساء الحريات والمزيد من الشفافية، مهما كانت وجهته الدينية أو الأيديولوجية.

لكن يجب أن أعترف بالإشكال القائم لدى البعض برفضهم هذا التقبل للآخر، وأرى أن **على المثقف المسلم مهمتين هنا:**

أولاهما: هي تغيير نظرة العامة للآخر المخالف بشكل تدريجي.

وثانيتهما: هي الاستناد إلى منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع؛ لأنه هو المنهج الأكمل والأصلح. ومن سمات هذا المنهج: الربانية، والشمولية، والثبات والمرونة، والترغيب والترهيب، وأخيراً التيسير.

واسمح لي أن أؤكد على ما ذكرته أنت من مجالات الإصلاح بتسجيلها اعتمادا على منهج القرآن الكريم - دون ذكر الشواهد كي لا تطول مشاركتي - لأنها هي المجالات التي ينبغي التأكيد عليها حاضراً ومستقبلاً:

- إصلاح العقيدة: كالدعوة إلى التوحيد الخالص، وحث العقل على التفكير والنظر، والنهي عن اتباع الظن والتقليد في العقائد والأحكام، وإظهار العقائد الفاسدة لأهل الكتاب والمشركين، وإغلاق كل الأبواب المؤدية إلى الشرك، والتحذير من الشرك الأصغر (الرياء)، والتحذير من النذر والذبح لغير الله أو الحلف بغير الله، والتحذير من إتيان الكهنة والعرافين، والتحذير من إشراك غير الله في التشريع والحاكمية.
- الإصلاح الأخلاقي: وهذا غني عن التفصيل فيه؛ فمكانة الأخلاق في الإسلام معروفة، ويكفي حديث من لا ينطق عن الهوى: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" [رواه البخاري].
- الإصلاح الاجتماعي: كعلاقات الأرحام والجوار والصداقة، والعلاقة بعامة المسلمين وبغير المسلمين، والتأكيد على روابط المجتمع المسلم بما فيها مفاهيم الأخوة، والمساواة، والحب في الله، والتعاون، والتكافل، والتناصح، والإيثار.
- الإصلاح الاقتصادي: كتصحيح النظرة إلى المال، ووجوب العمل، ومحاربة البطالة، واستغلال الموارد الطبيعية، والأمر بالاقتصاد والنهي عن الإسراف، وتحريم موارد الكسب الخبيث، وتحريم الاكتناز وتشجيع الاستثمار، والتكافل الاقتصادي، وتقريب الشُقة بين طبقات المجتمع، والحث على التزام القيم الإسلامية في المعاملات.

- إصلاح السياسة والحكم: كالحكم بمنهج الله، وإقامة العدل، وممارسة الشورى، وتحقيق الحرية، ووجوب صلاح الحكام وعمالهم، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين، ومركز الحاكم وسلطاته وواجباته.

وإذا تأملنا هذه المجالات الخمسة نرى أن مجتمعاتنا تعاني من خلل كبير فيها، والخلل الأكبر الذي يجب التنبيه له أن مهمات الإصلاح هذه لم تعد مسؤولية الفقهاء وعلماء الدين والدعاة، اللهم إلا في مجالي العقيدة والأخلاق.

أما الأمور الأخرى فلا بد من معالجتها من قبل الدارسين المختصين المسلمين، والسبب يعود إلى تشعب الحياة وتفرعها وتنوعها بشكل لم تعد الدراسة الدينية كافية وحدها في حل كثير من المعضلات التي نواجهها على صعيد المجتمع والاقتصاد والسياسة؛ بل لقد بات فريضة وضرورة أن يجمع المصلح الاجتماعي مثلا بين دراسة علم الاجتماع والتجارب الإنسانية في هذا المجال، والإحاطة بآليات التغيير من وجهة نظر إسلامية رحبة، وما ينطبق على الاجتماع ينطبق على الاقتصاد وعلى السياسة.

وهذا يجعلني أؤكد على فكرة التضحية التي هي من أهم وسائل الجهاد المدني، وقد أوردت أنت هذه الكلمة تحت مفهوم التطوع؛ لأنه درج الاعتقاد في مجتمعاتنا أن الدارس لهذه العلوم الإنسانية لن يكون مورده المالي كالطبيب أو المهندس، وإن كان هذا الاعتقاد لا يخلو من صحة، ولكن الأرزاق بيد الله سبحانه.

وأتمنى أن يفهم الجيل الشاب هذه العبارات التي يقرؤها ويفقه أبعادها؛ فنحن على مشارف تحدٍّ واسع جداً في العقيدة والمجتمع

والأخلاق والسياسة والاقتصاد، ويجب أن نفكر منذ الآن بالتخطيط للمستقبل القريب والبعيد، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [الحشر: 18]، فجعل عبارة "وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ" معترضة بين "اتَّقُوا اللهَ" الأولى و"اتَّقُوا اللهَ" الثانية.

وما أفهمه من هذا الترتيب الحكيم أننا كما أننا مأمورون بالتقوى مأمورون بالتخطيط للمستقبل، وإن كان البعض لا يفهم من كلمة "الغد" في هذه الآية الكريمة إلا الآخرة، فإن الدنيا لا تنفصل عند المسلم عن الآخرة، بل الأولى طريق للثانية.. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا مأمورون بإعمار هذه الأرض، وبناء المجتمع الإنساني. وهذا لا يكون إلا عبر تخطيط دنيوي محكم، يتبصر أخطاء الماضي، ويستشرف آفاق المستقبل، ويستعين بتجارب الآخرين، ويستضيء بنور الله ومنهجه الرباني الشامل.

إذن نستنتج مما ذُكر أعلاه أن مفهوم المجتمع المدني يعادل تماماً فكرة إصلاح المجتمع التي هي غاية إسلامية بالأساس، ولا يقلل من أهمية هذه الغاية إطلاق اسم "مصطلح جديد" عليها، أو الاستفادة من التجارب غير الإسلامية ما دامت هذه الوسائل مباحة في شرعنا.

ولذلك اسمح لي أن أتوسع بما أتيت أنت به مثالا على اللاعنف، وهو تجربة غاندي في الهند، وما يدعوني إلى التوسع والإيضاح هو ظني أننا على وشك أن نصبح في مواجهة مع الثقافة الغربية بشكل لم يسبق له مثيل من قبل؛ إذ من المتوقع أن تكون الهيمنة الغربية على أراضينا ليست ثقافية فحسب بل اقتصادية أيضاً إن لم تكن

سياسية وعسكرية، وها قد ظهرت النوايا بالكلام عن الشركات الأجنبية التي ستبدأ إعمار العراق، ومصائب قوم عند قوم فوائد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لجأ الهنود في مقاومتهم ومقاطعتهم السلمية للمستعمر إلى أساليب كثيرة، منها الانقطاع عن العمل في مؤسسات المستعمر، والامتناع عن استخدام أوعيته الاقتصادية من بنوك وشركات، ومقاطعة مناسباته واحتفالاته، ورد ما حصلوا عليه من أوسمة وشهادات ومكافآت، وهجر مدارسه ومعاهده ومراكزه، بالإضافة إلى تنظيم المسيرات الصامتة ورفع الأعلام السوداء على المباني وتشكيل لجان جمع التبرعات لدعم المحتاجين والمتضررين من الانقطاع عن العمل في دوائر المستعمر، واتباع متطلبات اقتصاد الحرب من تقشف ونبذ للبذخ.

على أن أهم مظهر من مظاهر التجربة الهندية كان مقاطعة بضائع المستعمر، وعلى رأسها الملابس التي كانوا ينتجونها في مصانعه اعتمادا على ثروة الهند من القطن، ويعيدون تصديرها إلى ملايين الهنود، محققين من ورائها ثروات طائلة.. وكان رأي غاندي أنه لو اعتمد كل هندي على نفسه في صنع ما يلبس وزراعة ما يأكل لتغيرت أمور كثيرة. وبطبيعة الحال لم يكن غاندي يقصد بذلك أن الهنود بمقدورهم أن يُفقروا المستعمر، ويحطموا اقتصاده إن قاطعوا بضائعه ومنتجاته، وإنما كانت المقاطعة بالنسبة إليه عملا رمزيا يشير إلى امتلاك الهنود للإرادة والعزيمة الضرورتين لصنع المعجزات.

وهكذا دارت مغازل القطن اليدوية في كل بيت وقرية ومدينة على امتداد مساحة الهند لتوفر البديل للمنتجات الأجنبية، ولتشكل

أصواتها الهادرة بالتزامن أجمل نشيد وأحلى نغمة من أنغام الحرية، على حد وصف نهرو. وكانت المحصلة أن شعر الهنود لأول مرة بسريان روح العزة والكبرياء في نفوسهم. وهو ما كان يسعى إليه غاندي تحديدا.

وإيمانا من غاندي بأن كل فكرة تطرح على الجماهير لن يكتب لها النجاح إلا إذا قدمت القدوة الحسنة؛ فإنه حينما دعا إلى المقاطعة بدأ بنفسه. وهكذا انقطع الرجل الحاصل على إجازة المحاماة من جامعات بريطانيا عن مزاولة مهنته أمام محاكم الهند البريطانية، وهجر ملابسه الأوروبية، مستعيضا عنها بالكادي الهندي المصنوع من القطن المحلي، واقتصر طعامه على حليب ماعزه، وما تجود به الأرض الهندية من حبوب.

ليس هذا فحسب بل من خلال تغطية جسمه بالقدر الأدنى من القماش الكافي لستر العورة، ومن خلال حمل مغزل القطن معه أينما ذهب، والجلوس خلفه لساعات طوال أعطى القدوة في الامتناع عن الإسراف، طالما أن الأمة تعيش معركة الحرية التي تستوجب الاقتصاد والتعاضد والمشاركة، وأعطى القدوة في استغلال الوقت في العمل المنتج الذي يوفر البديل لبضائع الغرب.

وتأسيسا على هذه المبادئ فإنه اشترط على رموز الحركة الوطنية حينما طلبوا منه قيادة حزب المؤتمر الهندي أن ينتج كل واحد منهم ألفي ياردة من النسيج شهريا كي يثبتوا أنهم والشعب في التضحية والمقاومة سواسية، وأنهم بالتالي جديرون بقيادته وتمثيله.

والسؤال: كم عدد المثقفين الذين يستطيعون أن يكونوا قدوة كما كان غاندي؟ وكم عدد الذين يشجعون الصناعات الوطنية لدينا؟ أليس

الخلل موجوداً على مستوى النخبة كما هو موجود على صعيد العامة؟ وهل السبب يعود إلى خنق الروح الوطنية عند الكثيرين بسبب الأنظمة التي تحكم حاليا أو التي حكمت سابقا؟ أم أن السبب هو أننا اعتدنا على الرفاهية والتنعم؛ لدرجة أصبح معها سلاح المقاطعة صعبا للغاية؟ وسواء كان الأمر هذا أو ذاك.. فكيف نستعد للغزو القادم الذي لا يعلم إلا الله مداه؟ وما هو الحل لهذه السلبية المتوارثة؟ أو ما هي الطريقة لتفعيل أي عمل إيجابي ليكون ذا مردود أكبر؟

ربما يظن البعض أن أسئلتي هنا سابقة لأوانها، لكنني أعتقد أنه يجب ألا يتحدد تفكيرنا في المرحلة الحالية، بل يجب أن نفكر في خطوات الخصم القادمة، كما يحدث في لعبة الشطرنج تماما؛ فهم يفكرون في مرحلة ما بعد الحرب على العراق، لكنهم خططوا لتغيير الخارطة السياسية للمنطقة العربية منذ زمن، ويجب أن تمتد نظرتنا لتشمل هذه المرحلة.

من هنا وجب التنويه إلى أنه مع اقتناعنا بتجربة غاندي فإنه يجب فهم الغاية منها، وهي ما ذكر في "سريان روح العزة والكبرياء في النفوس"، وهذا لا يتحقق لنا نحن المسلمين إلا بتربية إيمانية جديدة عبر فهم مقولة عمر رضي الله عنه: "إننا قوم قد أعزنا الله بالإسلام.. فمهما طلبنا العزة بغيره أذلنا الله"، وقد أفرد ابن خلدون – رحمه الله – فصلا في مقدمته بعنوان "العرب قوم لا يصلحهم إلا الدين".

لذلك استيفاء بأن أعطي الموضوع حقه أقول: لا مانع من الأخذ بتجارب الأمم الأخرى، لكن لا بد من الاعتزاز بديننا، وأن المستقبل له رغم كل حلكة الليل، ولنا في رسول الله محمد عليه الصلاة

والسلام خير قدوة عندما بشّر سراقة بن مالك بسواري كسرى وهو مطارد من قريش؛ فلنتعلم الأمل من مدرسة رسول الله، ولنتعلم الزهد وترك البذخ والابتعاد عن التعلق بالدنيا وحب الرفاهية كذلك، وهنا بعض الأمثلة:

قال صلى الله عليه وسلم عندما قدم أبو عبيدة بمال الجزية من البحرين: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟" فقالوا: أجل يا رسول الله. فقال: "أبشروا وأملوا ما يسركم؛ فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تبسط عليكم كما بسطت على من كان قبلكم؛ فتنافسوها كما تنافسوها؛ فتهلككم كما أهلكتهم" [سنن ابن ماجه].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله بمنكبي، فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"، وكان ابن عمر يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك" [رواه البخاري].

ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أصاب الناس من الدنيا فقال: لقد رأيت رسول الله عليه الصلاة والسلام يظل اليوم يلتوي ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه (الدقل: رديء التمر) [رواه ابن ماجه].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله عليه الصلاة والسلام على حصير، فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاء! فقال: "ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها" [رواه الترمذي].

لذلك لا بد من العودة إلى سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام بكل أبعادها الإيمانية والتربوية؛ فقد أخذتنا الدنيا بعيدا عنها، رغم أنها الثقافة الوحيدة التي تجمعنا كمسلمين في معسكر مضاد تماماً لثقافة المتعة والمادة والاستهلاك، وأرى أنه من الواجب اعتمادها منهاج حياة منذ الآن كي نستطيع الصمود أمام الغزو القادم، وكي تعود لنا عزتنا وكرامتنا وهيبتنا بين الأمم.. هذا ما خطر لي أخي أحمد، وجزاك الله خيرا، وبارك لك في وقتك، وتقبل منا ومن جميع المسلمين أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

د. ليلى أحمد – سوريا

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

جزاك الله خيرا على هذا التفصيل والتوضيح الذي ربما زاد النص الأصلي لمقال الجهاد المدني وضوحا ووصولا إلى البعض من الذين غابت عنهم مقاصده أو آفاق معانيه، وأحسب أن لدى الأغلبية منا إعاقات عميقة في فهم حقيقة وجوهر الإسلام ودعوته ورسالته للعالمين، وكذلك في فهم اللغة التي يتحدثها العالم اليوم، والمشاكل التي تشغل العاملين والمناضلين في سبيل إنسانية أفضل، ونتيجة لهذه الإعاقات المؤسفة فإننا – في الغالب – لا ندرك أن أهم مكونات المشهد الحالي هي تلك الحركة غير المسبوقة في تاريخ الإنسانية، والتي تجتمع على مناهضة الظلم والعدوان، والمصالح المادية العمياء، ووقاحة الإمبريالية الفاجرة التي تمثلها عصابة بوش بامتياز، ونغفل أيضاً عن الدور المنتظر من المسلمين بأن يكونوا الخيط الجامع لهذه الحركة، والقوة الدافعة لها نحو المزيد من الفعالية في

مواجهة الشر ليس من باب اعتزاز المسلم بخصوصيته فحسب، ولكن لأن هذه الحركات تحتاج إلى قلب وروح وارتباط بالله سبحانه على نحو أعمق من مجرد الدروشة التي نغرق فيها.

والدروشة تعبير مصري أرجو أن يكون مفهوما للجميع، وهو اختيار لفظي موفق اختاره الشهيد حسن البنا حين أراد التمييز بين الربانية والروحانية بالمعنى الإيجابي المطلوب، وبينها حين تكون مجرد أوراد تتلى، ودموع تنساب، وكلمات تقال دون عمل عام منظم لا ينفع الناس، ويعمر الأرض، وينهض بالحياة عليها في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا فيها.

أغالب أحزاني هذه الأيام وأنا أرى هذه اللحظة النادرة تكاد تفلت من أيادينا بسبب سوء فهمنا، وعجز إدراكنا، وأود أن أصرخ – لو يفيد الصراخ – في الغافلين المحبطين المشوشين من أبناء أمتنا، المصابين بالصمم عن سماع ما يهم، وبالعمى عن رؤية ما ينفع، وبإدمان إسلام مغشوش أصابهم بالتخلف عن الدين والدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا!! على كل حال عندي أمل أن حركة جديدة تبدو في الأجيال الشابة عفوية، ولكنها واعدة، بعضها في أوساط ملتزمة دينيا، وبعضها في أوساط متحمسة وطنيا، وأدعوك إلى تأمل هذه الحالة الجديدة والتماس أخبارها، ومحاولة التواصل معها. فإن هذا أفضل للدين والنفس من البكاء على حال من لا يدرون ولا يدرون أنهم لا يدرون، وأشكرك على تفاعلك ومساندتك.. فتقبلي دعواتي وتحياتي.

يا نساء "إسلام أون لاين"..
هل تنتظرن الاغتصاب؟!

إلى الدكتورة سحر أو أي إنسان في هذا العالم الغبي، والله حرام، ما هذه الأفكار الغبية التي تؤيدينها؟ لقد فتحت الوصلة، ودخلت على مقال "الجهاد المدني".. ما هذا؟ هل تعيشين على الأرض أم في بلوتو؟ هذه الأشياء كلها لا تعمل، النخبة عندنا (وأنا بهذه الكلمة أعنيكم) قالت مثل هذه الكلمات عند احتلال البوسنة وكوسوفو، وكذلك عند بداية الانتفاضة، وعند احتلال أفغانستان، وتقولونها الآن! فماذا حدث؟! عندما يفشل تصور ما لمئات المرات؛ فإن هذا يعني شيئاً واحدا؛ هو أن الأمر يحتاج لتحول تام في التصور، نحن نريد أن نتعامل مع مشكلاتنا الحقيقية، عدونا هنا، وتحرير القدس يبدأ من تحرير القاهرة.. هل ساعدت طرقكم الفلسطينيين أو الشيشان؟

الإجابة لا، الدعاء لن ينفع بمفرده، الله سبحانه وتعالى وضع طرقا وسبلا لفعل الأشياء، انظروا حولكم لتجدوا أن الكافرين يسودون لأنهم يلحظون سنن الله التي تنجح على الأرض، لماذا لا تفكر نخبنا في الأطروحات الحقيقية؟ كيف يمكننا فعلا أن نساعد إخواننا؟

وللنساء في "إسلام أون لاين.نت" هل تنتظرن حتى تُغتصبن؟ نساء المسلمين يُغتصبن في أماكن متعددة حول العالم، لا يوجد وقت

للخفة والاستهتار، لا بد أن يكون الكلام على مستوى خطورة الحدث.

أحد أصدقائي نصحني بألا أبعث إليكم؛ لأنه أرسل إليكم ولم يتلق أي رد..

حسنا، أنا فعلت ما عليّ، وسواء استجبتم أم لا فهذا يعتمد على نياتكم الحقيقية، والسلام عليكم.

عمرو – مصر

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

أخي الكريم أرسل إليّ هذه الرسالة، ولقد آثرت أن أرد عليه مباشرة على بريده الإلكتروني، سائلة إياه أن يرسل لنا بأي مقترحات لنناقشها معا على صفحة "مشاكل وحلول للشباب"، وطلبت منه أن يعتذر عنا لصديقه؛ لأننا فعلا نرد على كل ما يصلنا حتى إن تأخرنا، والتأخير يكون خارجا عن إرادتنا، وذلك بسبب ضغط العمل والرغبة في إجادته، فإذا لم نرد فتأكدوا أنه حدث خطأ إلكتروني؛ فإما أن الرسالة لم تصل لنا من أساسه أو أننا رددنا عليها عبر البريد الإلكتروني، ولكن السائل أخطأ في كتابة عنوانه فلم تصله الرسالة، وعموما أرجو من كل أصدقائنا ألا يترددوا في إرسال رسالتهم مرة أخرى لو لم يتلقوا عليها ردا منا.

المهم أن صديقنا أرسل لي رسالة تحوي أفكارا ورؤى قيمة، وسوف نناقش ما حوته من أفكار في اجتماع فريق المشاكل، ثم نعرض عليكم رسالته وبلورة لأفكار الفريق، فانتظروا هذه الرسالة والنقاش الدائر حولها في الأيام القادمة.

ولي ملحوظة صغيرة على كلمات الأخ الكريم؛ حيث إنه نادانا بالنخب، ونحن - أو على الأقل أنا - لا أعتبر نفسي من "النخب"، ولا أجد في نفسي أي رغبة للغرق معهم في التنظير أو الجدال حول المصطلحات والتعريفات والتصنيفات، وما يعنيني من هذا هو ما يمكن أن ينقل من أفكار النخب، وما يمكن أن يتحول لبرامج عملية يمكن أن يطبقها عموم الناس.

أخي الكريم، مرة أخرى أشكرك على إيجابيتك وغيرتك على أمتك، وأدعو الله أن يعيننا جميعاً على أن نخطو خطوة في طريق النصر والتمكين لهذه الأمة، وأدعوه أن يرزقنا حسن الفهم وحسن العمل.

يا نساء إسلام أون لاين..
(متابعة)

السلام عليكم، د. سحر، لقد قرأت خطابي اليوم بعد نشره، ولقد أدركت كم كانت كلماتي قاسية، أرجو تقبل اعتذاري، ردك كان مؤدبا جداً بحيث أشعرني بالخجل من نفسي، أرجو أن تتأكدوا أن نيتي لم تكن أبدا إيذاء أي منكم، ولكنني فقط كنت أود أن أبدأ حوارا أعتقد أننا في أشد الحاجة إليه، فعلا أنا أحترم كل العاملين في "إسلام أون لاين.نت"، وجزاك الله خيرا، وهذه المقترحات أرسلها صديقي قبل ذلك ولم يتلق شيئا؛ لذلك فسوف أرسل تصوره مرة أخرى؛ لأنني أعتقد – والله سبحانه وتعالى أعلم – أن هذه الأفكار أقرب للواقع، وعموما أشكرك على الرد، كما أرجو منكم أن تتحملوني حتى النهاية..

- لا بد أن يعلم الناس أن العدل هو قيمة مطلقة في الإسلام، وأن الحاكم الظالم لا بد أن يزال، وللأسف فإن معظم الفقهاء يرفضون هذه الفكرة؛ حيث يهمل أكثرهم نوعية حكم الحاكم، وعندهم أن الحاكم لا بد أن يطاع حتى يخرج عن الإسلام، كتب الحديث تذخر بمعاني الطاعة، وفي الوقت نفسه هناك حديث يقول: "لا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل" [مسند أحمد]، وبمحاولة التوافق بين هذه الأحاديث تحت غطاء القرآن والسنة يمكننا أن ندرك الأهمية المطلقة لإقامة العدل، ومقاومة الظلم،

والتمتع بالطيبات، ومنع الآثام والشرور (ويمكننا مناقشة هذه الأفكار لاحقا، ويمكنني أن أقوم بتحليل كل هذه الأحاديث إن شاء الله).

- ولأن معظم حكامنا غير عادلين ومفسدين (وأنا هنا لا أهتم بكونهم مسلمين أو غير مسلمين) فإنهم لا بد أن يُزالوا من مناصبهم، والحقيقة أن من أكثر ما يذهلني النقاش حول كون الحكام مسلمين أم مارقين أو مرتدين، وهذه قمة المهزلة، وهناك من يقول بأن الحكام كفار وآخرون سيتجادلون حول متى نحكم في الإسلام على شخص بأنه كافر.. فماذا عن الظلم؟ وماذا عن الفساد؟ وماذا عن "الواسطة والمحسوبية"؟ هذه عقلية الرقيق العبيد، المفسد ليس له أي إنجاز، نظل دائما نردد أن علينا أن نكون عادلين في تقييم حكامنا؛ لأنهم ليسوا على هذه الدرجة من السوء، حسنا سأقولها ثانية: لا يوجد أي جدارة للمفسد إلا عند من يرضون بعيشة العبيد وبأكل الفتات الذي يتساقط من النخبة المتسلطة.
- 3 – ولهذا فنحن بحاجة لعدة أشياء:

- تعليم الناس معنى وقيمة العدل، والحقيقة أننا نحتاج لفقيه باسل ليضيف العدل كمقصد من المقاصد الخمسة الأساسية، وهى حفظ الدين والحياة والعقل والذرية والملكية، بعض الناس يضعون العدل تحت الدين أو تحت عباءة قيم أخرى، ولكنني أتمنى أن أعيش حتى يصبح العدل قيمة أساسية غير تابعة.
- على كل واحد أن يبدأ التفكير في هذا السؤال: ماذا سنفعل بعد إزالة الخونة؟ نحن نحتاج أشخاصاً يفكروا في الشكل الكامل للحكومة، نحتاج أن يفكر بعضنا في كيفية تطبيق الشورى،

ونحتاج أن نفكر في كيفية إنشاء نظام قوي وعفي حتى نتجنب السقوط ثانية في الهاوية، نحتاج نظرية اقتصادية تضع في الاعتبار التغيرات الدولية الحالية... وهكذا. أخبر الخميني أحد الصحفيين المصريين أن ثورته نجحت قبل أن يعد أي نظام وإستراتيجية، وأعتقد أن هذا ما حدث في باكستان، نريد أن نعد خطة كاملة بقدر ما نستطيع، وأعتقد أننا - والحمد لله - عندنا عقول جيدة بتوجهات إسلامية، ولكنهم للأسف غارقون في التفكير فيما لا يفيد، نحن نحتاج برامج قابلة للتطبيق تُبنى وتؤسس على الإسلام، وتستفيد من الثقافات الأخرى كخبرات إنسانية.

- وفي الوقت نفسه لا بد أن نخطط للعصيان الذي يمكن أن يتراوح بين العصيان المدني إلى الثورة الكاملة (مثل الثورة الإيرانية). لا بد أن تتحرك الجموع مطالبة بالإصلاح سلميا إذا أمكن هذا، ولكن الفشل يعني أنه لا بد من إراقة الدماء وهذا هو الجهاد الأخير، أنا لا أحب إراقة الدماء، ولكن الظلم لا بد أن يزال والعدل لا بد أن يسود.

والسؤال هو: لماذا لا يبدأ المسلمون بإعداد شبكات لتحقيق هدف إعداد البرامج، والله نحن نستطيع ذلك، دائما ما يقال بأن المسلمين يطمحون لتطبيق الشريعة، ولكنهم عندما يسألون: كيف؟ لا يعطون إجابة.. لماذا؟ أعلم أن بعض الحركات الإسلامية مثل حزب التحرير لها برامجها الخاصة، ولكنها برامج شديدة البساطة، وتهمل الواقع والمتغيرات العالمية، وتعتمد على تواجد الخليفة أو الإمام، وكذلك ترفض التدريج عند التطبيق، نحن نحتاج برامج حقيقية قابلة للتطبيق إن شاء الله، والسلام عليكم.

عمرو - مصر

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

وصلتني مشاركة أخي الكريم عمرو تعليقا على مشاركة أخرى بعنوان: "طبول الحرب تدق.. والإنترنت كنز مهدر"، ولا أخفيكم سرًا أنني عندما لمست منه غضبا شديدا واعتراضا تاما على فكرة الجهاد المدني في الخطاب السابق طلبت منه أن يكتب لي عن مقترحاته في هذا الصدد حتى أتعرف بالضبط على من يحادثني ومن أي أرضية يتكلم.

وكنت أتوقع أن يكون رده هكذا: "ليس أمامنا إلا حمل السلاح" (والذي اختزل مفهوم الجهاد الواسع بحيث أصبح مقصورا عليه)، وكنت أعد ردي منطلقا من فهم الواقع المعاصر الذي فرض علينا قصر القتال بالسلاح على فئة محدودة مدربة على القتال بمعطيات التكنولوجيا الحديثة من دبابات وطائرات وصواريخ وغيرها، فضلا عن الواقع السياسي الذي حال بيننا وبين نصرة إخواننا، مع التأكيد على أن قصر مفهوم الجهاد على القتال بالسلاح هو فهم قاصر ومنقوص، وأن للجهاد سبلا أخرى كثيرة ومتعددة غير حمل السلاح.

وانتظرت رده فجاء مخالفا لتوقعاتي، ووجدت من رده أننا نقف على الأرض نفسها، ونتكلم بنفس اللغة، وأن نقاط الاتفاق بيننا أكثر بكثير من نقاط الخلاف، وتعليقا على رسالتك وعلى ما تفضلت به أقول:

لقد أكدت أخي الكريم في كلماتك على أهمية العدل من حيث كونه قيمة مطلقة لا بد من إرسائها، وفيما أعتقده ويعتقده كل القائمين على صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت" أن

الإسلام ما جاء إلا ليقر قيم العدل والحق والحرية والمساواة. فالعدل والحق من أسمائه سبحانه، والمولى عز وجل يقول في الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا" [رواه مسلم].

وفي القرآن: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: 90] ويأتي الأمر للرسول الكريم: ﴿وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: 15]، ولكل من يحكم في أمر الناس: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: 58]، ونحن مأمورون بالعدل حتى في أقوالنا، وحتى لو مس هذا العدل ذوي القربى منا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: 152]، وقال صلى الله عليه وسلم: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها" [رواه البخاري]، ونحن مأمورون بالعدل حتى مع من نُكنُّ لهم العداء أو البغضاء: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: 8]؛ لأن العدل باب للتقوى ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: 8]. والرسول الكريم يقول في الحديث الشريف: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما قال تأخذ فوق يديه" [رواه البخاري]، والإمام العادل من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله [كما في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه].

ومن هذا الفهم انطلق الخلفاء الراشدون جميعا؛ فكانوا بأفعالهم لا بأقوالهم نماذج تضرب في العدل، ولقد قيل في الفاروق عمر: "عدلت فأمنت فنمت يا عمر"، وعدله هو الذي جعل النصراني المصري يهرع إليه قاطعاً الرحلة الشاقة من مصر إلى المدينة، شاكيا من الظلم الذي وقع على ابنه من ابن عمرو بن العاص، ويقتص

الفاروق من ولد عمرو بن العاص ومن والده ويقول كلمته الخالدة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ولقد كان هذا الفهم راسخا في أذهان المسلمين حتى يقول الجندي المسلم ربعي بن عامر لملك الفرس: "جئنا لنخرج العباد من عبادة العباد لعبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

ومن قمة التعظيم لقيمة العدل قوله صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول الذي حضره قبل البعثة، والذي قرر فيه بعض من أهل قريش التعاون على نصرة المظلوم والأخذ على يد الظالم: "لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت" [رواه أبو داود]، وهي إشارة لنا من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أنه على المسلم أن يساند ويناصر من يرفع لواء العدل حتى ولو كان مشركا، والإشارات عن أهمية العدل وقيمته المطلقة في الإسلام لن تُنهى في هذه العجالة. ومثل ذلك بالنسبة لقيم المساواة والحرية، ويكفي أن الإسلام كفل حرية العقيدة: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

لم يعارض كل الفقهاء الخروج على الحاكم؛ حيث انقسموا إلى ثلاث مدارس: مدرسة الخروج أو السيف التي تؤيد الخروج على الحاكم "الذي لا يقيم الشرع" مهما كانت الظروف، ومدرسة الصبر التي ترى الصبر على الحاكم؛ لأن محاولة خلعه ربما تأتي بفتن تفوق ما يترتب على بقائه، ومدرسة التمكن التي تجعل التمكن شرطا للخروج وتدعو للموازنة بين المنافع والمضار، وكما ترى فإن معارضي الخروج لا يبغون إلا تغليب المصلحة العامة ودرء مفسدة التفرق شيعا.

ومن الجدير بالذكر أن الفقهاء عندما يتحدثون عن الخروج فإنهم يقصدون الخروج بالسلاح؛ وذلك لدرء مفسدة سفك الدماء، ولم يقصدوا إطلاقاً أنواع العصيان المدني المختلفة، أو إظهار رأي مخالف والتعبير عنه باللسان أو القلم. فهذا من المعارضة المشروعة، ما دامت في إطار السلم، ولقد أحببت أن أشير في عجالة إلى تعدد الآراء الفقهية المختلفة في هذا الأمر، ولكن الحكام يعملون على نشر فتاوى مدرسة الصبر لتثبيت دعائم عروشهم، ولمزيد من التفاصيل يمكنك الرجوع إلى الفتوتين التاليتين في "بنك الفتاوى" بموقع "إسلام أون لاين.نت":

- **الخروج على الحكام.. التعريف والحكم**
- **حكم الخروج على الحكام أثناء الفتنة**

وإلى الموضوع التالي في صفحة "مفاهيم ومصطلحات":

- **الجهاد.. أسلحة كثيرة قبل هدير المدافع**

الاختلاف الجوهري بين ما تفضلت بطرحه وما نعتقد فيه ونؤمن به - والاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية - هو أنك ترى حل كل أزمات هذه الأمة سواء الاقتصادية أو السياسية أو الاجتماعية... في إزالة الحكام من فوق كراسيهم، وهذا أشبه بمن يأتي لقمة الهرم فيزيلها ويضع غيرها ويترك قاعدة الهرم كما هي بكل ما فيها من عيوب وخلل في التكوين، فما أسهل أن تنزع هذه القمة التي أقيمت على غير أساس، وما أسهل أن تنحرف وتميل؛ لأنها لا تجد القاعدة التي تدعمها وتحفظ لها استواءها، والقاعدة سليمة الأساس قوية البنيان ستُقوّم أي اعوجاج في القمة، أو تزيلها إن لم يصلح فيها تقويم.

أنت تتحدث عن حاكم، ونحن نريدها أمة تُقوّم الحاكم، أمة من الأحياء لا الأموات، أمة من المواطنين الذين يعلمون جيداً ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات، ويؤدون واجباتهم ويطالبون بحقوقهم. وحدوث هذا كفيل بإصلاح الحاكم، وحدوث غير ذلك لا يعني إلا استبدال قمة فاسدة تكرس قهرا وظلما وجورا وفسادا أكثر بأخرى فاسدة، وحالنا كأوطان عربية يؤكد هذا المعنى؛ فلقد استبدلنا بالاستعمار وأعوانه غيرهم من حكام النظم الشمولية. فهل انتهى القهر والظلم والاستبداد؟!! قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، وفي الحديث: "وكما تكونوا يولى عليكم" [رواه البيهقي]، وقال الشاعر:

إذا الشعـــبُ يومـــاً أراد الحيـــاة

فــلا بــدّ أن يستجيــبَ القــدر

والأمثلة التي تظهر أن حياة الشعوب هي التي تصلح الأمة لا تعد ولا تحصى، ولكن سأكتفي بسرد مثالين: المثال الأول لسيدة زنجية تدعى روزا باركس ركبت الحافلة أثناء عودتها من العمل، وكان القانون يحتم على الزنوج أن يتخلوا عن كراسيهم للبيض، فجاء أحد البيض ووقف أمامها مطالبا إياها أن تترك له الكرسي، ولكنها رفضت بشدة، اقتيدت إلى السجن، ففجر موقفها البسيط - الذي دافعت فيه عن أبسط حق من حقوقها - كل براكين الغضب والثورة داخل الزنوج، وكانت النتيجة مقاطعة كل السيارات العامة لمدة عام كامل، وأوشكت شركة النقل على الإفلاس، وبعد محاكمة استمرت 381 يوما نصرت المحكمة روزا وكُسر القانون العسكري الجائر.

وفي الثورة الإيرانية - التي لم تكن بالمناسبة دموية من قبل

الشعب الثائر – خرج الشعب كله، وأصبح العسكريون بين نارين: عصيان أوامر الشاة أو النزول لضرب المتظاهرين وفيهم الأخ والأب والابن وذوو الأرحام، الحاكم يستطيع أن يحبس أو يقتل مائة أو مائتين أو ألفا أو ألفين، ولكنه بأي حال من الأحوال لن يحبس أو يقتل الشعب كله، والطاغية لا يقاوَم بقتله، ولكن برفض طاعته وعدم التعاون معه في الشر.

فهل ترى فيما حولنا أمة وشعبا ينبض حيوية وقوة ويطالب بحقوقه ويدافع عنها، ويؤدي ما عليه من واجبات كما ينبغي، ويحارب الفساد ويقف في وجه المفسدين، أم تجد تكريسا للسلبية وغياب الفعل؟ مثلا كم من مصنع يلقي بمخلفاته ليلوث مياهنا وهواءنا؟! (بجوارنا مصنع يستخدم الإسبيستوس وهي مادة ممنوع استخدامها دوليا؛ لأنها تتسبب في أورام خبيثة في الغشاء البللوري المحيط بالرئة، ونسبة هذه الأورام مرتفعة جداً في منطقتنا.. فهل تحرك منا أحد؟).

لقد أصبحنا شعوبا مهزومة داخليا؛ فسهل على حكامها قهرها، وسهُل على أعدائها هزيمتها، والشواهد على حالة الاحتضار هذه لا تعد ولا تُحصى، بدءاً من الأمثلة الشعبية التي تكرس السلبية والانهزامية مثل: "دع الملك للمالك"، هل ستصلح أنت الكون؟"، "خليك في حالك"، "وأنا مالي"... كل ما حولنا يكرس القهر؛ فالأزواج يقهرون الزوجات، والآباء والمعلمون يقهرون الأبناء، والرئيس يقهر مرؤوسيه، القهر مستشرٍ في مدارسنا وبيوتنا ومؤسساتنا، وعقولنا محجور عليها.

ولقد أشار باولو فريري (معلم الحرية للمقهورين) إلى أن

المقهور يردد دائما ثقافة القاهر، وأن التعليم التلقيني يكرس ثقافة القهر، ومعظم نخبنا المثقفة تعيش في أبراجها العاجية تجادل وتناقش وتغرق في بحور التنظير واللعب بالكلمات والألفاظ، تتصور أنها أوتيت من العلم ما لم يؤت أحدٌ من العالمين، ولكنها لا تراجع نفسها ولا تقوّم مسيرتها، متسائلة: ماذا قدمت لبلدي ولشعبي ولأمتي؟ ماذا قدمت للناس؟

أما المتدينون ومن يفترض فيهم أن يكونوا طليعة الإصلاح في هذه الأمة؛ فحدث ولا حرج: فجلُّهم منشغل إما بالجدال حول الأمور الخلافية مما يقسمهم فرقا متناحرة بدل أن يكونوا فرقا متعاونة ومتآزرة، أو منشغل بأمر الخلاص الفردي، وكل ما يمكن أن يقدمه الدعاء، ويتصور أنه أدى ما عليه وينام قرير العينين، عقولهم معطلة، ومذهبهم التقليد الأعمى، وينسون أن الإيمان لا يكون رائعا إلا إذا انبثق من قاعدة عقلانية، ويكون خطيرا إذا حرم من الوعي، وينسون أن مؤشرات الصحة ثلاثة: فكر نقدي صحي، واتصال بالعالم بغير عقد تمنع من التعلم منه، وإنتاج علمي غزير.

ولقد شخص الدكتور يوسف القرضاوي أمراض الصحوة الإسلامية في كتابه: "الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد"، وهو كتاب أنصح كل من يريد الفهم أن يقرأه، في هذا الكتاب يؤكد الدكتور القرضاوي على أهمية أن نتحول من: الشكل والمظهر إلى الحقيقة والجوهر، ومن الكلام والجدل إلى العطاء والعمل، ومن العاطفية والغوغائية إلى العقلانية والعلمية، ومن الفروع والذيول إلى الرؤوس والأصول، ومن التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير، ومن الجمود والتقليد إلى الاجتهاد والتجديد، ومن التعصب والانغلاق

إلى التسامح والانطلاق، ومن الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال، ومن العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة، ومن الاختلاف والتشاحن إلى الائتلاف والتضامن.

وبين النخب المثقفة وعناصر الصحوة الإسلامية نجد الغالبية العظمى تدور في فلكها الشخصي وهمومها الحياتية، أو لاهية غائبة ومغيبة، لا هم لها إلا آخر التقاليع والتفاخر باقتناء الموبايلات أو الكرة وأغاني الفيديو كليب ومتابعة المسلسلات والأفلام التافهة.

أرجو ألا تتصور أنني متشائمة، ولكنني مقتنعة بضرورة العمل على تدريب شعوبنا على آلية الفعل المستمر والمؤثر، على أن نتحرك بفعل ما منظم لمواجهة صور الظلم والفساد المختلفة، وهذا هو ما أطلقنا عليه الجهاد المدني، فلم يكن مقصدنا بأي حال من الأحوال أن يقتصر دور الجهاد المدني على مناهضة الحرب ضد العراق، الجهاد المدني أدوات ووسائل يمكن استخدامها للضغط من أجل تحقيق الغايات المختلفة وفي كل المؤسسات، بدءاً من المدرسة وحتى العالم كله.

ومن وسائل الجهاد المدني المجتمع المدني واللاعنف، ومراقبة الإعلام، والإعلام البديل، والدبلوماسية الشعبية. والمجتمع المدني مؤسسات تقوم على تطوع الأفراد لتهتم كل مجموعة منها بالعمل في قضية من القضايا، تدعم هذه القضية بالوسائل المختلفة، واللاعنف وسيلة استخدمها هابيل عندما قرر قابيل قتله، واستخدمها الرسول وصحبه أمام جبروت مشركي مكة قبل الهجرة، واستخدمها غاندي لتحرير الهند من الإنجليز، كما استخدمها الزنوج ضد التفرقة العنصرية في جنوب أفريقيا وغيرها، وكل مفردة من مفردات الجهاد المدني تحتاج

منا لدراسات وتدريبات حتى نستوعبها ونحسن استغلالها.

فإذا كنا نريد الحياة الكريمة فعلينا من الآن أن نعمل جاهدين على تشجيع شبابنا وأطفالنا على الإيجابية، ولقد كنت أتعجب عندما أقارن بين حالنا والناشطين من الشباب الأوروبي والأمريكي الذين تحركوا ليكونوا دروعا بشرية تحمي الفلسطينيين والعراقيين، وكانت حركاتهم لمناهضة الحرب حركات منظمة واعية، وأتساءل كيف أصبحوا كذلك؟ حتى قرأت رسالة كتبها روائي أمريكي يدعى راسيل بانكس لحفيدته التي تبلغ من العمر خمسة عشر ربيعا بعنوان: "قدرنا أننا ولدنا في دولة تريد سرقة العالم بالإكراه"، مؤكدا على أنها في الفترة السابقة كانت تربى في حضن العائلة، ولكن عليها أن تدرك أن دورها أكبر من أن تكون فردا في عائلة، وأنه قد آن الأوان لتخرج إلى العالم مكونة انتماءها وهويتها، مع الحرص على تجنب الانعزال عمن حولها من الأميركان الذين يخالفونها في الرأي.. كيف يمكنها أن تؤثر فيهم ولا تتأثر بهم؟!

تأملت هذا، ووجدت حديث الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم يمر أمام عيني: "لاعبه سبعا وأدّبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اترك له الحبل على الغارب"، وكأن راسل بانكس قد أدرك أن حفيدته قد وصلت لسن المصاحبة، وأن عليه أن يقود أولى خطواتها نحو آفاق الدنيا الواسعة.

لقد تفضلت بالحديث عن إمكانية أن نبدأ من الآن في مهمة إعداد البرامج للحكم، وقد يكون من الضروري بمكان دراسة التجارب المحيطة بنا دراسة نقدية للتعرف على الإيجابيات والسلبيات.

أعتقد أنه من واجبي أن أشكر أخي عمرو على اعتذاره الرقيق عن لهجته الحادة في الخطاب السابق، وعلى ثنائه الذي لا أستحقه، وإن كان من درس نتعلمه من هذا الموقف فهو كيف يمكننا أن ندير الاختلاف في الرأي فيما بيننا؟ وكيف يمكننا أن ندير حوارا، ونناقش أفكارا قد تكون متضاربة بدون أن يشعر كل منا برغبة في الانتصار لرأيه؟ وكيف يمكن أن يكون الاختلاف مقدمة للثراء والتعاون بدل أن يصبح مدخلا للتناحر والتشرذم؟

ومرة أخرى أشكرك على إيجابيتك وعلى مداخلتك القيمة، وأتمنى أن يظل الحوار بيننا دائما متصلا من أجل بلورة ووضوح أكثر للأفكار، وأن يكون هذا مقدمة لجهد وتعاون أكبر من أجل خدمة أمتنا، كما أرجو أن يكون غضب صديقك علينا قد زال مما يسمح بتواصله معنا. سعدت بتواصلك معنا فاستمر صديقا لصفحتنا.

الفيزياء والجهاد المدني..
قانون الانهيار الذري الداخلي

لقد صدمني ما جاء في رد د. ليلى أحمد على المشكلة المعنونة: "معاناة طالبة مغتربة.. بورك في الشباب الطامحين":

أولاً: ما تقوله عن أينشتاين - وأنا آسف لأني أقول هذا - غير صحيح إطلاقاً، ويجب على الشخص ألا يكتب ما ليس متأكدا منه؛ فمفهوم الطاقة كان معروفا قبل أينشتاين والملحدين من أمثاله.

ثانياً: د. ليلى تردد كالببغاء ما تسمعه من بعض الأوساط الإعلامية الغربية - وليس كلها - عن الاحتفالات العراقية بالغزو. حيث قالت بالحرف الواحد: "وها هو الشعب العراقي نفسه قد فقد عقله فرحا بدخول القوات الأمريكية بغداد"!! اقرئي لو سمحت مقالة روبرت فيسك في صحيفة "الإندبندنت" لتعرفي كيف فقد الشعب العراقي عقله؟!

ثالثاً: ما فكرة الجهاد المدني هذا الذي تتاجرين به أنت ود. أحمد؟! هل يساعدكم هذا الجهاد المدني على التخلص من الرؤساء؟ الله قال: ﴿كُتب عليكم القتال﴾ [البقرة: 216]؛ لأنه يعرف أن من بين أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) سيخرج أناس يشوهون معنى الجهاد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

رابعاً: هل تنتظرين أن يحررك الأمريكيون في سوريا يا د. ليلى؟! وهل ستفقدين عقلك عندها؟!

خامساً: أتحداك أن تظهري هذا النقد، لكنها ليست مشكلتي. مشكلتي فقط إذا تجاهلت رسالتي؛ فقد نصحتك لا لشيء إلا لوجه الله، وأنت بحاجة فعلا أن تعيدي تقييم وضعك.. "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب".

ع - ...

الحل

المستشار: د. ليلى أحمد

اسمح لي يا أخي الكريم أن أوضح للإخوة القراء أنه وصلتني منك رسالتان تحملان نفس المضمون تقريباً في يوم واحد، لكن من عنوانين إلكترونيين مختلفين، وفي اليوم التالي وصلتني رسالة معنونة لي وللدكتور أحمد عبد الله من عنوان ثالث، ولكنها تتضمن نفس المعاني.

والرسائل الثلاث كانت باللغة الإنجليزية، وأوضحت الرسالة الأخيرة - وهي الأطول بين الثلاثة - أنك مشغول ووقتك ضيق!! فأدعو الله أن يبارك لك في وقتك، وأرجو منك أن تعذرني لأنني لم أترجم رسالتك الأخيرة بسبب طولها؛ لأن وقتي يضيق عن الترجمة.

وأنا أسعد بأي مشاركة منك، لكني أتمنى أن تكتب لنا في المرة القادمة باللغة العربية، خاصة أن هذا يبرهن أكثر على مدى حبك لدينك واعتزازك به، وأنت تعرف مدى أهمية اللغة العربية بالنسبة للمسلم؛ فهي لغة القرآن التي أعزها الله عندما أنزل كتابه المحكم بها، وأعتقد أنك لا تخالفني في هذا الأمر!!

كذلك اعذرني لأني لم أفهم لماذا تتحداني؟! ولماذا تظن أني لن

أظهر وأنشر رسالتك؟ ولعلك تعتقد أنني سأعمل بالحكمة القائلة: "العاقل من كتم إهانة نفسه"، وتعتقد أنني يجب عليّ كعاقلة ألا أظهر هذه الإهانة؛ لكنني أود أن أقول لك بأن الدرجة الأكثر رفعة بين العقلاء هي درجة الحكماء الذين أدعو الله أن يجعلني منهم، والحكيم يظهر إهانة نفسه إذا كان في ذلك تعليم وتوعية لمن يحبهم، ويشعر أنه مسؤول عنهم، وأنا أقصد هنا أبنائي وإخوتي القراء.

وأخبرك أنني في صلاتي أقرأ دعاء الاستفتاح "وجهت وجهي لله رب العالمين" أكثر من عشرين مرة في اليوم، وأود أن أكون صادقة بها، ولذلك فإن آخر ما أفكر به أن أحول هذه الصفحة للدفاع عن شخصي الفاني.

وإذا كنت ذكرت في نفس المشكلة "معاناة طالبة مغتربة.. بورك في الشباب الطامحين" أن ذات المبدع المسلم يجب أن تكون مصبوغة بصبغة الله قبل أن يضع قدمه في أول درجة في سلم الإبداع، فأنا أؤكد هنا أن على المسلم - إذا كان يطمح أن يصل إلى رضا الله - أن يفكر آخر ما يفكر بنفسه، وهو ما قصدته بعبارتي: "أن تفنى نفسه من أجل فكرته الخالدة"؛ ولذلك فآخر ما أفكر به أن أرد على إساءتك بوصفي بالببغاء، وتأكد أني أتقبلها منك برحابة صدر.

لكن عليّ أن أشرح لأحبتي القراء أنك مقيم في أميركا؛ أي في بلاد الديمقراطية، وهنا يظهر الفرق جليا بين الحرية كما تدعو إليها أميركا والحرية كما يدعو إليها الإسلام؛ فيبدو أنك تعلمت في أميركا أن الحرية هي أن تشتم كل مخالف لك بالرأي، بينما يعلمنا الإسلام أن الأمر ليس هكذا، فقد قال الله سبحانه: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين * قل لا تُسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون﴾

[سبأ: 24 - 25]، فالمنهج القرآني يكون بنسبة الخطأ إلى النفس (أجرمنا)، ومن هنا فإن الأولى أن يكون القول الذي سقته هكذا: "قولي خطأ يحتمل الصواب، وقول غيري صواب يحتمل الخطأ".

وأنا في ردي المعنون بـــ "هدهد سليمان.. وفتاوى الجهاد" والمنشور بهذا الكتاب نقدت من هم أساتذة لي في العلم، وقلت بخطئهم، لكن معاذ الله أن أقصدهم بسوء، خاصة مع علمي بحسن نواياهم وسابق إيمانهم، وكل ذلك تم دون أن أشير إلى أسمائهم من قريب أو بعيد؛ فليس قصدي التجريح، إنما قصدي أن نصل إلى الحق في هذه الظلمة الكالحة.

والفائدة الأخرى من نشري لرسالتك هي أن يعلم الجميع أنه ما من أحد عصيٌّ على النقد مهما كبر مقامه، وليتشجع أولادنا وإخوتنا وأحباؤنا قارئو هذه الصفحة على نقد من هم أكبر منهم سنا؛ لتنفك عقدة الألسن التي ربطها كبت الديكتاتوريات واستبداد الحكام، ولكن كي يكون النصح لوجه الله فمن الأفضل تعميده بصفات الله سبحانه، وفي الحديث الشريف: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله" [رواه البخاري]، وقد سبق أن وجّه لي أحد الإخوة الذين أعتبرهم من الأفاضل لما يحملونه من علم شرعي نقدا، ولكنْ لما كان قد خالف هذا العلم الذي يحمله ويقدمه للناس فقد اعتذرت عن الرد، أما أنت فليس لدي أدنى فكرة عن مدى علمك أو جهلك؛ فلذلك وجب ألا أهمل رسالتك، والله تعالى يقول: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر: 9].

والآن اسمح لي بالرد على ملاحظاتك واحدة تلو الأخرى؛ فأخبرك أنك فهمت كلامي عن أينشتاين خطأ، ولو رجعت إليه

لوجدت أني لم أربط بينه وبين اكتشاف الطاقة، وقد أوجزت كي لا أطيل الرد. وما دعاني للاستشهاد بأينشتاين هو الفرع الذي تدرسه الابنة السائلة لأدعمها نفسيا.

وأما ما ذكرتُه عن نظرية أينشتاين فهو العلاقة بين المادة والطاقة، وقد توصل إليها عام 1915، وهي التي قادت بسرعة إلى تأكيد نظرية انشطار المادة، وبما أنك مهتم بالطاقة والذرة – على ما يبدو – إضافة إلى أن اختصاري كان سببا في اتهامك لي بأني أتكلم فيما لا أفهم؛ فاسمح لي أن أتجول في قوانين الفيزياء لعلّي أستطيع تقريب مفهوم الجهاد المدني من ذهنك عبر ما يسمى "قانون الانهيار الذري الداخلي".

فمع نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حصل تراكم علمي قاد إلى تحولٍ نوعي في فهم بناء الكون وكيف يسير؛ ففي عام 1896 اكتشف بكريل ظاهرة النشاط الإشعاعي، وعرف أن العناصر المشعة مثل اليورانيوم والراديوم (الذي تم عزله على يد عائلة كوري عام 1898م) تطلق ثلاثة أنواع من الأشعة، هي ألفا وبيتا وجاما، وعرف أن الأولى ذات شحنة إيجابية، والثانية سلبية، والثالثة متعادلة الشحنة.

وبعد أن وصل طومسون إلى اكتشاف الإلكترون عام 1898م، ووضع رذرفورد نموذجه لبناء الذرة عام 1911م.. عُرف أن الأشعة الإيجابية ليست سوى نواة الهليوم التي تحوي اثنين من البروتون واثنين من النيترون (الذي كشفه شادويك عام 1932م)، وأن السلبية هي إلكترونات. والشيء المزلزل في هذا الاكتشاف أن العنصر المشع بإطلاقه هذه الأشعة ينهار ويتحول إلى عنصر خامل مثل

الرصاص، وهذا التحول يكمن خلفه سر عجيب استطاع العلماء الإحاطة بطرف من لغزه؛ فعنصر اليورانيوم المشع غير مستقر داخليا، وعدم استتباب الأمن الداخلي هذا يعرضه للانشطار والتفسخ الداخلي؛ فهذا التحلل والتآكل الداخلي ذاتي محض، وليس بسبب قذفه بنويات أخرى، أو في عدوان من مركبات معدنية مجاورة؛ فالبناء الذري يتعرض لانهيار داخلي ليتحول من عنصر متألق مشع إلى عنصر خامل مهمل بسبب عدم استقراره. وهذا المثل من عالم الذرة يعطينا درسا عجيبا في تحول أشد عناصر الطبيعة نبلا وندرة من خلال عملية المسخ هذه إلى عنصر لا يؤبه له ذي دور ثانوي في جدول عناصر الطبيعة!!

هل فهمت الآن ماذا يعني الجهاد المدني الذي "نتاجر" به أنا والدكتور أحمد وأمثالنا؟!! معناه أننا نريد أن نعيد المعدن الأصيل لمجتمعاتنا إلى طاقته المشعة العملاقة دون أن تفقد خاصيتها الفريدة - بعكس الراديوم - ، وهذا لا يكون إلا بإلغاء عدم الاستقرار الموجود في صفوفها لتصل إلى السلام الداخلي؛ فتعود مصدر إشعاع حضاري للعالم كله، كما كانت سابقا.

يقول د. خالص جلبي في كتابه "سيكولوجية العنف وإستراتيجية العمل السلمي": علينا أن نستوعب حقائق كونية في مستوى الذرة وانتهاء بالمجرة، من قوانين الفيزياء إلى قوانين النفس والمجتمع.. أن الهرم لا يجلس بدون قاعدة، وأن المرض لا ينتشر بدون انهيار الجهاز المناعي، وأن عود الثقاب يفجّر برميل البارود ولا يفجر وعاء الماء، وأن البعوض يخرج من المستنقعات، وأن الأمم يتم السيطرة عليها عندما تفقد القدرة على تقرير مصيرها؛ عندما يفقد

الأفراد روح الانتماء والولاء وحس الدفاع عنها يتحولون إلى كمٍّ من البشر بدون رباطٍ هندسي محكم اجتماعي داخلي؛ فالألماس يختلف عن الفحم بطبيعة التراكب الداخلي ووحدة العنصر القاتم الأسود، ولكن الترابط قلب الفحم ألماسا والهباب صلابة والشحار التماعا؛ وأن القابلية للاستعمار هي التي تمهد للاستعمار، وانهيار الدول هو نتيجة طبيعية لفقدان العدل الداخلي قبل أن يتم الاجتياح الخارجي.. "إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد" [رواه البخاري].

وهذا يعطي إسقاطاً خطيراً على فهم جوهر النزاع العربي الإسرائيلي، وأن مشكلتنا داخلية بالدرجة الأولى، بل إن وجود إسرائيل جاء كتحصيل حاصل من انهيار أوضاعنا التي هيأت لنمو الخراج الصهيوني؛ فهي كاختلاط لمرض خطير أساسي، فلا ينفعنا أن نصب اللعنات ونكيل الشتائم بالقناطير على إسرائيل؛ فالغربان تحوم حول الجثث. وإن الحضارات تتهاوى بفعل الانتحار الداخلي قبل أن تغيب بالغزو الخارجي، وأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.

آتي الآن إلى الجملة الأخرى التي اعترضت عليها؛ فيبدو أنك قرأتها ولم تنتبه لما بعدها، وهي: "ولعل الله يريد سقوط الطواغيت بهذه الطريقة"؛ إذن فرح الشعب العراقي ليس بدخول القوات الأمريكية، ولكن لأنها كانت السبب في إسقاط ذلك النظام الجائر، كما بينت في ردي المعنون بـــ : "تشخيص مرض المستشارة.. كآبة وعدم تفاؤل" والذي نشر بصفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت"؛ وهذه التصرفات التي ظهرت من بعض

العراقيين كضرب التماثيل والصور بالنعال والأحذية واستمطار اللعنات على النظام العراقي المنهار لا تدل على وعي.. بل هي نتاج غريزة حب الانتقام، وهذا هو السبب الذي حدا ببعض العامة إلى السرقة والتخريب في بداية الأمر عندما عمت الفوضى كل مدن العراق، ولكن تم تدارك الأمر عندما تغلبت العاطفة الدينية على غريزة الكره والحقد، كما بينت في ردي "الخرافة والقمر.. قصص وعبر" الذي نشر أيضاً بصفحة "مشاكل وحلول للشباب".

وقد أوضحت في هذا الرد أن أميركا ليست آتية لتحررنا بل هي آتية لتروّضنا؛ فلذلك لن أفرح بالتأكيد بدخول أميركا أي قطر عربي أو بلد إسلامي، وهنا أرجو أن تعود إلى ردي المعنون بـــ "الفضاء الإلكتروني والعودة إلى الذات" بالصفحة لتعرف أن سوريا لا تشكل بالنسبة لي إلا جزءا صغيرا من وطني العربي الكبير، ومن عالمي الإسلامي الممتد، ومن عالمي الإنساني الأكبر، ورحم الله الشاعر الحكيم "محمد إقبال" فقد كان المسلم عنده لا ينحصر في الأوطان والشعوب بل وطنه العالم كله، وهذا ما يعبر عنه بقوله: "إن المؤمن إذا نادى الآفاق بأذانه أشرق العالم واستيقظ الكون".

يبقى سؤالك عن الجهاد المدني وكيف يمكن من خلاله تغيير الرؤساء أو سياساتهم؛ فأنا أحب أن أعطي الخبز لخبازه كما يقول المثل؛ ولذلك أورد بعضا مما أرسله لي أخ كريم مختص بالعلوم السياسية، وهو أفضل من يتكلم عن هذا الأمر؛ لأنه من صلب رسالته في الدكتوراة:

"إن أمام كلٍ منا ثلاثة خيارات للتعامل مع هذه الأوضاع التي

تمر بها الأمة: فإما خيار اليأس الداخلي والقنوط والشعور بالعجز إلى درجة اللامبالاة، وهو حال نسبة لا بأس بها من أبناء أمتنا، أو خيار الصراخ والضجيج ورفع الشعارات واتباع مشاعر وعواطف اللحظة الراهنة بغض النظر عن أي رؤية شمولية، وهذا حال شريحة أخرى كبيرة من أبناء أمتنا وحال غالبية مثقفينا، أو خيار امتلاك القدرة على النظر إلى الأمور من منطلق سنني طويل المدى يضع الأمور في نصابها وفق الوحدات الزمنية التي وضعها الله على هذه الأرض كقوانين تحكم قيام وزوال الدول والحضارات.

والذي يأخذ بهذا الخيار يرى ما يرى ويشعر بالألم داخليا، ولكنه يقرأ ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: 4] فيشعر بالقشعريرة، ويبدأ في تلمس القضايا بالمقاييس الربانية، وينظر إلى حركة التاريخ والأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل بشكلٍ آخر.. فيتحرك على الأرض من حوله مستفرغا الوسع فيما يستطيع القيام به الآن وفق إدراك عميق لمسألتي الفعالية القصوى والأولويات، ولكنه في الوقت نفسه يحاول أن تكون حركته هذه بعيدة عن ردود الأفعال وغير منعزلة عن إطار تلك الرؤية الشاملة؛ أي بمعنى أن تكون مقدمة لمشاريع وطموحات وبرامج أكبر وأكثر تأثيرا.. يعلم أنه إن كان فيها خير فإن القوي العزيز سيجعلها تظهر على أرض الواقع بشكل أو بآخر - به أو بغيره - لتكون خطوة على طريق التغيير الطويل.

أما حل الثورة العنفية على الرؤساء فسيعود بالدمار على الجميع، والتحدي الكبير والخيار الآخر الوحيد أمامنا يُصبح في كيفية التعامل.. ليس معهم؛ لأنهم كأفراد إفراز لثقافتنا، وزوالهم لن يعني

بالضرورة حلا مشكلاتنا.. وإنما في كيفية التعامل مع ثقافتنا التي أفرزتهم.

لقد كانت هناك ظروف موضوعية ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية، وشروط داخلية وخارجية تشكل بمجموعها مصادر مشروعية هذه الأنظمة.. فوفرة النفط وأسعاره كانت مدخلا للمشروعية، وادعاء قضية فلسطين كان مدخلا للمشروعية، وإيجاد بعض البنى الأساسية للدولة كانت كذلك، وتأكيد مسألة الاستقرار كان كذلك، والقدرة على السيطرة الكاملة على الفكر والثقافة من خلال السيطرة على مصادر الإعلام والثقافة والفكر كان كذلك مدخلا للمشروعية.. وغير هذا على المستوى الداخلي (والمقصود بالمشروعية هنا من مدخل علم السياسة هو إذعان الشعب، وهذا يتضمن طبعا الوسائل القمعية).

أما على المستوى الخارجي فإن ظروف الحرب الباردة، وقدرة الأنظمة على عدم التأثر بالاقتصاد العالمي وغير هذا.. كان من مداخل المشروعية خارجيا؛ ولكن وبناء على قانون تدافع السنن الذي لا يسمح الله بموجبه للطغيان بالبقاء بدأت كل تلك الظروف والشروط تتغير منذ بداية التسعينيات.. وبالتالي بدأت هذه الأنظمة تفقد مشروعيتها، وبدأت تبحث عن مصادر أخرى للمشروعية تتمثل في استجلاب رضا الناس بشكل أو بآخر، وهي التي كانت في الماضي تعتبرهم كالذباب.

كذلك يجب ألا نقلل أبدا من الضغط التراكمي الذي يُحدثه اهتراء مشاريع البنية الأساسية وافتقاد الخدمات وضياع الاستقرار المُدعى، والفشل في قضية فلسطين، والفشل الاقتصادي الذي يترافق مع البطالة الكبيرة والتضخم والديون الخارجية، وفلتان زمام السيطرة

الثقافية والإعلامية من يد الأنظمة.. ثم الضغوط الخارجية الآن سواء سياسيا وعسكريا كما هو ظاهر، أو اقتصاديا من خلال ضغط أخطبوطات الاقتصاد العالمي على كل بلد صغير وكبير لأخذ جزء من كعكته.

كل هذه ظروفٌ جديدة جداً، وهي مجتمعة بالنظرة العلمية السننية خطيرة جداً، وهذه الأنظمة لا تعرف كيف تتعامل معها.. من هنا يأتي الضغط المتدرج الذي تمارسه المجتمعات عن غير قصد، ويمارسه المثقفون الواعون وبعض المؤسسات عن قصد؛ بحيث يؤدي تدريجيا إلى تغيير الثقافة السياسية السائدة؛ الأمر الذي سيؤدي أيضاً تدريجيا إلى تغيير الهياكل والأنظمة والقوانين.

هذه سنة من سنن الله لا تتخلف وهي تجري الآن في المنطقة، ولكن الكثرة لا يرونها؛ لأنهم ينظرون إلى عملية التغيير من خلال بحثهم فقط عن النتيجة النهائية (أي هل حصل اليوم أو هذا الشهر تغيير وانقلاب كامل أم لا؟!)، بينما يجب النظر إليها على أنها صيرورة يجب رؤية مراحلها وقوانينها وإدراك ملامحها؛ بحيث يمكن فقط لمن يملك تلك الرؤية أن يساهم بفعالية في دفعها إلى الأمام.. باتجاه النتيجة".

وأكمل أنا: إن سقوط دولة الخوف من القلوب وحدها (بمعنى أن يبدأ الناس في الحديث عن السلبيات) خطوة هائلة في اتجاه التغيير.. وإن سقوط تألّه الحكام وما يجري من إظهار مثالبهم على شاشات الفضائيات العربية والصحف والإنترنت هو خطوة كبرى ثانية في اتجاه التغيير.. وهكذا يمكن أن نحصي عشرات الخطوات الأخرى.

ونرجو منك هنا أن تقرأ المشكلة التالية التي وردت بهذا الكتاب:

- يا نساء إسلام أون لاين.. هل تنتظرن الاغتصاب؟

بالنسبة لمقالة روبرت فيسك التي تخبرني عنها فأشكرك عليها، لكن أدعوك بالمقابل أن تقرأ ما كتبه الدكتور وائل مرزا في مقالته في جريدة الوطن السعودية يوم الجمعة 25 أبريل: "عراق محررٌ.. يفجر الأمريكيين ثم يفجر نفسه"، ويمكنك الاطلاع عليها من خلال موقع الصحيفة على الإنترنت، وأرجو ألا تفهم من كلامه يأسا أو ما شابه، وإنما هو كلام يهدف لتحليل الأوضاع بشكل علمي صريح من أجل مواجهة الأمة بالحقائق قبل أن تقع، وليدرك الناس مثقفين وعامة أين مكمن الداء والدواء.

فقط بقي لي تعليق على كلمة "تتاجرون"، فأنا أدعو الله لي وللأخ الدكتور أحمد عبد الله وأمثالنا أن نكون ممن يتعاملون بتجارة لن تبور، وهي التجارة التي لا تزوير فيها ولا كذب ولا نفاق؛ ولذلك ترنو قلوبنا خاشعة إلى السماء نسأل الله أن يجعلنا ممن قال الرافعي - رحمه الله - عنهم: "ما أسخف الحياة لولا أنها تدل على شرفها وقدرها ببعض الأحياء الذين نراهم في عالم التراب كأن مادتهم من السحب، فيها لغيرهم الظل والماء والنسيم، وفيها لأنفسهم العلو والطهارة والجمال، يُثبتون للضعفاء أن غير الممكن ممكن بالفعل؛ إذ لا يرى الناس في تركيب طباعهم إلا الإخلاص وإن كان حرمانا، وإلا المروءة وإن كانت مشقة، وإلا محبة الإنسانية وإن كانت ألما، وإلا الجدّ وإن كان عناء، وإلا القناعة وإن كانت فقرا.. هؤلاء قومٌ يؤلفون بيد القدرة، فهم كالكتب قد انطوت على حقائقها وخُتمت كما وُضعت، لا تستطيع أن تُخرج للناس من حقيقة نصف حقيقة ولا شبه حقيقة ولا تزويرا على حقيقة".

أخيراً، لن أقول بأني أنتظر شتائمك وذمك مرة أخرى فإن حسن ظني بكل مسلم يمنعني من هذا، لكن إذا وجدت أنك تفضل أسلوب الشتائم أو لا تحسن التعامل إلا به، فصدقني أنني أتمنى مزيدا من مشاركاتك؛ لأن الحياة علمتني منذ زمن بعيد - بفضل الله - كيف أكون تاجرة فطنة أحول خسائري إلى مكاسب!

رسالة عاجلة.. من أرض العراق المنكوب

بسم الله الرحمن الرحيم، شكوانا إلى الله، رسالة عاجلة من أرض العراق المنكوب بأبناء أمته، المنصور بربه وحده سبحانه.

إننا لا نريد اليوم تبرعاتكم ولا صدقاتكم.. إنما نريد أن تكفوا عنا شركم بعدم التعاون مع قاتلينا.

يا تجار الأطعمة والأشربة، ويا تجار السيارات ومستأجريها، ويا معاشر التجار جميعاً.. لولاكم أيها التجار ما وصل لقاتلينا الطعام ولا الشراب ولا المؤن.. فأنتم مدد الحياة لهم في صحرائنا العراقية، وأنتم حبل النجاة، وأنتم المظاهرون على قتلنا.. وربنا وربكم يقول: ﴿وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]. وبقدر ما يكون الإثم والعدوان كبيرا يكون التعاون عليه إثما كبيرا.

لقد كنا نرجو أن تقتدوا بثمامة بن أثال وأبي بصير - رضي الله عنهما - حين قطعا على المشركين طريق التجارة والغذاء.. فإذا ببعضكم يقتدي بأبي عمر الراهب الذي لعنه الله وأخزاه، وبعضكم يقتدي بابن العلقمي الذي ظاهر التتار حتى دخلوا بغداد.

لقد ذبحتم الأخوة الإسلامية بأيديكم طمعاً في دراهم معدودات.. يا من تقتاتونها من دمائنا وأشلائنا وخراب بيوتنا وبلادنا.. فهنيئا لكم هذا البيع.. بيع الدين بالدنيا.. وأبشروا بما وعد الله الراكنين إلى الذين ظلموا؛ إذ قال: ﴿وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ﴾ [هود: 113].

فبالله عليكم أيها التجار المشاركون، هل من فارق بين من يضع

لهم السلاح ويوصله إليهم ليقضوا به على حياتنا، ومن يمدهم بأسباب الحياة وحبال النجاة التي لولاها لما وقعت الجريمة؟!

وماذا نقول والمشارك في قتلنا هم إخواننا، ويفعلونها كأن الله غافل عنهم، والله يقول: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: 42].

لقد حمد الله تعالى الفاروق عمر عند موته حين علم أن قاتله رجلٌ مجوسيٌ. فقال: الحمد لله الذي جعل قتلي على يد رجل لم يسجد لله سجدة.. لكن قتلَنا نحن يشترك فيه إخواننا في الدين.

أيها التجار المشاركون، بالله عليكم هل تنامون قريري الأعين بين أبنائكم وأزواجكم وأنتم ترون أشلاء أبنائنا على الجدران وأسفل الأكوام؟ والسعيد منا من وجد جثة حبيبه بأكملها.. كل ذلك باشتراككم!!

أيها التجار، إن اليد التي عقرت ناقة صالح كانت يدا واحدة.. لكن لعنة الله شملت قوم ثمود جميعاً ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: 5].. فهل شعب العراق كله أرخص عند الله تعالى من ناقة صالح؟!

يا أيها التجار المشاركون، يا من أبيتم إلا الاشتراك في سفك دمائنا.. في هدم مساجدنا.. في تخريب بيوتنا.. تذكروا أن لكم في كل ذلك الكفر والإجرام نصيبا، سواء باشرتم القتل بأنفسكم أم كنتم سندا وردءا لمن باشر قتلنا.. لا تعتذروا! لا تحلفوا أبدا! فحجة الله عليكم قائمة، والله يقول: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شيئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ الله جميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: 17 - 18].

أيها التجار والمتعاونون على قتلنا.. تذكروا ﴿يَوْما يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبا * السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: 17 - 18]، واعلموا أننا

بانتظاركم هناك، وإنه القصاص.. وإن شكوانا مرفوعة على كل من يشارك في العدوان علينا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء" [رواه مسلم].

أيها التجار المشاركون، تذكروا حديث النبي صلى الله عليه وسلم عند ابن ماجه بسند حسن "لزوال الدنيا أهون على الله تعالى من قتل مؤمن بغير حق" [رواه ابن ماجه].

أيها المشاركون في غزونا، هنيئا لكم سيئات تجري في صحائفكم إلى يوم القيامة.. سيئات جارية؛ فمنها: نشر التنصير والردة عن الإسلام ولكم فيه نصيب، وإخراج المرأة من خدرها، وحرب المصلحين، وإخلاء مساجدنا الممتلئة الآن بالشباب الصالح، ولكم في ذلك نصيب.. ثم تنتشر سيئاتكم الجارية لتشمل بلاد الجوار وبلادكم.. وبلاد الإسلام.. فأي حسنات يمكن أن تفعلوها تقابل هذه السيئات الجارية.. العامة.. الشاملة.. الباقية إلى يوم القيامة؟!

تذكروا أيها التجار أننا مظلومون، وأن كل واحد منا له دعوة، وأننا قد جعلنا دعوتنا على من اشترك في ظلمنا.. بطريق مباشر أو غير مباشر..

فارتقبوا أيها المصرون إجابة دعوتنا في طمس أموالكم، والابتلاء في أبنائكم وفي بلادكم.. بل وفي دينكم.. وعند الله تجمع الخصوم..

ألا هل بلغنا.. اللهم فاشهد..

الموقعون:

الشيوخ العراقيون الركع..

والأطفال الرضع..

والنساء الفجع..

س – السعودية

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

الأخ الكريم، ننشر رسالتك كما هي عسى أن يعتبر بها كل من يملك عقلا ما زال قادرا على التفكير، وقلبا ما زال ينبض، ونتمنى أن تصل لكل من يمُت للإنسانية بصلة؛ فالحرب التي تشنها إدارة الولايات المتحدة الأمريكية وحليفتها - أو فلنقل تابعتها - إدارة بريطانيا هي حرب قذرة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من بشاعة، حرب يديرها ويخطط لها محور الشر في العالم، حرب تستهدف كل ما هو إنساني جميل وراق، حرب يقف ضدها ويناوؤها كل من يعرف معنى الرقي والحضارة والإنسانية، حرب تضامنت قوى الخير في العالم كله من أقصاه إلى أقصاه على رفضها، وتحالفت قوى الشر في محاولة منها أن تجد مبررات، وتسوق حججا واهية لإقناع العالم بنبيل مقصدها.

وهاهم يتصورون أن النصر حليفهم بعد الاختفاء المفاجئ لصدام، والسقوط المفاجئ لبغداد، وفي ظل الفوضى التي عمت البلاد نجدهم يظهرون نياتهم من حملتهم الغاشمة هذه؛ فلتذهب العراق كلها إلى الجحيم، ولتتقاتل الطوائف فيما بينها، وليعم السلب والنهب، طالما أنهم يحرسون بغيتهم؛ النفط وآباره ووزارته؛ فلقد حركتهم أطماعهم في ثروات بلادنا، إلى جانب حرصهم الشديد على التواجد في المنطقة؛ ليتمكنوا من تغيير خريطة الوطن العربي والإسلامي إرضاء لربيبتهم المدللة "إسرائيل"، ورغم وضوح سوء طويتهم وفساد مقصدهم فإننا نجد من أبناء جلدتنا من يتعامل معهم، وييسر لهم أمر اغتصاب أمتنا، ودافعهم لهذا الحرص على مصالحهم، والحرص

على عرض زائل من أعراض الدنيا، ومن هؤلاء: التجار، ورجال الأعمال الذين ييسرون لهؤلاء المحتلين أمر إقامتهم، وقد يفيدهم أن يقرؤوا نص الفتاوى المنشورة على موقع "إسلام أون لاين.نت" بصفحة "اسألوا أهل الذكر"، والتي تحرم التعامل مع مغتصبي أرض المسلمين أو مساعدتهم، وعنوانها:

- **المقاطعة والمعاملات التجارية مع الأعداء**
- **غسيل ثوب الأميركان الغزاة حرام**
- **مساعدة الأميركان المدنية.. كبيرة وخيانة**
- **مساعدة الحكومات للأميركان.. خيانة أم ردة؟**

قد تردع هذه الفتوى من يتقي الله من هؤلاء؛ فيتوقف عن تقديم العون والدعم للمحتلين والغاصبين.

أما الطائفة التي لن تردعها كلماتك وفتاوى العلماء فلا مفر أمامنا كشعوب عربية غيورة على أمتها إلا أن تحادثهم بنفس اللغة التي يفهمونها، لغة المال والمصالح، لغة الدرهم والدينار؛ فلنتعرف - وبسرعة - على هؤلاء التجار ورجال الأعمال، ولنتعرف على ما ينتجونه أو يشتغلون به، ولنقاطع كل منتج يعود عليهم بالربح حتى يتوقفوا عن مساعدة هؤلاء الغاصبين، وحتى يكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه أن يتآمر ضد مصلحة هذه الأمة، ويقيني أنهم لن يصمدوا أمام ضغط الشعوب إذا كانت رسالتها واضحة وصريحة.

والله أسأل أن يقدر لهذه الأمة أمراً رشداً، وأن يقيلنا من عثرتنا، وأن يعيننا على أن ننفض عنا ركام السلبية الثقيل الذي يجثم فوق صدورنا، ويمنعنا من إتيان أي عمل إيجابي، كما أسأله سبحانه أن يحفظ العراق الشقيق، وأن يعين العقلاء من هذا البلد الغالي على

رأب الصدع، وعلى التماسك في وجه الفتن التي توشك أن تعصف بهم، ولقد رأيت بشارات التماسك عندما تحركت المساجد والكنائس منددة ومحرمة أعمال السلب والنهب والتخريب، وعندما استجاب لها ذوو الضمائر الحية من أبناء هذا الشعب الكريم؛ فنظموا أنفسهم لجانا للأخذ على أيدي السارقين والمخربين، ومنعهم من تدمير بلادهم.. فاللهم بارك في عملهم وأعانهم على التماسك، ومكنهم من احتواء أسباب الفتن، وأعانهم على رد كيد المعتدين، إنك سبحانك نعم المولى ونعم النصير.

نريدها حركة أمة..
لا انتفاضة جسد يحتضر

بعد أن كانت أمتنا أمة "الأفعال" وكانت قائدة الأمم؛ أصبحت – مع الأسف – أمة "ردود الأفعال"، وذلك **يتضح من الأحداث التالية:**

- العالم كله كان يعلم أن أميركا تعد للحرب على العراق، وظلت قرابة ثلاثة شهور تحشد قواتها على الحدود مع العراق، وكانت المظاهرات تجوب العالم كله ضد الحرب، ولم تبدأ المظاهرات في العالم العربي إلا مع بداية الضربة الأولى الأمريكية (أي رد فعل على الحدث).
- بعد بداية الحرب بحوالى أسبوع وإغلاق معظم الحدود مع العراق بدأت بعض اللجان الشعبية في تجميع أسماء المتطوعين العرب للدفاع عن العراق (رد فعل متأخر)، وبالتالي لم يستطيعوا الذهاب إلى هناك.
- بعد بداية الانتفاضة الفلسطينية بفترة أعلنت إسرائيل عن خطة السور الواقي، واجتياح مناطق الحكم الذاتي، وظلت تدرس الخطة قرابة الشهرين علنا في وسائل الإعلام، ولم يتحرك الشارع العربي، ومع بداية الاجتياح وحدوث مذابح جنين هاج العالم العربي (رد فعل متأخر)، وثار وتظاهر، ثم هدأ ثانية في انتظار رد فعل خائب وضعيف ثانٍ على الحدث الذي يليه.

المشكلة الخطيرة الآن أن الخطة الاستعمارية الأمريكية بدأت

الآن باحتلال بغداد، وستصيب كل واحد منا (نعم أعني كل واحد.. فهل مثلا كان أحد العراقيين يظن أن بلاده ستحتل؟)، وكذا فإن المستعمرين أنفسهم يؤكدون ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ماذا يجب علينا فعله الآن تجاه المرحلة القادمة؟

وأعتقد أن علينا أن نفعل ما يلي:

- استمرار الجهاد، وقد أكد الأزهر على ضرورة استمرار الجهاد حتى بعد احتلال العراق، وتوجد وسائل كثيرة حاليا للجهاد، ومنها الجهاد بالكلمة خلال الإنترنت. اقرأ مثلا على صفحة "دعوة ودعاة" بموقعنا: "خلي (الجهاز) صاحي"، واقرأ أيضاً في "ساحة مناهضة الحرب الأمريكية" بـــ "صفحات خاصة" بموقعنا مقال "الإعلام البديل.. المقاومة بالقلم والكاميرا (دعوة للمشاركة)". وكذلك استمرار مقاطعة البضائع الأمريكية والإنجليزية، واستمرار مظاهر الاحتجاج مثل المظاهرات وغيرها لمن استطاع ذلك، وكذا الجهاد بالمال لإغاثة المسلمين في كل مكان.
- العودة إلى الله سبحانه وتعالى ومجاهدة النفس؛ حيث إنه من الصعب جداً لمن لا يستطيع أن يرغم نفسه على الاستيقاظ لصلاة الفجر (مثلا) أن يصبر على أهوال الجهاد.
- دعوة الآخرين للالتزام وتربية أبنائنا على ذلك حتى تتكون الفئة المسلمة التي وعدها الله سبحانه وتعالى بالنصر.
- نجاح المسلمين في أعمالهم، ومحاولتهم الاعتماد على أنفسهم، وتكوين ثقة في أنفسهم بأنهم أقدر على إتقان العمل من الغرب (بمعنى التخلص من عقدة الخواجة).

- ابتكار أسلحة غير تقليدية لمواجهة أسلحة العدو المتطورة كاستخدام حزم من أشعة الليزر والموجات الكهرومغناطيسية (مثلا) لإيقاف محركات الطائرات الحربية ذات الارتفاع الشاهق، والذي تعجز عن الوصول إليها المضادات الأرضية التقليدية أو غير ذلك من الأفكار غير التقليدية التي قد ننجح في إحداها ونعيد كفة توازن القوى بيننا وبين الغرب.

ملحوظة: محمد الفاتح استخدم أسلحة غير تقليدية في زمانه كالمدفع العثماني ذي المدى البعيد في فتح القسطنطينية، وأيضا عددا من الحيل الذكية التي لم تخطر على ذهن أحد في ذلك الوقت، وتمكن بذلك من فتح القسطنطينية، وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبي في حربه مع الصليبيين، وبذلك انتصر عليهم.. والأمثلة على ذلك كثيرة، والله الموفق والمستعان.

- الدعاء لإخواننا في كل مكان؛ فإنه لا يرد القدر إلا الدعاء كما أوضح ذلك رسولنا الكريم [في الحديث الذي رواه أحمد وغيره]..

وغير ذلك الكثير من الأفكار. المهم أن نبدأ الآن وبهمة عالية، ولا ننتظر حتى يبدأ الهجوم على الأمة ثم نبدأ في التفكير.

م. وائل فتحي – الإمارات العربية المتحدة

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

الأخ الكريم، أشكرك على مشاركتك القيمة التي تأتي في لحظة فاصلة من لحظات حياتنا.. لحظة لا بد أن نتوقف عندها طويلا؛ لأننا رغم إدراكنا أن المعركة لم تبدأ بغزو أميركا للعراق، ولم تنته بالسقوط الصادم لبغداد؛ فإن اللحظة بلا شك صنعت فينا وفيمن حولنا

واقعا يجب ألا نتجاهله، وحين أقول التوقف لا أعني التوقف عن العمل، ولكنه توقف المراجعة والتدقيق، توقف لحشد الطاقات وتجميع الجهود، توقف لاستشعار ما يحدق بنا من أخطار، وتوقف يشعرنا أن كل واحد منا وبشكل فردي وجماعي سيكون مسؤولا أمام نفسه وأمام أبنائه وأحفاده، مسؤولا أمام التاريخ، وأهم من ذلك أنه مسؤول أمام ربه سبحانه وتعالى يوم يأتيه فردا.

وفي هذه الظروف الراهنة واجبنا أن نبدأ سلسة لا تتوقف من المراجعات، مراجعات لواقعنا ومقدار مسؤولية كل منا الفردية عما نحن فيه من تخلف، وما هي الأدوار الفردية التي يجب على كل منا أن يقوم بها، وبعيدا عما اعتدناه من إلقاء اللوم والمسؤولية على الغير، سواء كانوا حكاما أو محكومين مثلنا، مراجعات لإدراكنا لأنفسنا وإدراكنا لمن حولنا، وإدراكنا للعالم الذي يموج بالحركة حولنا في كل المجالات، ونحن عن هذا مغيبون وذاهلون وغارقون إما في همومنا الشخصية، أو في خلافات ومنازعات وفي أطماع وأحقاد، أو في سفسطة وغرق في التفاهات.

ومن قبل هذا نحتاج أن نعيد فهم وإعادة تقييم لإدراكنا لديننا العظيم الذي أراده الله لنا مصدر عزة وقوة، فحولناه بفهمنا القاصر لقوة تشدنا إلى الركون والقعود بدعوى أن الله ناصرنا وأنه معنا، وحاشاه سبحانه أن يكون ناصرا للقاعدين والمتخاذلين الذين يظنون أنه يمكن أن ينتصروا بالدعاء والصلوات فقط، متناسين أن الله سبحانه أمرنا بصريح الآيات فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: 60].

فهل وعينا الدرس أم أن عواطفنا تحركنا وتدفعنا بقوة لإلغاء عقولنا؟ هل وعينا أن الرسول الكريم ومن بعده من الخلفاء الراشدين

وقادة المسلمين لم يقصروا يوما ما في إعداد العدة بدءاً من التخطيط والحنكة السياسة والعسكرية وإعداد الجيوش، ومرورا بتعلم العلم ولغات القوم واستخدام الوسائل الإعلامية المتوفرة في عصورهم، وكذلك استخدام ما توافر من فنون الخديعة والجاسوسية؟ والواقع أن همومنا كثيرة وأدواءنا مزمنة، وتحتاج جهد كل مخلص لاستغلال ما تتيحه هذه اللحظة الفاصلة. ينبغي ألا تمر واقعة سقوط العراق هذه مرور الكرام حتى لا يحمل جيلنا وصمة ووزر ضياع العراق كما حمل من قبلنا وزر ضياع فلسطين، ينبغي ألا يمر سقوط العراق ولا يحرك فينا ساكنا إلا بمقدار ما تفعل وخزة الدبوس في جسد يحتضر.

ولقد تفضلت يا أخي في رسالتك بوصف ما نقوم به عندما تحل بنا أي كارثة على أنه رد فعل، والحقيقة أنني لا أراه قد وصل حتى لمرتبة رد الفعل؛ فلقد تعلمنا في الفيزياء أن رد الفعل يكون مساويا في القوة للفعل الذي سببه، ولكنه مضاد له في الاتجاه. إن ما يحدث منا لا يعد - كما قلت - إلا انتفاضة جسد يحتضر لضربة أوجعته، أو اندفاعا لبعض البخار المتراكم من صمام أمان إناء الضغط الذي ارتفع به الضغط فأوشك على الانفجار.

هذا البخار المتصاعد طاقة ضائعة لا تحرك قاطرة ولا تؤتي ثمارا، وخطورة تكرار هذه السياسة التي تتصاعد فيها فورة الغضب بداخلنا ثم تضمحل وتتلاشى بدون أي نتائج إيجابية أنها تصل بنا لمرحلة اليأس من الفعل، وتكرس عندنا قناعة أنه "لا جدوى من الحركة"، وأنه من الأفضل الاكتفاء بدور المتفرج أو المولول أو "المعددة" أو في أحسن الأحوال الاكتفاء بالدعاء على أنه أفضل الحلول الممكنة.

والحقيقة أن ما نتمناه هو أن تتحول براكين الغضب التي تموج بداخلنا إلى قوة دافعة للعمل الدؤوب والمستمر، وأن تتحول إلى طاقة فكر وإبداع، سواء فيما طرحته حضرتك من أفكار أو ما هو موجود على موقعنا من برامج عملية كالتي ذكرت في: "الجهاد المدني" و"المقاومة بالقلم والكاميرا (دعوة للمشاركة)" في "صفحات خاصة"، ومقال: "الدبلوماسية الشعبية.. نشطاء بدرجة سفراء" أو "مراقبة الإعلام.. كيف تبطل سحر الآلة الإعلامية؟" في صفحة "ثقافة وفن".

مرة أخرى أشكرك أخي الكريم، ودورك ودور كل منا أن يبدأ من الآن بتكوين شبكته الخاصة ممن لهم نفس الاهتمام، مع البدء سويا في مراجعة التصورات والمفاهيم وأساليب العمل، والإنترنت تتيح التواصل وتبادل الخبرات مع من لهم نفس الاهتمام من الأفراد والمجموعات، وفي هذا الصدد قد يفيدك الاطلاع على مشكلة: "طبول الحرب تدق.. والإنترنت كنز مهدر" التي نشرت بصفحة "مشاكل وحلول للشباب"، على أن تتابعنا بكل إنجاز، والله سبحانه هو الموفق.

هدهد سليمان.. وفتاوى الجهاد

السلام عليكم ورحمة الله، قرأت رد الدكتورة ليلى أحمد على الاستشارة المعنونة بـــ : "معاناة طالبة مغتربة.. بورك في الشباب الطامحين" والتي نشرت بصفحة "مشاكل وحلول للشباب"، وأود أن أطلب أمرين:

الأول: ذكرت الدكتورة ليلى رفضها القاطع لفتوى من أفتى بالذهاب للقتال في العراق، وأشارت إلى فرح الشعب العراقي بدخول بغداد وإلى أثر فقدان الحرية، وما أرجوه هو أن تقوم الدكتورة ليلى بتوضيح رأيها حول هذه النقاط بالتفصيل، لا سيما أن المسألة ليست مسألة الذهاب إلى العراق التي ربما تكون قد انتهت.. بل هي مسألة مآسٍ متكررة تصيب أمتنا، ونمط في التفكير يسيطر علينا، ونعيش معه في ظلمات بعضها فوق بعض، وما أحوجنا إلى رؤية واضحة يمكننا معها توجيه الجهود توجيها صحيحا، وتجميعها للوصول إلى التخطيط الفعال، وهو السلاح المفقود لدينا كما أشارت الدكتورة ليلى في مقال آخر لها.

الأمر الثاني: أشارت الدكتورة ليلى إلى كتاب لها بعنوان "حوار الثقافات.. مدخل لقراءة الآخر ونقد الذات"، وأن لها كتبا أخرى، وسؤالي هو: لماذا لا تشيرون إلى كتب مستشاريكم والبيانات الخاصة بها في الصفحات الخاصة بالتعريف بهم؟ شكراً للدكتورة ليلى أحمد ولكم جميعاً، وأرجو أن تلبوا هذين الطلبين لا سيما الأول. وشكراً مرة أخرى.

محمد – ...

الحل

المستشار: د. ليلى أحمد

أشكرك على سؤالك؛ لأنه يفسح المجال لحل بعض الإشكاليات التي ما تزال موجودة لدى الكثيرين، ومما زاد في رسوخها في الحقيقة تضارب أقوال وفتاوى العلماء بالنسبة لموضوع الجهاد.

ولن أورد هنا آراء بعض رجال الدين الذين لا اعتبار لهم عندي ولا وزن؛ لأنهم لعبة في يد الساسة، وهم الذين أشرت إليهم في ردي الذي نشر بصفحتنا تحت عنوان: "هل المستشارة بحاجة إلى طبيب نفسي؟"؛ حيث أوضحت أن هؤلاء المأجورين بإعلانهم فتح باب الجهاد قد سهلوا لآلاف الشباب الذهاب ليموتوا في مقبرة جماعية، وبذلك يستريح النظام الحاكم من آلاف المشاغبين الذين لا يجد لهم مكانا في الجامعات ولا وظائف بعد التخرج؛ فليس لهم عمل إلا إرهاق آذان الحكومة بالمظاهرات التي تحرجها أمام أصدقائها!

لكن سأناقش آراء علماء أجلاء أحترمهم وأقدرهم، ولكن لا يعني هذا الاحترام والإجلال أن كلامهم لا يوضع تحت مجهر البحث والنقد؛ فكل يؤخذ من كلامه ويرد إلا المعصوم عليه الصلاة والسلام؛ ولا يقلل هذا النقد من قيمة هؤلاء العلماء لدي، خاصة أن أحدهم كان أستاذي في كثير من مواد العلم الشرعي؛ إذ ينطبق عليّ وعليه ما روي عن أحد الأئمة السابقين أنه خالف شيخه في بعض المسائل؛ فلما سئل عن هذا قال: مثلي ومثل شيخي مثل الهدهد وسليمان عليه السلام؛ فالهدهد قال: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [النمل: 22]، ومع ذلك فقد بقي سليمان هو سليمان والهدهد هو الهدهد.

إذا راجعت يا أخي الكريم فتاوى الجهاد في العراق تجد أن

العلماء قد اختلفوا بين مناصر لدفاع المسلمين جميعاً عن العراق ومؤيد لدفاع العراقيين دون غيرهم عن بلدهم؛ **فيمكن تصنيف الفتاوى إلى رأيين:**

الرأي الأول: من أرجع رأيه إلى رأي قديم بأن هذا هو جهاد الدفع، ويجب أن يناصر المسلمون اخوانهم العراقيين إذا لم يستطيعوا دحر العدوان وحدهم على حسب مسافة القصر، وحددها بأنها 75كم، فإذا لم تكف هذه الفئة المناصرة فيضاف على المسافة مثلها وهكذا؛ أي بجعل العراق محاطا بدائرة يضاف إليها تدريجيا حسب الحاجة من جميع الجهات، وهذا العالم هو غالباً مقلد في الفقه، وعذره أنه يخشى من التجديد أن يدخل فيه من يجدد بهوى نفسي أو مزاج شخصي؛ ولكن خوفه هذا – على ما يبدو – أوقعه في كون فتواه غير واقعية؛ فكيف غاب عنه أن أكثر من جهة من جهات العراق تأتي منها القوى الغازية؟!

هذا العالم ما يزال يصر على مفهوم "دار الإسلام" و"دار الكفر"؛ حتى إن سائلا سأله عن أخذ الجنسية لدولة غربية فأجاب بتحريم ذلك الفعل، وبناء على فتواه الأخيرة هذه يكون كل المسلمين الذين هربوا من ظلم الأنظمة في بلادهم العربية، ولجئوا إلى بلاد الغرب، وحصلوا على الجنسية الغربية ليعيشوا في كرامة افتقدوها في أوطانهم.. قد ارتكبوا حراما؛ فهل يصح هذا، علما بأن إخوتنا في الغرب منهم من يدافع عن الإسلام دفاع المستميت؟ أرجو أن تعود إلى صفحة استشارات دعوية بموقعنا وتقرأ "أنقذونا من تضارب الفتاوى.. مشاركة"؛ إذ بينت رأيي في مصطلح دار الإسلام ودار الكفر، والحمد لله أن الأخ الذي أرسلت مشاركتي على سؤاله بعث

للصفحة يشكرني أنا والأخ كمال المصري على التوضيح؛ فالحمد لله ذي المنة والفضل.

كنت أرجو من هذا العالم قبل الحديث عن جهاد السلاح في الخارج أن يوجه الفرد المسلم أن عليه جهادا تربويا ومجتمعيا وسياسيا في الداخل، حتى يتمكن المجتمع كله من الالتحام؛ فيكون كالبنيان المرصوص، وهذا الجهاد يبدأ من النفس والفرد لينتهي بالمجتمع والحاكم، فإذا كان هذا العالم وأمثاله يعتقد إلى الآن بوجود دار الإسلام ودار الكفر؛ فلا بد أنه يتذكر أن نظام الحكم في الإسلام قائم على أن الحاكمية لله وحده. لذلك فإن سلطة الحكام ليست مطلقة بل مقيدة بالشرع والشورى؛ وليس لدينا في ديننا سلطات مفوضة من الله، والحاكم لا يستمد أحقيته من الشرع إلا بقدر ما يطبق هذا الشرع على نفسه وشعبه، والكل سواسية أمام الله حاكمين ومحكومين.

وقصة عمر بن الخطاب مع عمرو بن العاص والقبطي معروفة لكل منا؛ فقد أدرك عمر رضي الله عنه عندها أن أي خلل في مبادئ الدين الأساسية يؤدي إلى نقض هذا الدين من أصله؛ وبسبب فهمه لهذه المبادئ أرسل عبارته الخالدة مدوية بقوة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!"، فمن المبادئ الأساسية أن العباد كلهم إخوة، ولا يجوز لأحد أن يستعبد أحدا، ولا يصح من أحد أن يرضخ للاستعباد؛ ومن المبادئ الأساسية أيضاً قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

وقد كان أبو الأعلى المودودي - رحمه الله - أحد الذين يعتقدون أن الشورى معلمة للحاكم لا ملزمة له، ثم تراجع عن رأيه عندما رأى أن الاستبداد السياسي يجر وراءه ذيولا من الاستبداد

الاجتماعي، وأن السيطرة المطلقة مقدمة لفساد مطلق.

وأجد من المناسب هنا أن أذكر قولا لعالم النفس السلوكي سكينر وهو: "وللعمل من أجل السلام يجب علينا معالجة حب السيطرة وأوهام العظمة لدى القادة"؛ فالسلام الداخلي في مجتمعاتنا الإسلامية هو ما يجب أن نسعى إليه أولا، وهذا لا يكون إلا عبر مسمى الجهاد المدني، وهذا ما شرحته في ردي الموجود بهذا الكتاب تحت عنوان: الفيزياء والجهاد المدني.. قانون الانهيار الذري الداخلي".

الرأي الثاني: عالم دين آخر وجه مقالا للعراقيين أخذ يشجعهم على الجهاد بأن يضربوا عدوهم، ويكيلوا له الصاع صاعين إلى آخر كلمات الحماس والخطابة التي تتطلبها المناسبة؛ فمن كلماته للعراقيين: "ولا يموتن أحد منكم إلا وقد خطف معه من أرواح هؤلاء المغتصبين، ولكن هو إلى الجنة بمشيئة الله، وهم إلى النار وبئس القرار".

وأوافق أحد المثقفين الذي كتب معلقا على هذا النداء للعراقيين: "سيكون أمرا حسنا لو أن كل من يموت من الإخوة العراقيين سيُقتَل قبل أن نخسره عددا من جنود الغزاة، ولكن هل هذا ممكن، وهم لا يملكون إلا البنادق وما في حكمها، والغزاة يحلقون فوق رؤوسهم كيفما شاءوا بالطائرات والصواريخ؟!".

والمشكلة كانت فعلا في التناقض الذي وقع فيه الشيخ؛ فهو قبل يوم واحد من مقاله هذا كان قد كتب مقالا آخر نصح الذي سأله هل سيكون شهيدا إذا ذهب وقاتل وقُتل؟ بعدم الذهاب؛ أي أنه يحض الإخوة العراقيين على القتال بحماس شديد ويعدهم بالجنة إذا قُتلوا، أما غير العراقيين فينصحهم بعدم القتال وعدم الذهاب للعراق، ولو

كانت الأسباب التي رأى بموجبها عدم الذهاب إلى العراق وعدم القتال مع الإخوة العراقيين لا تنطبق على العراقيين لقلنا بأنه ربما لا يوجد تناقض، ولكن الأسباب تنطبق على الجميع؛ فقد استند الشيخ – حفظه الله – في نصيحته لغير العراقيين بعدم الذهاب للعراق إلى عدة أسباب، منها ما يأتي:

- إننا لا نريد أن تزيد المحنة بزهق أرواح خُلّص أتقياء صلحاء ذوي نيات طيبة دون أن يكون في ذلك نكاية بالعدو.
- إن الله تعالى يحب حياة المؤمنين وبقاءهم وعبادتهم وصلاتهم وقرآنهم، ولذلك خلقهم، ولا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا، وخيركم من طال عمره وحسن عمله؛ فرحيل المؤمن عن هذه الدار ليس مطلوبا بذاته، ولكن يشرع حين تترتب عليه مصلحة أعظم من مصلحة بقائه، فإذا عدمت هذه المصلحة أو ضعفت وجب تقديم اعتبار الحياة والبقاء.
- إن معظم الحرب ستكون ضربات جوية مدمرة، وهذه يستوي عندها أن تقتل ألفا أو مائة ألف، والآلة ستكون ذات أثر في حسم نتيجة المعركة على المدى القصير.
- أورد الشيخ نصَّين للإمام الفقيه العز بن عبد السلام، يقول الأول: "انهزام المسلمين من الكافرين مفسدة، لكنه جائز إذا زاد الكافرون على ضعف المسلمين مع التقارب في الصفات؛ تخفيفا عنهم لما في ذلك من المشقة، ودفعا لمفسدة غلبة الكافرين لفرط كثرتهم على المسلمين"، والثاني قوله: "التولي يوم الزحف مفسدة كبيرة، لكنه واجب إذا علم أنه يُقتل من غير نكاية في الكفار؛ لأن التغرير بالنفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين

بالنكاية في المشركين، فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام؛ لما في الثبوت من فوات النفوس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام، وقد صار الثبوت هاهنا مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة".

والمثال الذي يستشهد به لتأييد نص الفقيه العز بن عبد السلام هو ما فعله خالد بن الوليد رضي الله عنه في غزوة مؤتة التي كان عدد الروم فيها أضعافا مضاعفة، وقتل فيها الأمراء الثلاثة الذين عينهم الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، فمال خالد بن الوليد - رضي الله عنهم جميعاً - بالناس ورجع إلى المدينة، ولما دخلها استقبلهم الناس بأن أخذوا يعيّرون الجيش بأنه جيش الفرار، وأما الرسول عليه الصلاة والسلام فقد سمّاهم الكرار، خاصة أنه كان يبين للناس ما يحصل في المعركة وكأنه يراها، وقال: "وأخذ الراية سيف من سيوف الله - يقصد خالد - حتى فتح الله عليهم" [رواه البخاري].

هذه هي أهم الأسباب التي استند إليها الشيخ في نصح غير العراقيين بعدم الذهاب إلى العراق وعدم الاشتراك في القتال. وهي أسباب تنطبق على الإخوة العراقيين كما تنطبق على غير العراقيين؛ فلماذا استند إليها ونصح غير العراقيين بعدم القتال في مقاله في صحيفة بينما حض العراقيين على القتال في مقاله في صحيفة أخرى وبعد يوم واحد؟!

على كل حال هذه الفتوى والتي قبلها لم تُذكرا في موقع "إسلام أون لاين.نت" على ما أعتقد، ولكن وردت فتاوى قريبة منها لسائلين من بلدان أخرى؛ وهو ما دعا أحد الإخوة متابعي الصفحة أن يطلب

عنواني الإلكتروني منها، وأرسل لي هذا التعليق الذي أعرضه هنا وهو يبين أن الواقع على الأرض مختلف تمام الاختلاف عما نقرؤه في كتب الفقهاء الأقدمين، وأنه يجب تقييم الأمور بنظرة أكثر عقلانية..

يقول الأخ المرسل: "بصراحة لم أقتنع بجواب المفتي؛ لأن هناك من قال لنا بأن من يجب أن يدافع عن الوطن هو النظام الحاكم الذي كان سبب نكبة هذا الوطن وتخلف شعبه، ونحن في الحقيقة مجموعة من الشباب تعرضنا للاضطهاد على يد النظام الحاكم؛ فقد اعتقلت أنا شخصيا وعمري 16 عاما ولم أعرف سبب اعتقالي سوى أني كنت أصلي، وكنت قد ابتعدت عن السياسة منذ صغري؛ لأني أكرهها؛ فلذلك كنت أتبع الصوفية، فلما اعتقلوني رأيت أياما لا أذاقكم الله إياها أنتم ولا أحباءكم ولا أي مسلم؛ فقد كنت غضا طري العود.. ومع ذلك لم يرحموني، بل كانوا يجلدونني بالسياط كل يوم حتى يصير قميصي الداخلي كله دماء ويغمى علي من الألم.

وكان رجال المخابرات الذين لا يعرفون أي رحمة يدوسون رأسي بأحذيتهم العسكرية.. كانوا يعلقونني ورأسي للأسفل ويضربونني لأعترف.. عن ماذا أعترف؟ لا أدري!! وعندما خرجت من السجن كنت مشوه الرأس والوجه مبيس المفاصل.. نسيت الكلام.. حتى من يسألني كيف حالك؟ لا أستطيع الرد عليه من الصدمة.

أمي أصابتها حالة هيستريا ومرض نفسي لم يفارقها إلى الآن بسبب سجني والحالة التي رأتني بها عند خروجي من السجن.. فقدت مستقبلي لأنني عندما خرجت من السجن بدأت بإدمان الحشيش كي أنسى ما حصل لي.. واستبدلت بحب الله حب الغانيات وبنات

الهوى.. إلى أن أراد الله وتبت منذ مدة وتزوجت ورزقني الله ذرية أريد أن يعيشوا بكرامة.

هل تتخيلون ماذا يعني شاب بعمر 16 سنة أول ما رآه من حياته جدران الزنزانة ووجه المحقق الغليظ وسياط سدنة المخابرات؟ لم يكن مصيري وحدي بل كل شاب يصلي.. كانت هذه تهمة، وبعدها يغيب عن أهله فلا يعلمون هل هو حي أم ميت؟ كتب الدين كلها أحرقتها قبل أن يعتقلوني لأنهم كانوا يفتشون البيوت بوحشية، ويا ويله من يجدون لديه كتاب دين!! فلما أتوا لم يجدوا عندي شيئاً مع أن كتبي كانت أغلى من روحي.. دمروا مستقبل كثير من الشباب.. قطعوا أرزاق كثير من العائلات.. يتموا الأطفال.. أثكلوا الأمهات.. رملوا النساء.

وبعد كل هذا يريدون منا أن ندافع عن بلد كهذا لا نحس فيها أمنا ولا أمانا؟ هل يسمى الوطن وطنا إذا لم يكن أما حنونا على أولاده.. قد تقولون هذا كان من أكثر من عشرين سنة، ولكن أخبركم أن الوضع لم يتغير كثيراً، فمنذ عدة أيام منعوا أحد الخطباء من الخطبة، فقام أخوه بتعليق منشورات على الحيطان يتساءل فيها: إلى متى تتدخل المخابرات في الدين؟ فاعتقلوا هذا الأخير مع أنه عالم فاضل؛ لأنهم ما زالوا يخافون من الكلمة.. فأسأل هذا المفتي وأمثاله: لماذا ندفع نحن الثمن مرتين: مرة من كرامتنا وحريتنا في ممارسة ديننا في بلد محسوب على الإسلام، ومرة أخرى من أرواحنا ومستقبل أولادنا؟!" انتهى.

بعد هذه الرسالة علينا أن نعترف أن ما حصل في العراق ليس جهادا بمقياس العقلاء؛ فمن أجل من يجاهد المسلمون؟! من أجل نظام

حاكم باطش استعبد البشر، وأحرق من شعبه أكثر ما أحرقته أميركا خلال هذه الحرب! كيف يجاهد الشعب الذي سحقت كرامته وحريته على يد الطاغية وأبنائه وحاشيته؟ وكيف يجاهد من فقد أخاه أو أباه في سراديب تعذيب أجهزة القمع؟ لا أنسى ذلك الدبلوماسي العراقي الذي عزله نظام صدام وسجنه؛ لأنه رفض أن ينضم لحزب البعث، وكيف هرب من الظلم والطغيان في أول فرصة، وكان تصريحه من أصدق ما قيل بأنه لو استمر نظام صدام أكثر لنسي العقلاء الكلام "وأصبحنا نعوي من أجل أن نتحاور".

العالم الذي كانت فتواه مقنعة هو الشيخ العراقي المقيم في الغرب وهو محمد أحمد الراشد، وهي موجودة في صفحة "الإسلام وقضايا العصر" بموقعنا باسم: "الحرب على العراق.. رؤية شرعية"، وصدق الله الذي قال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: 26].

لقد اكتشف الشباب المتحمس للجهاد في العراق بعد فوات الأوان أنه يدافع عن نظام جائر، وقد بينت هذا في ردي الذي نشر بصفحتنا تحت عنوان: "تشخيص مرض المستشارة.. كآبة وعدم تفاؤل"، وبقي للبعض حتى الآن في متاهة التنظير المبني على رؤى سطحية لهذه الفتاوى والمواقف التي فتحت الباب واسعا أمام أسئلة مثل: ألسنا في حاجة إلى فهم جديد للفقه وللأحكام الفقهية بعدما انقلبت الأمور، ولم يعد المصطلح التقليدي يعني الكثير في عالم الواقع شديد التغير؟ ألسنا في حاجة إلى النظر في بعض المصطلحات الفقهية مثل دار الكفر ودار الإسلام ومصطلح أهل الذمة وما إلى ذلك؟

ومثل الأسئلة التي طرحت في صفحة "الإسلام وقضايا العصر" بموقعنا تحت عنوان "مفهوم الجهاد.. الفتاوى غير المسؤولة وتجديد

منهج النظر"، فأرجو الرجوع إلى هذا المقال المهم.

إن الجهاد الحقيقي اليوم يتمثل في كلمتين: الشجاعة والحكمة، وأهم واجب نقوم به حاليا هو التفكيك النفسي لعلاقات القوة والفكر؛ فتحرر الإنسان من الخوف هو ولادة جديدة كما يبين الحوار الذي أجراه الفيلسوف الرواقي أبكتيتوس مع تلميذه المذهول من فيلسوفه الذي كان يفيض بالحرية، وهو الذي كان يسمى سابقا بالعبد.

فيسأله: يا سيدي متى أكون حرا؟

يجيبه الفيلسوف سائلا: هل يستطيع أحد أن يجعلك أن تصدق ما ليس بصدق؟!

يقول: لا.

يكرر الفيلسوف سؤالاً آخر: هل يستطيع أحد أن يكرهك على فعل ما لا تعتقده؟

يجيب: نعم.

يقول الفيلسوف سائلاً: وكيف ذلك؟

التلميذ: إذا هددني بالقتل أو الحبس.

فيسأله الفيلسوف: فإذا لم تخش من الموت أو الحبس؟

فيجيب التلميذ: لا يستطيع! فيقول الفيلسوف: أنت عندها حر!

المقاطعة والشركات الكوكبية..
هل هناك أفق جديد؟

الأستاذة سحر طلعت، لقد طالعتنا في الفترة الأخيرة كثيراً وبإلحاح شديد موضوعات المقاطعة بعد أن هدأت موجتها بعد الانتفاضة الفلسطينية، فنحن - العرب - والحمد لله سريعو الغضب وسريعو الهدوء!!

كنت قد أرسلت إلى موقعكم المميز أستشير عن هذا الموضوع؛ حيث إنني ملتزمة بالمقاطعة منذ فترة ليست بالوجيزة والحمد لله، وأحاول جهدي ألا أحيد عنها.

خلال الفترة المنصرمة لم أجد أي دليل على أن الشركة التي أعمل بها - وهي وكيل لشركة أمريكية عالمية - لها أي يد صهيونية.

ولكن في الفترة الحالية كلما قمت بعمل ضمن متطلبات وظيفتي لجذب العملاء أو ترويج السيارات أو أي عمل آخر شعرت بالضيق.. وذلك لمجرد أنها أمريكية. وما دفعني للكتابة إليك الآن هو أنني قرأت من خلال أحد المواقع "www.motherearth.org" أن الشركة كانت من ضمن الشركات التي مولت حملة جورج بوش الانتخابية، ولهذا - حسب الموقع - علينا مقاطعتها.

أنا عندي مسألتان:

1. أنني أصلا غير مرتاحة في عملي بسبب أسلوب الموظفين والمديرين في طريقة العمل.

2. أنني لا أريد أن أساهم ولو بفلس بإنجاح عمل يدعم شركة قد يكون لها يد في قتل إخواني في أي مكان في العالم.

والسؤال:

أولاً: أريد الحل والمساعدة.. هل عليّ فعلا مقاطعة هذه الشركة؟

ثانياً: أريدك أن تساعدني في أن أقوّم وأصحح نيتي.. فأنا – إن كان واجبا عليّ ترك العمل – لا أريد تركه إلا لنية من ترك شيئاً لله..

ملحوظة: قمت بمراسلة ذلك الموقع للسؤال عن طبيعة الأسباب وتفصيلها التي دعتهم لإدراج هذه الشركة ضمن الشركات التي وجب عليهم مقاطعتها.. ولم يصلني رد قط.

ملتزمة – مصر

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

الأخت الكريمة، أشكرك على ثقتك وأدعو الله أن أكون عند حسن ظنك، وأن يرشدني دائما للسداد والتوفيق، كما أدعو الله أن يؤجرك على نيتك في تحري الصواب بالسؤال والمشاورة والبحث العلمي بعيدا عن اتخاذ القرارات العاطفية غير المدروسة، وكذلك الحرص على مراجعة النية بحيث تكون خالصة لوجهه الكريم، وما ذهبت إليه يضمن لك بتوفيق الله حسن العمل، الذي اتفق العلماء أن شرطيه الأساسيين هما إخلاص التوجه لله سبحانه وموافقته للصواب.

والحقيقة أن سؤالك يتناول قضية على جانب كبير من الأهمية

ألا وهي قضية المقاطعة. وأهمية المقاطعة تنبع من أنها بشكلها الحالي تعتبر هي الفعل الوحيد من أفعال الجهاد المدني الذي اكتسب زخما وشيوعا بين مختلف قطاعات الشعوب العربية والإسلامية (المثقف والأمي والعامل والمهني والفنانون والكتاب والرجل والمرأة والشاب والطفل والشيخ) كما روج لها الكثير من وسائل الإعلام كرد فعل على السياسات الإسرائيلية الأمريكية الباغية في منطقتنا، ووجدها رجل الشارع العادي والإنسان الكادح والمطحون فرصة آمنة للتعبير عما يعتمل بداخله من غضب وغليان دون أن يتعرض لأي ضرر أو يواجه بجحافل قوات الأمن، كما وجدها مجالا للفعل المؤثر، وانتشرت قوائم المقاطعة من يد إلى يد.

ولقد شاهدت الطلبة والطالبات يتطوعون بتصوير هذه الوريقات وتوزيعها على زملائهم، كما شاهدت مكاتب لتصوير المستندات توزع قوائم المقاطعة لكل روادها، وأصبح الإنترنت مجالا خصبا للتواصل بين المجموعات العاملة في مجال المقاطعة، سواء المحلية أو العالمية فكانت "المقاطعة أون لاين.. نضال مستمر".

ولكن المقاطعة بشكلها الحالي تحتاج لتطوير وإعادة نظر في كثير من جوانبها لتستمر مثمرة ومؤثرة، وهذا مجال يطول شرحه، ويحتاج لتضافر جهود المختصين، **ومن هذه الآفاق:**

- لا أجدني متحمسة للمقاطعة الثقافية والعلمية والفنية (مقاطعة المؤتمرات والمهرجانات وغير ذلك)، وما أفضله في هذا الصدد هو التواجد المؤثر والداعم لقضيتنا؛ فغيابنا عن هذه الساحات يترك المجال مفتوحا لأعدائنا.
- أما بالنسبة للمقاطعة الاقتصادية والتي تعتبر من أكثر المجالات

شيوعا فقد يكون من الضروري بداية أن نعمل جاهدين على تطوير المنظور والأهداف، فرغم ما تتيحه المقاطعة من آفاق ووجوه – منها ما ذكر في مقال "للمقاطعة وجوه أخرى!" بصفحة "حواء وآدم" بموقع "إسلام أون لاين.نت" – فإن الفهم الشائع والتصور الأحادي لمفهومها أنها تتمثل في الامتناع عن شراء المنتجات الأمريكية والصهيونية لإلحاق الضرر وإضعاف الاقتصاد أو الضغط على القرار السياسي، وهذا ما نلحظه في قولك: "إنني لا أريد أن أساهم ولو بفلس واحد في إنجاح عمل شركة قد تساهم في قتل إخواني"، وهذا مقصد كريم في حد ذاته، ولكن خطورة شيوع الاقتصار على هذا التصور الأحادي تكمن في أن استمرارية المقاطعة ترتبط بجدواها في تحقيق هذه الهدف، وعدم تحققه أو صعوبة ذلك ينذر بتوقف مسيرة المقاطعة وهذا ما لا نريده وما لا نتمناه.

- لا بد من البحث عن ردود للتساؤلات والشبهات المثارة أو أفق أرحب للتناول بمنظور يتناول جميع الجوانب، آخذين في الاعتبار التغيرات والأبعاد العالمية والاقتصادية، ويجب ألا يقتصر الأمر على إيجاد الردود من منظور أحادي النظرة، وشديد السطحية كما هو شائع دائما بيننا وفي نقاشاتنا.
- لا بد من أن يدرس الفرق بين المنتجات أمريكية وإسرائيلية الصنع والتي أرى لزاما علينا مقاطعتها طالما كانت كمالية أو لها بديل آخر، وبين ما يصنع بأيد وطنية، وقد يترك هذا الأمر للمختصين يبحثون الأمر من كافة وجوهه، فما اتفقوا عليه أخذنا به.
- لا بد من أن نضع في الاعتبار أهمية السلعة ومدى ضروريتها

وتواجد البدائل، فمن غير المعقول أن نقاطع دواء ليس له بدائل لها نفس التأثيرات، والأمر نفسه ينطبق على التقنيات الحديثة، على أن يتوازى مع هذا جهود لإنتاج بدائل محلية تقاربها جودة.

- الأمر يحتاج تصورات لبرامج عملية تتيح جودة أعلى للمنتج المحلي، وكذلك برامج تضمن الاكتفاء الذاتي والتعاون بين أقطار الوطن العربي والإسلامي بخيراته.
- ضرورة وأهمية أن نعيد تشكيل الشخصية العربية والإسلامية للكف عن النمط الاستهلاكي الغربي والكف عن البذخ والإسراف، والرسول الحبيب نهى عن الإسراف حتى ولو كنا على نهر جار ومن أجل الوضوء.
- ومن القضايا الشائكة في موضوع المقاطعة والتي تحتاج لجهد ودراسات اقتصادية واجتماعية معمقة بعيدا عن الانفعالية والغوغائية، والآراء المتسرعة غير محسوبة العواقب، وبعيدا عن كيل الاتهامات وتوزيعها جزافا.. هي القضية التي تطرحينها وهي قضية العمالة في شركات التوكيلات الأمريكية أو ما يعرف الآن "بالشركات متعددة الجنسيات أو الشركات الكوكبية"، وهذه الشركات بوضعها الحالي هي الذراع الاقتصادية التي تدعم ممارسات العولمة ذات الوجه القبيح.

فما هي هذه الشركات؟ لقد عرفها الدكتور إسماعيل صبري عبد الله على أنها كائن غريب أرادت له الرأسمالية الجديدة أن يحل محل الشركات القومية. ولهذه الشركات سماتها المتميزة ومنها الضخامة (التي تقاس عادة بإجمالي العائد السنوي)، وتنوع الأنشطة (وهذا يسمح بجعل إمكانية الخسارة في أدنى مستوياتها)، مع اتساع النشاط

الجغرافي (ومن أسمائها الشركات عابرة القارات).

وتعتمد هذه الشركات الضخمة على عشرات الآلاف من الشركات الصغرى لإنتاج مكونات السلع، ويحدث هذا التعاون سواء بالاندماج أو بالتعاقد من الباطن، وعادة ما ترحب شركات القطاع العام في الدول المختلفة بالتعاون مع هذه الشركات العملاقة أو بالاندماج معها من خلال نظام الخصخصة، وبذلك أصبحت هذه الشركات النمط الشائع لاستثمار رؤوس الأموال العربية، وهذه الشركات تستوعب عددا ضخما من العمالة الوطنية، فهل من الأفضل لمجتمعاتنا ولقضايانا أن يترك هؤلاء العاملون أعمالهم؟

قد تكون الإجابة الأسهل على تساؤلاتك: من الأفضل ترك العمل بهذه الشركات فورا إذا كنت قادرة على الاستغناء عن العمل أو الانتظار حتى تجدي فرصة عمل آخر ولو بدخل أقل، مع التأكيد على أنه: ﴿وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم﴾ [التوبة: 28] و"من ترك شيئاً لله عوضه الله خيرا منه" [رواه السيوطي].

هذه الإجابة قد تكون الأسهل، ولكنها للأسف الشديد ليست الأصوب؛ فهي تغفل دراسة الموضوع من كافة جوانبه، وتغفل الاعتبارات العالمية ونظم هذه الشركات، وتغفل الكثير من الاعتبارات التي يجب أن تراعى عند بحث هذا الأمر.

كلي ثقة في قدرة الحق سبحانه على تعويض من ترك شيئاً بغية إرضائه، ولكننا بهذا الفعل نكرس مرة أخرى فكرة الخلاص الفردي والنجاة الفردية، فالمهم أن أتخلص أنا من وزر المشاركة في العمل بهذه الشركات، وسيترك من يقتنع بهذه الفكرة والقادر على ذلك عمله، وسيظل غيره في عمله، وسيأتي آخرون ليعملوا ولو لم يجد أصحاب

العمل عمالة وطنية فسوف يبحثون عن عمالة أجنبية، وستدور عجلة العمل والإنتاج وستظل الشركات تدعم ممارسات العولمة القبيحة!!

لقد تعلمنا من ديننا أن الانعزال مرفوض، وأن "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي يعتزلهم ولا يصبر على أذاهم" [رواه الترمذي]. والأفضل للمسلم أن يختلط بالناس ويؤثر فيهم، والله سبحانه وتعالى يقول في كتابة الكريم: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ [الحج: 40]، و﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة: 251]، فهذا التدافع بين الناس هو سنة من سنن الله في خلقه.

ولقد رأينا مع تصاعد قوة ضغط الحركة المناهضة للعولمة أو الحركة الداعية للعولمة البديلة المؤنسنة، والتي وصفت بأنها أصبحت ثاني أكبر قوة حول العالم.. نوعاً من هذا التدافع؛ حيث سعت القوى الرأسمالية في مؤتمر دافوس هذا العام (2003) للتحاور مع العناصر المناهضة للعولمة في محاولة لتقارب وجهات النظر والوصول لتصورات ترضيهم، فهل يدعونا هذا الفهم لطرح فكر مخالف يسمح بعمل أكثر إيجابية؟

ألا يمكن أن تتوحد جهود العاملين بحيث يشكلون عنصرا ضاغطا على أصحاب رؤوس الأموال الوطنيين للبحث عن توكيلات لشركات أخرى؟ أو تتوحد جهود هؤلاء العاملين مع أصحاب التوكيلات المحبين لمصلحة الوطن للتأثير على سياسات أصحاب الأعمال في الشركة الأم؟ وهل يمكن أن يتضافر الضغط الشعبي بالمقاطعة مع ضغط العاملين للضغط؟

وما هي الآفاق التي تتيحها الإنترنت للتواصل مع أنصار حركة العولمة البديلة من الاقتصاديين ومن أصحاب رؤوس الأموال من أجل الضغط على هذه الشركات متعددة القارات لتصبح أكثر دعما لسياسات العولمة المؤنسنة؟ وهل يمكن استخدام وسائل مثل شن الحملات وإرسال خطابات الاعتراض عبر الإنترنت من أجل التأثير على سياسات هذه الشركات؟

من المعروف أن هذه الشركات تطرح أسهمها في الأسواق بصورة تجعل للمساهمين قدرا ضئيلا جداً بحيث لا يكون لهم الحق حتى في حضور الجمعيات العمومية، فهل هناك وسيلة للتحايل على هذا الوضع بحيث يصبح رأس المال المستثمر مؤثراً على سياسات هذه الشركات؟

من المعروف أيضاً أن هذه الشركات تسعى دائما لتصعيد الكفاءات البشرية من الشركات الفرعية للشركة الأم، فهل هناك آفاق لاستغلال هذا الوضع؟ ومن المعروف أن رأس المال ذكي ولا يحب الخسارة وأنه يخضع دائما لاعتبارات وضغوط السوق، ونجاحنا في هذا المجال يتيح لنا أن نتحكم في السياسات التي ترسم ملامح مستقبلنا القريب والبعيد على حد سواء.

أختي الحبيبة، ما قصدته أنك ومن موقعك داخل هذه الشركة يمكنك بداية أن تتعرفي أكثر على سياسات هذه الشركة، وهل هي فعلا قد شاركت في دعم الكيان الصهيوني أو دعم الحملة الأمريكية على العراق؟

ومن خلال علاقاتك بزملاء العمل يمكنك التعرف على من يمكنه أن يشاركك في حمل همِّ هذه القضية، ويقيني أنك ستجدين

فيمن حولك - إذا خلصت نيتك وإذا أحسنت التوكل على الله - الكثير من النماذج الخيرة الغيورة على دينها وأوطانها، على أن يبدأ كل منكم بتكوين شبكته الخاصة من الزملاء والزميلات، وعندما تكوّنون قاعدة عريضة من الرافضين لسياسات الشركة يمكنكم ساعتها أن تضغطوا من أجل التوقف عن هذه السياسات، كما يمكنكم من خلال التواصل مع العاملين في فروع التوكيلات الأخرى أو في الشركة الأم أن تتعاونوا معا من أجل الضغط على أصحاب التوكيل الأصليين.

ولكن الأمر ليس سهلا، وسيحتاج لجهد ودراسة وبحث وتدقيق للتعرف على النظام الاقتصادي للشركة، وكذلك النظام الإداري والهيكلي ونظام التوكيلات وشروط التعاقد مع الشركة الأصلية؛ فاستعيني بالله ولا تعجزي، وتوكلي عليه فهو سبحانه القادر وأمره بين الكاف والنون، وكوني معنا دائما فخبرتك في هذا المجال قد تفتح آفاقا جديدة للتعاون والفعل الإيجابي.

أختي الكريمة، لقد حاولت أن أجتهد قدر استطاعتي، ولكنني لا أدعي أنني خبيرة في علم الاقتصاد، ولكن تساؤلك فجّر قضية يجب أن تكون موضع نقاش بين خبراء الاقتصاد، وخصوصا من هم على علم ودراية بسياسات هذه الشركات الكوكبية، وأعتقد أن هذا سيدفعنا لعمل موضوع (أو ملف متكامل) عن العاملين في هذه الشركات والآثار الاقتصادية المترتبة على تركهم لأعمالهم، وكيف يمكن أن يكون دورهم أكثر تأثيراً؟ وعموماً الموضوع مفتوح للمناقشة والحوار.. فهل من مشارك؟!

صديقتي يهودية أمريكية.. هل أقطع علاقتي بها؟

السلام عليكم، مشكلتي لا أدري إن كانت غريبة أم لا، فأنا لي صديقة يهودية أمريكية تعرفت عليها عن طريق الصدفة. وقد رغبت في أن أتعلم اللغة العبرية والإنجليزية، وهي شغوفة باللغة العربية كثيراً. كنا نجلس معا وقتا طويلا، تعلمنا أشياء كثيرة وتطرقنا للتحدث عن أمورنا الخاصة، ويوجد بيننا محبة واحترام. هي الآن تعمل معلمة في دولة أوروبية، ولكنها دائمة الاتصال بي.

المشكلة أنني أرغب كثيراً في قطع الصلة معها بسبب ما يحدث في فلسطين والعراق من قتل ودمار، لكنها عندما تشعر بذلك تبدأ بالبكاء ويظهر على صوتها نبرة حزن.. فهل تشجعونني على قطع علاقتي بها؟ مع العلم أنني أيضاً أحبها كثيراً، لكنني أفعل ذلك تعبيرا عن تضامني مع أهلي وإخواني. أرشدوني لو سمحتم.

ب - فلسطين

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

الأخت الكريمة، كم سعدت برسالتك القادمة من أرض فلسطين الحبيبة إلى قلوبنا جميعا؛ لأن رسائلكم تشعرنا أننا صرنا بالقرب من مسرى حبيبنا وقدوتنا المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، نشعر أننا نجوب بين ربوع القدس الشريفة، ونصلي في المسجد الأقصى،

ونشاهد قبة الصخرة، ونستمع لأجراس كنيسة القيامة، ثم ننتقل إلى بيت لحم لنرى كنيسة المهد التي احتضنت المسيح علية الصلاة والسلام وليدا، ونسير في الشوارع والطرقات نصافح الأبطال من أطفال وشباب الانتفاضة، وتكتحل عيوننا برؤيتهم وهم رمز عزتنا وكرامتنا.

وللأسف فقد وصلتني رسالتك في وقت عصيب من أوقات أمتنا حيث الهجمة الأمريكية الخبيثة على أرض الفرات؛ ولذلك آثرت أن أؤجل الرد على تساؤلك حتى تمر هذه اللحظات الأليمة التي عشناها وعاشتها أمتنا الجريحة؛ لأننا في هذه اللحظات قد شغلنا بكشف الحقائق وسبر الأغوار عما في المشاهد المتتالية من زيف وخديعة، وكذلك شغلنا بالعمل على رفع المعنويات بين كل من نلقاه أو نتواصل معه، فأرجو أن تتقبلي اعتذاري ولا تغضبي مني.

والحقيقة أن تساؤلك يطرح قضية على جانب كبير من الأهمية لما شابها من لبس وغموض؛ وهو ما أدى لرسوخ مجموعة من الأساطير التي اعتبرها البعض أمورا مسلمة ومن الثوابت التي لا تقبل نقاشا ولا تفاوضا؛ حيث رسخ في أذهاننا أن كل اليهود أعداء لنا، وأنهم جميعاً يتسمون بسمات معينة تجعل التعامل معها أمرا مرفوضا وخيارا غير مطروح. وتسطر الكتب والمقالات عن السمات المميزة للشعب اليهودي، رغم أن اليهود - مثل أتباع أي ديانة - ليسوا شعبا واحدا، ولكنهم عرقيات وجنسيات مختلفة، ورغم أن الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم قال لنا: ﴿ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون﴾ [آل عمران: 113]، وقال أيضاً: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ [الأعراف: 159]، ونفس مجموعة الأساطير شاعت عن الأميركان،

فكل الأميركان أعداء لنا ولا بد أن نعاديهم، وصديقتك تجمع بين الأمرين، بين كونها يهودية الديانة وأمريكية الجنسية.

وعندما يعم اللبس والغموض ينبغي أن يكون حكمنا ومرجعيتنا كتاب الله وسنة رسوله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: 8 - 9].

وقد تقولين ويقول غيرك بأن هؤلاء اليهود يحتلون أرضنا وينتهكون حرماتنا ويدنسون مقدساتنا ويقتلون أطفالنا، وهذا اللبس يحدث للخلط الشائع بين اليهودية كديانة والصهيونية كحركة أو مذهب سياسي قومي استعماري استيطاني كما وصفها الأستاذ "روجيه غارودي" في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية". ولقد ووجهت الحركة الصهيونية منذ بدايتها وحتى الآن بمعارضة من بعض اليهود الذين اعتبروا قيام دولة إسرائيل نوعا من الشرك (حيث اعتبروا أن تقديس اليهود لدولة إسرائيل نوع من الوثنية الجديدة التي تشبه إلى حد كبير وثنية من عبدوا العجل في زمن موسى عليه السلام).

ومع تصاعد الحركة الصهيونية في أواخر القرن الماضي فقد عارضها الكثير ومنهم إيزاك ماير وايز الذي قال في مؤتمر مونتريال 1897: "إننا نرفض رفضا باتا أي مبادرة ترمي إلى إنشاء دولة يهودية، فأية مبادرات من هذا القبيل تنم عن فهم خاطئ لرسالة إسرائيل التي كان اليهود هم أول من بشر بها.. إننا نؤكد أن هدف اليهودية ليس هدفا سياسيا ولا قوميا، بل هو هدف روحي".

وكان لرابطة الحاخامات الألمان والجماعات اليهودية في لندن والاتحاد الإسرائيلي العالمي والاتحاد الإسرائيلي في النمسا مواقف مشابهة. كما قال مارتن بوبر: "لقد اجتُث الدين اليهودي من جذوره عندما ولدت النزعة القومية اليهودية؛ حيث تحول الشعب إلى صنم يُعبد". وقال يهودا ماجنيس: "الصهيونية التي استقطبت جانبا كبيرا من يهود الشتات يهودية وثنية". كما قال بنيامين كوهين: "إن الإنجاز الأكبر الذي حققته الصهيونية هو تجريد اليهود من يهوديتهم، فلتفعلوا أيها الأصدقاء كل ما بوسعكم لكي لا يتمكن أتباع مناحيم بيجن وشارون من تحقيق هدفهم المزدوج؛ وهو التصفية النهائية للفلسطينيين كشعب ولليهود ككائنات بشرية".

ورغم أن هؤلاء اليهود بحركتهم ضد الصهيونية قد تعرضوا للإيذاء وللاضطهاد من الصهاينة فإنهم ما زالوا حتى الآن يحاولون أن يرفعوا صوتهم، مؤكدين على أن الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل يتنافيان مع اليهودية السليمة، ومنهم إلياس دافيدسون الذي جعل عنوان إحدى مقالاته: "معا لأجل فلسطين حرة وغير مقسمة"، ومنهم ناعوم تشومسكي الكاتب الأمريكي اليهودي الذي يقف بكل قوة ضد سياسات دولة إسرائيل وضد سياسات الحكومة الأمريكية.

أما إذا أردت أن تقطعي علاقتك بصديقتك لكونها من الأميركان فما قولك في أنه رغم ما للحكومات الأمريكية المتتابعة من مواقف مؤيدة ومتحيزة وداعمة لإسرائيل، وخصوصا مع تصاعد قوة ضغط اليمين المتطرف المسيحي الذي يروج لعودة المسيح مع صعود نجم إسرائيل وهدم المسجد الأقصى، ورغم الحملة الظالمة التي شنتها وتشنها أميركا وحلفاؤها ضد شعبنا الأعزل في العراق.. رغم كل

هذا فلا أحد يستطيع أن ينكر وجود عشرات الآلاف من الأميركان الذين لا يرضون عن سياسات الحكومة الأمريكية، وهؤلاء قد نظموا حركاتهم للوقوف ضد الحرب على العراق.

ولقد وجد هؤلاء وغيرهم في المنتدى الاجتماعي البديل في بورتو أليجري الذي حضره ما يقرب من مائة وعشرين ألفا فرصة لمناهضة سياسات أميركا الظالمة في فلسطين والعراق، ومن المبكيات غياب الوجود المؤثر للعرب والمسلمين في هذه الحركات. كما انطلقت المظاهرات المليونية المناهضة للحرب في شوارع أوروبا وأميركا.

وجاء البيان الذي وقعه ستون ألفا من الأميركان وعنوانه: "ليس باسمنا" ليؤكد على موقفهم الرافض والمناهض لما يفعله بوش وعصابته، والداعي لمراجعة سياسات الحكومة الأمريكية؛ لأنها هي التي ترسخ كره أميركا بين شعوب العالم المقهورة، ولقد فعلوا ذلك رغم أن هذا قد يعرضهم للاتهام بالخيانة والسجن.

ومن هؤلاء كتاب وأدباء وفنانون آمنوا بضرورة أن يسود الحق والعدل والمساواة والسلام، فكانت كتاباتهم خير شاهد من أهلها على قبح وبشاعة الغزو الأمريكي؛ فقد كتب روبرت فسك مقالات متوالية أيام الغزو ومنها: "هذه هي حقيقة الحرب.. نحن نضرب وهم يعانون" و"في ساعات الظلام الطويلة: بغداد تهتز متأثرة بفرقعة القاذفات ب 52"، و"في وسط الاحتفال: طفل في سكرات الموت وملابسه غارقة بالدماء".

ومن هؤلاء أيضاً عشرات من الشباب الناشطين الذين تركوا الأهل والحياة المرفهة في بلدانهم ليكونوا دروعا بشريا تذود

بصدورها عن أهلنا في فلسطين والعراق، لتسقط منهم راتشيل كوري التي لقيت حتفها تحت عجلات جرافة صهيونية عندما كانت تدافع عن بيت من بيوت الفلسطينيين، وكثيرون غيرها لم يرهبهم موتها ولم يدفعهم للتنازل عن القضية التي آمنوا بها، حتى ابنة رامسفيلد جاءت إلى الأردن مع أصدقائها لتشارك هي الأخرى في حماية أهل العراق من بطش عصابة والدها.

وللاطلاع على المزيد من التفاصيل حول هذه الحركة العالمية، ومواقع الحركات المناهضة للعولمة وللحرب الجائرة على العراق يمكنكم الرجوع إلى مقال "العالم يحتج إلكترونيا.. مظاهرة أون لاين" الذي نشر بموقعنا بصفحات خاصة.

وقد تقولين ويقول غيرك: فماذا عن قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾؟ [المائدة: 51]. والجواب أن ما نهينا عنه هو موالاتهم، والولاية مصدر لـ "ولي" بمعنى النصرة، ويقال بأن هذه الآية قد نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين عندما ذهب يشفع في بني قينقاع ويقول للرسول (صلى الله عليه وسلم) "أحسن في مواليّ"، والامتناع عن مناصرتهم بالطبع لا يعني ظلمهم والجور عليهم؛ فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة: 8].

ولنا في الفاروق عمر خير قدوة عندما انتصر للقبطي المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص وذلك بضرب هذا الابن ووالده، وهو يقول: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!!". ولقد

شاءت إرادة المولى عز وجل أن يجعل من أمهات المؤمنين - وهي السيدة صفية بنت حيي بن أخطب - من كانت يهودية قبل زواجها من الرسول الكريم، ومثلها كان العديد من الصحابة الذين حسن إسلامهم.

فإذا اتضح مما سبق أنه لا يوجد ما يمنع أن تصادقي هذه الفتاة اليهودية الأمريكية؛ ما دامت لا تظهر العداء ولا تتعمد إيذاء إخوانك المسلمين، **فإنني أجد لزاماً عليك أن تراعي ما يلي في علاقتك:**

- نحن أمة وسط، ولقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله بالاعتدال والتوسط في كل أمر من أمورنا، وحرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على التأكيد على هذا المعنى حتى في الحب فقال: "أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما" [رواه الترمذي]؛ فحبك الشيء يعمي ويصم، فاحرصي على التوسط في عاطفتك نحوها، وحذار من أن يعميك حبك عن عيوبها أو عدائها إن كان ظاهرا، و"المؤمن كيس فطن" [رواه السيوطي في الجامع الصغير].
- يجب أن تظهري لها الصورة الرائعة للمسلمة المعتزة بدينها، وأن تكوني بأفعالك وأقوالك خير دعاية لبضاعتك الإسلام، فقد يكون الله سبحانه يريد لك ولها الخير بأن تتعرف على الإسلام على يديك، فيكون هذا خيرا لك من حمر النعم.
- لقد كانت علاقتكما حتى هذا اليوم علاقة شخصية، فهل في إمكانك أن تجعلي لهذه العلاقة غاية أسمى، وذلك بأن تشجعيها على أن تتعرف على وجهات نظر اليهود ضد الصهيونية، وأن تظهري أمامها - ولكن برفق وبقدرة على مخاطبة الإنسان فيها -

الوجه القبيح للصهيونية بما ترتكبه كل يوم من فظائع في حق الشعب الفلسطيني.

وكذلك قد يكون مفيداً أن تحاولا معا الانخراط في إحدى حركات مناهضة العولمة التي تتحرك بغية أن يسود العدل والحق والمساواة والسلام أرجاء المعمورة، ولتكن هذه فرصة لينضم إليكم بعض من صديقاتك وصديقاتها، فلقد وصفت صحيفة نيويورك تايمز هذه الحركة بأنها أصبحت ثاني أكبر قوة في العالم، وأملنا أن ندعم هذه الحركة لتكون أكثر تأثيرا في الأيام القادمة من أجل عولمة بديلة أكثر إنسانية.

المولعون بأميركا..
حضارة قوة أم أمة؟ (مشاركة)

أثارت تفكيري رسالة "بين الأمس واليوم.. المولعون بأميركا" التي نشرت بصفحة "مشاكل وحلول للشباب"، فتحرك عقلي ويدي للمشاركة، وإبداء الرأي؛ فأنا بصراحة لست من هواة الكتابة، وخصوصا في مجال السياسة، ولكني من المناقشين لهذه المواضيع باستمرار مع أصدقائي، فتعليقي ليس ردا على صاحب المشكلة - أقصد السائل - بل هو مشاركة بسيطة في إضافة كلمة صغيرة.

أحب أن أوضح أن المسألة ليست حب أميركا أو كره أميركا؛ فأميركا ليست صاحبة حضارة أخلاقية، وإنما صاحبة حضارة علمية؛ أقصد حضارة قوة، ولم ولن تصل إلى تحقيق المعادلة الصعبة التي حققتها الحضارة الإسلامية؛ حيث إن الحضارة الإسلامية منبعها الدين الحق؛ فهي قائمة على الأخلاق والآداب والعلوم والفنون، وكانت حضارة قوية، ولكن في الحق؛ فلم نسمع يوما أحدا تحدث عن أخلاق أميركا، وإنما الانبهار انبهار لحظي، انبهار مظهر لن يستمر كثيراً إن شاء الله.. وأحب أن أتكلم عن سر التقليد وأسبابه، وإن كان ذلك من منطلق تاريخي؛ حيث السؤال: لماذا توقفت الحضارة الإسلامية عن النمو والازدهار في القرنين الماضيين؟! فتذكرت ما درسته في التاريخ من أن ضعف الدولة الإسلامية كان بسبب تفشي مشكلة الأقليات الدينية، وتصاعد الصراعات بين المسلمين أنفسهم من سنة

وشيعة بفرقها الكثيرة.

السبب الثاني هو النقل والاقتباس من الدول الأخرى الأوروبية؛ حيث كان هذا هو التحديث بالنسبة لولاة الأمر في فترة من الفترات؛ فبدلا من التعامل مع المشاكل التي تواجهنا من منطلق الدين والشرع تعاملوا معها من منظور غربي بسبب قفل باب الاجتهاد؛ حيث إن علماء الشريعة تقاعسوا عن إعادة النظر في الأحكام الشرعية في ضوء التطورات التي صاحبت العالم.. بل على العكس فإنهم حاربوا كل من حاول أن يجتهد في الدين في تلك الفترة، وأصبح محل اتهام بالكفر والخروج عن الشرع؛ فسامح الله هؤلاء.

أحببت أن أوضح أن المشكلة ليست حبا أو كرها، وإنما هي مسألة انبهار بما لا نجده عندنا في وقتنا هذا. فالطريق - للأسف الشديد - طويل جداً حتى نصل إلى ديننا؛ فنحن في واد والدين في واد آخر؛ فلن نحقق حضارة إسلامية من غير إسلام؛ فيجب علينا أن نتصرف بإسلام في كل شيء، لماذا لا نبدأ في تطبيق الشريعة الإسلامية على أنفسنا أولا؟ ولماذا لا يتعامل عالم الدين بالفهم الصحيح للإسلام؟ بصراحة أنا أرى أن القضية قضية وإسلاماه.. ممن؟؟ منا نحن؛ فنحن أنفسنا أخطر على الإسلام من أعدائنا. وصدقوني؛ فأي حاكم دولة عربية يحارب الإسلام خوفا على منصبه؛ فأنا أصفهم بأنهم عبيد الكرسي.

محمد - ...

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ الكريم، أؤكد لك أنك بقليل من الجهد يمكن أن تكون من محترفي الكتابة وفرسانها، ولكن يحتاج الأمر إلى بعض التدريب على عرض الأفكار بشكل منظم ومتسلسل، ولغة واضحة سهلة، وأرى أنك تملك من هذا وذاك رصيدا قابلا للتنمية بإذن الله.. هذا من ناحية الشكل.

أما من زاوية المضمون فالسؤال الذي تطرحه بقولك: لماذا توقفت الحضارة الإسلامية عن النمو والازدهار؟! سؤال محوري، وأعتقد أنه يحتاج إلى دراسة أوسع، ومحاولتك للإجابة عن سبب ضعف الدولة الإسلامية مشكورة ومباركة.

وأذكرك أن فترات قوة الدولة الإسلامية في تاريخنا لم تكن طويلة، ولكن دفة النهضة، ومسؤولية التقدم لم تكن ملقاة على عاتق الدولة إلا في المراحل المتقدمة، والدولة العثمانية في أواخرها مثال على ذلك بالتحديد وبوضوح.

النهضة والتقدم كانا مشروع حركة الأمة التي كانت تدير نفسها وشؤونها بالأوقاف والتكافل الاجتماعي تمويلا، وبالإدارة المدنية الاجتماعية تحريكا، ويبدو أن فاعلية الأمة في القيام بالوظائف المختلفة كانت أكبر من فاعلية الدولة فيما بعد، أي عندما برزت وتسلطت، وتغولت.

لاحظ الفارق في مصر مثلا بين مقاومة الحملة الفرنسية – وكانت مقاومة شعبية خالصة طردت المحتل بعد معاناة وخسائر باهظة – وقدرة دولة "محمد علي" فيما بعد على مقاومة ضغوط

الغرب، ثم انكسار المقاومة الأكثر "نظامية" في حالة جيش عرابي في مواجهة الحملة العسكرية البريطانية، ثم الاحتلال على مصر في نهايات القرن التاسع عشر، ونحن نبدو غافلين تماماً عن تاريخنا!!

فكرة الدولة القومية التي تبسط سلطانها، وتتدخل في شؤون العمران، وحياة الناس من تعليم وعلاج، ودفاع، وثقافة، واقتصاد داخلي... إلخ.. هذه الصورة للدولة صورة مستوردة أثبتت فشلها لدينا بامتياز، وبخاصة مع استبداد وفساد القائمين عليها كما تفضلت أنت في رسالتك، وربما حان الوقت لإعادة النظر في نظام أكثر فاعلية ومشاركة ودورا للناس في تقرير مصائرهم، واتخاذ قرارات حياتهم، وإدارة شؤونهم، ولا أحسب أننا مضطرون في إطار عملية إعادة النظر هذه للقبول بفكرة "الدولة القومية" المستوردة فلسفة، والفاشلة تماماً تطبيقا؛ فهذه الفكرة أو الصيغة ليست قدرا ولا حتمية تاريخية، ولكنها مجرد واقع يمكن أو ينبغي التعامل معه حتى نتحرر وننهض، ولن نستطيع التخلص من سيطرة فكرة الدولة على عقولنا، وسيطرة أجهزتها على واقعنا وحياتنا إلا إذا ضاعفنا الجهود في تقوية بنيان الأمة والمجتمع والجماعة والأسرة والفرد، وتمكين هؤلاء جميعاً من إدارة فضلى لحياتهم، وتفكير أعقل في شؤونهم، والنظر إلى الدولة بوصفها إدارة تصيب وتخطئ، وليس بوصفها صنما نعبده، أو إلها نبكي حرقة في محراب فساده واستبداده، أو ندعو له بالصلاح، ودمتم!!

أرى أنه من قبيل التبسيط أن نعتقد أن الحل يكمن أو يمكن اختصاره في تغيير الأنظمة المتسلطة على رقابنا، ولكن هذا التغيير يبدو هاما كشرط من شروط النهضة، وخطوة من خطواتها، وربما

يحدث كنتيجة طبيعية أو تلقائية لتغيير الواقع الذي تستند إليه هذه الأنظمة، وتستقر فوقه من هشاشة التركيب الذهني والاجتماعي، وشيوع المظالم وأنواع التخلف الثقافي والنفسي، وسيطرة عقلية مضطربة مشوشة على تعاملنا مع شؤون ديننا ودنيانا.

أقول هذا محاولا توضيح وجهة نظري في هذه المسألة لبعض الإخوة الذين أرسلوا يؤكدون على أهمية ومحورية فكرة الدولة، وعقبة الأنظمة القائمة وممارساتها السلبية تبعية وفسادا، قهرا وتخلفا، ولا أحسب أن عاقلين يمكن أن يختلفا حول هذه النقطة، ولكن يبقى السؤال هاما حول: ثم ماذا إذن؟! وسؤال آخر حول فكرة "الدولة الإسلامية"؛ ذلك الحلم الذي ما زال يداعب أذهان الملايين غامضا ملتبسا، بوصف قيام هذه الدولة هو البداية اللازمة للنهضة، ولم يتوقف أحد ليراجع "تجارب" أو "محاولات" إقامة ما يسمى بالدولة الإسلامية، وما آلت إليه.

إذن أعتقد أن توقفنا عن العطاء الحضاري جاء على خطوتين يا أخي الكريم، كانت الأولى في ارتباط النهضة والحضارة بالدولة وأجهزتها بدلا من الأمة وهياكلها، ثم الثانية حين ضعفت وانهارت هذه الدولة، وتلك الأجهزة، وهي نتيجة شبه حتمية في ظل الصيغة الشمولية المركزية لأي دولة إسلامية كانت أو غير ذلك، ونفس النموذج يمكن أن تلاحظه في الاتحاد السوفيتي، كما في تجربة "محمد علي"، ثم محاولة "عبد الناصر"، والكلام في هذا يطول.

وأعجبني أيضاً حديثك عن النقل والاقتباس، ولكنني أختلف معك حين تضعه مضادا للاجتهاد في الدين؛ فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها، وهي هدفه ومقصده من أي وعاء خرجت، والمشكلة ليست

في مبدأ النقل، ولكن كيف يتم على النحو الصحيح؟! ولا ضرر في التفاعل مع الغير شريطة امتلاك وعي الانتقاء.

وأتفق معك في مسألة التقليد، ومحاربة الأصوات التي حاولت التجديد، فأصابت وأخطأت كما هو حال البشر دائما، وفي الحالة المصرية مثلا فإن أصواتا مثل قاسم أمين، ورفاعة الطهطاوي، والإمام محمد عبده، وغيرهم ما زالت محسوبة على التنوير بمعناه العلماني! رغم أن هؤلاء إنما كانوا يحاولون التجديد في إطار الثقافة والوعي والحضارة الإسلامية، وكل يؤخذ من كلامه ويرد، ولكن أعداء التجديد، ودعاة الانغلاق نظروا إليهم على النحو الذي تصفه أنت وأوافقك فيه.

ولكن ألا ترى معي أن نفس النظرة ما تزال شائعة لدى الجمهور الأعرض من أهلنا، وأن الموقف من التجديد أو الاجتهاد ما زال كما هو: تأكيد على أهميته، والغزل بجماله وروعته، وأنه سبيل حفظ الدين وصلاحيته لكل زمان ومكان، ثم لعنة تنزل على رأس من يحاوله ويفعله بجدية، ودون نقاش موضوعي أو حوار منهجي!!

وليس ما حدث مع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وما يحدث اليوم مع القرضاوي وغيره - وهؤلاء في رأيي من المتحفظين في طرح ما لديهم - ببعيد، ألا ترى استمرار نفس الموقف من أي فكر جديد يحاول تقديم نظرة مختلفة، أو مبادرة تحمل إبداعا أو طرحا يخالف السائد؟ ألا ترى أن من يفعل ذلك تتناوشه السهام، ولا يسلم من الطعن في دينه، وانتمائه لهذه الأمة؟! ألا ترى معي أن في تاريخنا وفي واقعنا المعاصر حراسا للتخلف وضعوا على عاتقهم مهمة التصدي لكل جديد؛ بدعوى أنه وافد أو مدسوس؟ وفي الحقيقة

مهدد لأوضاعهم ومكانتهم الأدبية، أو تركيبتهم العقلية والنفسية على الأقل! وأنا أدعو معك لي ولهؤلاء وأولئك بالهداية، ولا أقول سامحهم الله، بل أرى أنهم ضلوا وأضلوا، وما زالوا يفعلون، والله حسبنا، وهو نعم الوكيل.

وأخيراً فأنا لا أرى معك أن الطريق طويل بيننا وبين النهضة، ولا أحسب أن في الأمر تفاؤلا أو تشاؤما بمقدار ما أراها تتوقف على جهودنا أنا وأنت والآخرين.. وذلك إذا تحركنا بنشاط وقوة ندعو إلى الدين الصحيح على بصيرة، وننتقد التخلف وأنصاره، ونتحداهم بوضوح وثقة وأدب، وإذا قررنا أن نبدأ بأنفسنا، وبمن حولنا لنقيم العدل فيما بيننا، ونبث معاني الإيجابية والفاعلية، ونتصدى للظلم والاستبداد، وسوء التفكير والممارسة، وننشر العلم والرقي والتمدن، والتفكير السليم، والتفاعل المثمر بين الناس.. إذا تحركنا بالمعنى العميق للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأرجو أن تكون قد قرأت مقالي: "الجهاد المدني.. الطريق إلى فعل مختلف" الذي نشر بموقع "إسلام أون لاين.نت"، وأخشى أن ينحبس في قضية العراق رغم أنه يطرح منهجا عاما للتفكير للخروج مما نحن فيه.

إذا تحركنا في ضوء هذه المعاني، واتفقنا أن هذا هو معنى "تطبيق الشريعة" لأن هذه الكلمة تم ابتذالها هي الأخرى مع الأسف عبر ممارسات أبعد ما تكون عن الشريعة حكما وروحا، وإذا كففنا عن القول: لماذا لا يتعامل عالم الدين بكذا؟! ولماذا لا يعدل الحاكم؟! لأن أسئلتنا أو شتائمنا لن ينعدل معها حاله.. إذا وثقنا في أنفسنا، وتغيرنا، ونشرنا هذه المفاهيم – فأحسب أن الطريق سيكون أقصر.

إعادة بناء العمل الأهلي

منذ اندلاع الحرب الأمريكية ضد العراق وأنا أفكر بجد ماذا أفعل... أنا الفرد الضعيف؟ كيف أكون إيجابيا؟ فأنا طالب جامعي عربي تعاني بلدي كباقي الدول العربية النامية: الفقر والجهل والأمية وتهميش الحريات وقتل ووأد قدرات الشباب، والقدرة الفائقة على "الإجهاز المبرم" على أي طاقة متوقدة أو فكر مستنير!!

قررت الهروب من واقع حياتي هذا إلى عالم الغرب عبر الإنترنت لعلي أجد فيه مجالا للفعل، فأذهلني ما رأيت من دعوات يومية للمظاهرات التي ينظمها الطلاب وحتى المواطنون العاديون.. أذهلني المشهد، فوجئت أن الجميع لديهم خطة تفصيلية بكل ما سيقومون به من نشاطات حتى نهاية العام!! كيف أنهم قوم "جبارون" يفكرون في كل شيء!! يستقطبون المفكرين، ويوجهون كلامهم لرجل الشارع العادي، ويدركون كيف ومتى سيزودون من وتيرة نشاطاتهم... إلخ.

باختصار، أذهلني كم العمل الذي يقومون به في مقابل كم الكلام عندنا، عندئذ عرفت أننا قوم نبرع في الكلام، والكلام فقط.

وسؤالي ببساطة: ألا يمكننا أن نقوم بالاثنين معا؟ فلنتكلم، ولكن هذه المرة مع غيرنا وليس مع بعضنا البعض!! وليكن الكلام مؤثرا وفعالا من أجل رد الظلم والعدوان والحرب.

ع - ...

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أخي الكريم، أنت أتيت بالخلاصة، - و"من الآخر" كما يقول المصريون - ونحن في هذه الصفحة حين نتحدث عن حل أو حلول عملية عامة، إنما نقصد تماماً ما تتحدث أنت عنه هنا من تجميع للجهود المخلصة البسيطة من أجل تغيير الأحوال والأوضاع الاجتماعية والثقافية، وهي فكرة وصيغة معروفة ومجهولة في الوقت ذاته عندنا في أوطاننا.

هذه الهياكل والأعمال يسمونها في الغرب "المجتمع المدني"، وهي صيغة معروفة تاريخياً، عرفناها منذ القدم حين أمر ديننا الناس بالتكافل وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تنفر من كل فرقة طائفة؛ ليتفقهوا في الدين، وينذروا قومهم... إلخ.

فكرة تكوين الجماعات والمجموعات من الناس لخدمة الأهداف الجزئية لمقاصد هذا الدين في العيش، والمشكلات التي تقابل الناس في حركاتهم وحياتهم، هذه الفكرة قديمة، ونابعة من الشرع، ومتواصلة في التاريخ، تتخذ أشكالا متنوعة تتطور أحياناً، وتنحسر أحياناً أخرى، وما زالت هذه الفكرة تصنع كيانات تتنوع في أشكالها وأهدافها وأسمائها، ولكن فاعلية هذه الأفكار والهياكل أصبحت مشلولة، عاجزة لأسباب تدركها الأغلبية.

فمن ناحية، قامت الدولة الحديثة في أوطاننا على أنقاض تدمير هذه الكيانات؛ لأنها رأت فيها تهديدا لقوتها وسطوتها، ومنافسا لجهاز الدولة حين تتجمع الطاقات في كيانات لا تقع تحت سيطرة السلطة، ومن ناحية أخرى فإن بعض هذه الكيانات قد أضافت إلى برامج

عملها حديثا مهمة تغيير الأوضاع السياسية، ومنافسة الأنظمة القائمة؛ فجمعت بين التخصصات الاجتماعية، والمشكلات الحياتية المختلفة، وبين غرض الوصول إلى السلطة الذي له - في الأصل - طرقه وأساليبه وأصوله، وفي مرحلة تالية، تأكدت الظنون الآثمة التي كانت لدى السلطات من أن هذه التجمعات هي بالضرورة مناهضة لسطوتها، وخارجة عن سيطرتها، فوضعتها في مربع العداء، أو على الأقل "عدم الترحيب".

ثم دخل الغرب على الخط حين اكتشف أن أسلوب العمل، وتجميع الطاقات في هذه الكيانات الأهلية أسلوب جيد ومفيد، وبدأت موجة الاهتمام بالعمل الأهلي، وتلك الهياكل والدوائر المجتمعية تزداد وترتفع في أميركا وغيرها، ووصلت إلى آفاق واسعة ومذهلة في النمو والنظام.

أما لدينا فالحابل يختلط بالنابل؛ فتجد من الجمعيات التقليدية القديمة ما يعمل في مجالات، مثل: مساعدة الأيتام، ودفن الموتى، وتحفيظ القرآن، أو تزويج الشباب، وتجد من الجمعيات الجديدة ما يهتم بقضايا، مثل: حقوق الإنسان، والتنمية بمجالاتها المختلفة، والبيئة، وحوار الثقافات.. وغيرها من عناوين الأجندة التي ينشغل بها الناشطون، والمثقفون، وجمهرة من أسميتهم أنت بأهل الإمكانيات والقدرات في عالم اليوم.

وهذه الأنشطة - التقليدي منها والحديث - ينظر إليها كل صاحب غرض نظرة تتفق مع أغراضه؛ فالباحثون عن التغيير السياسي ينظرون إلى هذه الكيانات كأبواب خلفية للتسلل إلى العمل العام؛ لأن الطرق السياسية الحقيقية مسدودة!

والسلطة تتابع هذا، فيتلاقى خوفها القديم مع علمها المتجدد على

تأكيد الشكوك والمخاوف، فتجتهد في تكبيل هذا الهامش الاجتماعي؛ حتى لا ينفذ منه الخصوم!! ولكنها أحياناً تترك له بعض المجال المحدود ليتنفس، ويساعد في تحسين أحوال الناس الغارقين في المشاكل، كما وصفتهم أنت بحق.

والبعض في أوطاننا ينظر إلى هذا العمل بريبة، خاصة الحديث منه؛ لأنه يشعر أنه يبث ثقافة الغرب، وأفكار الغرب، وتزداد الريبة في حالة وجود تعاون مع جهات أجنبية، أو تمويل من هذه الجهات! وتستخدم هذه القضية ذريعة للمزيد من التكبيل والتقييد.

والناس منهم من يتفرج سلبا، ومنهم من يشارك في جهود القطاع القديم التقليدي بمهامه البسيطة المعروفة من باب فعل الخير، وابتغاء مرضاة الله، وأقل القليل يعمل في المجالات الحديثة: حقوق الإنسان، والتنمية... إلخ.

وأغلبية هذه الأقلية المحدودة تعتبر هذا النشاط نوعا من الفعل الاجتماعي، وأحياناً الوجاهة بين الناس، أو مهنة للتكسب، وأقلية من هذه الأقلية – وأنا منهم – تفهم أنه جهاد في سبيل الله، ولكن بأساليب العصر الذي نعيشه.

هذه يا أخي هي خريطة المسألة في أوضاع أهلنا، وأرى أن انتشار الاهتمام بهذه الأفكار، وأساليب العمل المنطلقة من القاعدة الدينية والتاريخية الأصيلة لها عندنا – قد يكون أفقا مهما للانعتاق من الأمراض التي وصفت أنت بعضها.

أخي الكريم، سعدت برسالتك، وبفكرتك التي أرسلتها في سبيل الخير والإصلاح كما تذكر، وحبذا لو تظل على صلة دائمة بنا، عسى أن يتطور هذا الأسلوب في التفكير بالحوار فيما بيننا.. والله الموفق.

حوار الأديان في سوق الخضراوات..
ومضة أمل

د. أحمد عبد الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قرأت مقالكم: "حوار الأديان.. أسئلة مشروعة وإجابات صعبة" الذي نشر بصفحة "مفاهيم ومصطلحات" بموقع "إسلام أون لاين.نت"، وكان لي بعض التعليقات والاستفسارات.وفي البداية احترت كيف يمكن أن أعرض تساؤلاتي، ولكني وجدت أنه قد يكون من المناسب أن أعرضها في هذه الصفحة "مشاكل وحلول للشباب"؛ لأن هذه القضية وإن كانت لا تمثل مشكلة فردية، ولكنها على ما أتصور تمثل مشكلة لأجيال متلاحقة من المسلمين الذين شوهت مفاهيمهم بدرجة أو بأخرى حول طبيعة نظرة الإسلام لأهل الأديان الأخرى، وكيفية التعامل معهم، اخترت هذه الصفحة لأنها من أكثر الأبواب التي يقبل عليها ويرتادها الشباب.

الثابت أن حوار الأديان وحتى التعايش بين الأديان يعاني من مشاكل كثيرة وينظر إليه وإلى من يدعون له بكثير من الشك؛ لأننا للأسف الشديد نشأنا على مفهوم التواطؤ والمؤامرة، وعلى أن كل من يخالفنا عدو لنا، فكيف لنا أن نتغلب على هذا؟ وكيف لنا أن نتغلب على مفهوم الغرب الصليبي رغم أن ما يحدث الآن من أميركا وحلفائها يكرس هذا المفهوم، وكيف يمكن أن نقنع من حولنا بأن الأفراد قد يكون لهم تصور مخالف أو أنهم يتصرفون هكذا لأن مفاهيمهم عن الإسلام والمسلمين مشوهة كنتاج لممارسات بعض

المسلمين والمفاهيم التي تروجها وسائل الإعلام؟!

حدود التعامل قد لا تكون واضحة عند البعض أو الكثير منا، فكيف يمكن رسم الحدود الفاصلة بين الموالاة المنهي عنها شرعا وبين البر والقسط، حيث يتصور البعض أن مد يد العون في أمور الدنيا من الموالاة، كما يتصور البعض ويروج لمفهوم أن الله نهانا عن مودتهم.

وتساؤلي هو: كيف يمكن أن تقام علاقة زوجية بين مسلم وكتابية والعلاقة الزوجية أساسها المودة والسكن إذا كانت مودتهم منهيا عنها شرعا كما يزعم البعض؟!!. والدائرة المفرغة للفعل ورد الفعل بين أفراد الأديان المختلفة ممن يتصرفون برعونة ويتصورون أنهم بذلك ينصرون دينهم.

وعلى سبيل المثال الوضع بين مسلمي ومسيحيي هذه الأمة، وحالة التوجس والترقب التي يعاني منها أبناء الديانتين، الكل ينتظر مترقبا أي خطأ أو أي تجاوز، والممارسات والتصورات تدل على قصور فهم شديد وتعصب أعمى في كثير من الأحيان، فكيف لنا أن نكسر هذه الدائرة؟ هل منتديات النخبة وأروقتهم تفي بالغرض؟

لقد ذكرت حضرتك أهمية انتقال دائرة الحوار من النخبة إلى القاعدة، ولكن كيف يتم هذا في إطار الشك المتبادل والتصور الشائع بأن الأقباط إذا سنحت لهم الفرصة سيكونون أول من ينقلب على المسلمين كما حدث في البوسنة، ومثل هذا الشك موجود عند الأقباط، المسؤولية عن هذه التصورات الخاطئة مسؤولية مشتركة ولكن كيف نقضي عيها؟ هل رجل الدين التقليدي (المسلم والمسيحي) يفي بالغرض؟ والكثير منهم تربوا على جمود الفكر والتمسك بشكل النص دون جوهره وروحه؟!!

وهل الكتاب المرجعي الذي يتناول الأديان كثقافة – على أهميته – يصلح أن يكون بداية لتصحيح المفاهيم، أم أن الأفضل أن تكون البداية كتابا موسوعيا يتناول الصحيح من أقوال وأفعال الرسول (صلى الله عليه وسلم) على غرار موسوعة "تحرير المرأة في عصر الصحابة"، فهذا الكتاب كان له عظيم الأثر في تغيير فهم وتناول المعتدلين من الإسلاميين لقضايا المرأة.

وهل لنا أن نستخدم وسائل مساعدة – غير الكتاب – لأن الكثير منا لا يقرأون؟ هل تعتقد أن هذا الأمر يحتاج إلى تضافر الجهد من جهات عدة؟ فما هي هذه الجهات؟ ومن يكلفها بهذا العمل؟ ومن يضع الخطط المرحلية؟ هل هم الباحثون في هذا المجال؟ ومن يضمن أنهم سينزلون من أبراجهم العاجية لقاع المجتمع؟

ومعذرة فأنا أشعر أن النخبة والمثقفين يدورون في دائرة، والمتحمسين والمتعصبين يدورون في دائرة أخرى، والدائرتان لا تتقاطعان، وأطراف كل دائرة ينظرون بتوجس لأفراد الدائرة الأخرى، وما هو الدور الذي يمكن أن تؤديه الحركات الدينية ذات القبول الشعبي في هذا المجال؟

مسلمة – مصر

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أختي السائلة، فور استلامي لرسالتك كتبت لك بريدا إلكترونيا على العنوان الذي ثبته أنت في بياناتك، ولكنه عاد كأن هذا العنوان المثبت غير صحيح أو غير موجود أصلاً!!

أردت أن أخبرك في حينه أنني متأخر في الرد على البعض، وأنت منهم، وأردت أن أعرف هل أنت مهتمة بنشاط حوار الأديان أو يمكن أن تكوني مهتمة به مستقبلا أم أنها مجرد تساؤلات برزت في ذهنك عندما قرأت المقال؟! وما تزال أسئلتي هذه مطروحة، فهل من مجيب؟!

وعلى كل حال أشكرك على اهتمامك بالمقال، ولعل من يكتب وينشر يعرف أن الصدى الذي يتلقاه على ما يكتب يكون بمثابة الحافز الأهم في أن يكتب أكثر، وفي تقديره أن هناك من يقرأ ويهتم.

وكنت قد سمعت أثرا يذكر ثلاثة من أنواع العجز، وذكر فيها الرجل يلقى الرجل، فيحبه ثم يفارقه دون أن يسأله عن اسمه ونسبه وقومه، وأعفيك من ذكر بقية النص، ولكنني ربما أضيف نوعا شائعا لدينا من ضروب العجز؛ فالقارئ عندنا يقرأ وينفعل، ثم هو يطوي الصفحة إلى غيرها، ولا يخطر بباله أن يرسل للكاتب مشجعا أو مستفسرا أو منتقدا وهذا لعمري من أهم أسباب تآكل الإبداع، ومحدودية دائرته عندنا.

أعود لأسئلتك: تسألين كيف نتغلب على نظرية المؤامرة؟ وأجيبك أن الفهم السليم للإسلام وتاريخه، والإدراك الصحيح للواقع المعاصر، والتعامل العملي مع العالم الواسع كفيل بتحطيم هذه الأسطورة، أو بالأحرى وضعها في حجمها.

فالعداوات موجودة إلى يوم الدين، ووراء هذه العداوات أفكار ومصالح، وخطط ومذاهب... إلخ، ولكن هذا ليس عاما، وليس طلسما، وليس قضاء نهائيا مبرما.

ليس عاما بمعنى أن في العالم من هو صديق، ومن هو عدو،

وبينهما أطياف وأصناف، بل إن الأعداء درجات والأصدقاء أنواع... وهكذا.

وهو ليس طلسما فكشف العدو، ومعرفة الصديق ليست عملا سحريا، ولا هي معضلة مستحيلة، بل تخضع للقدرة على التحليل، والوصول إلى المعلومة الصحيحة من مصادرها، وغير ذلك من أساليب الوصول إلى رؤية واضحة.

وهو ليس قضاء مبرما بمعنى أن أصدقاء اليوم يمكن أن يكونوا أعداء الغد لو لم نحسن كسبهم أو تقريبهم، وأعداء اليوم أو بعضهم على الأقل يمكن أن نخفف من عداوتهم أو ننقلهم إلى مساحة الحياد، وبخاصة من يبني عداوته على جهل.

وقصة الغرب الصليبي هذه تطول الأحاديث فيها؛ فالغرب مثل أي ظاهرة إنسانية وثقافية حضارية، هو مركب متنوع من عناصر متعددة، ولا يمكن مساواة عموم الناس هناك مثلا بالأجهزة والمؤسسات ذات المصالح والخطط المعادية، وحتى هذه الأجهزة والمؤسسات فإن بداخلها بشرا يحبون ويكرهون، ولهم تجاربهم التي قد تجعل البعض لديه استعداد مبدئي يمكن استثماره لتحسين موقفه... إلخ.

ولا أدري ماذا تقصدين بقولك: ما يحدث في أميركا وحلفائها؟!! فإذا كنت تقصدين المواقف الرسمية للحكومات والأنظمة، فألفت نظرك إلى الرأي العام، والتجمعات الأهلية التي ليست أبدا أو دائما تكون متوافقة مع المواقف الرسمية الحكومية. والمظاهرات المناهضة للعولمة، والمضادة للعنصرية في ديربان أو التي خرجت في قلب أميركا ضد الانحياز الصارخ للإدارة الأمريكية في صف إسرائيل،

وضمت تلك المظاهرات جنسيات مختلفة، ومللا ونحلا متعددة، ومنها بعض اليهود المعادين لإسرائيل وسياساتها.. هذه نماذج، وهناك ما هو أكثر لمن يبحث ويتابع.

التراكيب الحضارية والثقافية لا تقاس بالمتر ولا توزن بالكيلو، ولا ينبغي أن نتعامل معها مثل تجار الجملة في سوق الفاكهة والخضراوات حين تختلط الكوسة بالبندورة، والبطاطس بالبازلاء، والجزر بالباذنجان، ولا يرى التاجر بأسا من هذا لأن كله خضار!

هناك فارق بين علاقات الأمم، وتفاعلات الثقافات، وتدافعات الحضارات، وتراكيب القوى، وموازين المصالح، وبين أقفاص الفاكهة وموازين الخضراوات، وبهذا المعنى فإن كلمة الغرب= كلمة الخضراوات.. هكذا بالجملة!!

وإذا كان هناك شيء واحد بالجملة هكذا اسمه "الغرب" فإن هناك شيئاً بالتالي اسمه "المسلمون في الغرب".. وتلك أسطورة أخرى من أساطير سوق الخضار؛ لأن الظاهرة الإسلامية، أو الوجود الإسلامي في الغرب شديد التباين في مكوناته. والتسطيح والتعميم في فهمه، والتعامل معه هو الذي ساهم في إنعاش التوجهات العنصرية، واليمينية مؤخرا في أوروبا.. بنفس العقلية، عقلية الجملة في سوق الفواكه والخضراوات، ولأن بعض المسلمين متخلفون فعلا، يصبح الإسلام دين التخلف والإرهاب، وينبغي تطهير أوروبا المتحضرة منه، كما نطهر الأرض الخصبة من الحشائش السامة!!

ألفت نظرك إذن أن من يرى الإسلام في أوروبا شيئاً واحدا بغيضا ومرفوضا يشبه من يرى الغرب كذلك، وكلاهما عنصري متعصب، ولقد خرجت فرنسا محتشدة حين استشعرت أن لوبان

الفاشي العنصري المتعصب (دخل انتخابات ضد الرئيس شيراك واحتل المركز الثاني) قد أخذ أكبر من حجمه، ولا بد من إسقاطه في معركة الرئاسة الأخيرة، فخرجت فرنسا ضد الفاشية والعنصرية وأسقطت لوبان. وحين نفهم نحن الأمور على حقيقتها فنخرج ضد التعصب والفاشية، وعقلية سوق الخضار.. يومها قد يكون هناك أمل في مستقبل مختلف. وباختصار فإننا متقاعسون عن فهم عالمنا، ونصرة حقنا بأكثر مما نحن ضحايا، اللهم إلا لسوء تدبيرنا وقلة فعلنا.

أعود إلى أسئلتك.. يا رب ألهمني الصبر وطول البال.. تسألين عن حدود التعامل وعن الموالاة وعن المودة، ولا أريد أن أدخل معك في غواية اللعب بالكلمات.

الناس إما كافر محارب ظاهر العداوة يقاتلنا عن بينة، أو ذمي مواطن يعيش معنا، أو نعيش معه، ويحكمنا القانون والدستور، والبر والقسط اللذين أمر الله بهما، والتشويش الذي أصاب عقولنا إنما جاء من تلاعب البعض بأحكام فقهية قديمة، ومحاولة تطبيقها خارج سياقها التاريخي أو تلاعب بالألفاظ والمفاهيم في محيط عام لا يعرف من الفقه أو اللغة والتاريخ إلا مثل معلومات رجل الشارع العادي عن الـــ "قمتو ثانية"، ولو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف كما قال الأقدمون، ولكن كيف يحدث هذا.. ونحن في زمان ينطق فيه من لا يعلم، ويسكت العالمون؟!!

مفهوم أهل الذمة – الذي لا يعجب الكثيرين الآن – يحمل ببساطة المعنى التالي: المسيحي واليهودي وغيرهما في ذمة المسلم، ولو كان المسلم أقلية عددا، وفي ذمته يعني "في عرضه" بالعامية

المصرية، يعني المسلم مسؤول عن حماية حريته إذا هددها أحد، ومسؤول عن كفالته إذا احتاج. وبداهة معصومة أمواله وأعراضه ودماؤه، ولا يتحول الذمي إلى محارب بتصرف فردي فيعمم، أو شائعة يطلقها مجنون وينشرها حمقى فتشتعل فتنة لا تنطفئ.

وأوضاع العلاقات بين المسلمين والأقباط في مصر وغيرها من بلدان العالم النامي مردها إلى نعيم التخلف الذي يستمتع به الجميع، وتعض عليه الأغلبية من هؤلاء وأولئك بالنواجذ. والتخلف هنا لفظ جامع أقصد به ضعف الفهم واضطراب السلوك، والجهل بالدين والدنيا، وغلبة العاطفة على العقل... إلخ، وكلها موجودة بامتياز عند المسلمين والأقباط، وهذا أكبر دليل على أننا شعب واحد، ونسيج واحد، وأعجب لمن نجا كيف نجا من التخلف وأعراضه!!

وكما لدى المسلمين من يتلاعب بالنصوص والأحكام، فإن لدى الأقباط من يتلاعب أيضاً بالشعائر والمشاعر، ويرى أن الجموع الخائفة المرعوبة هي أسهل انقيادا من النفوس المطمئنة، والعقول الهادئة التي يمكن أن تفكر وتتأمل وتحاسب. ولا يخفى عليك أن من مصلحة أطراف متعددة في الداخل والخارج أن يستمر هذا الوضع الملغوم المأزوم، فهل رأيت خصما يقبل أن ترى عيون خصمه الحقائق بعد أن كانت عمياء؟!! ما أسهل هزيمة الخصم الأعمى!!

ولا أحسبك تظنين أن لدي إجابة سريعة وجاهزة ومختصرة على سؤالك: كيف نكسر الدائرة المفرغة للفعل ورد الفعل؟ أو: كيف يتم الحوار في إطار الشك المتبادل؟ أو: كيف نقضي على التصورات الخاطئة؟

ولكن أحسب أن نقطة البداية أن يعترف البعض أن لدينا مشكلة

أو كارثة في رؤيتنا للعالم، وتعاملنا معه، وتصورنا له، وأن يقر مع هذا الروائي الإيراني المهاجر الذي سأله صحفي عن رأيه في الحوار بين الجنوب والشمال، أو الشرق والغرب أو الإسلام والعالم فقال: "كثيرا ما أشعر أنه لا بد من هذا الحوار، رغم أنه حوار بين شخص لا يسمع وآخر لا يرى، أظن أحياناً أن الغرب لا يريد أن يسمع، والشرق لا يريد أن يرى" انتهى.

وربما يبدأ الحل أن يعترف البعض بالعمى، ويبدأ في تحسس العالم ليعرفه وإعادة اكتشاف الإسلام ليفهمه... وهكذا، وربما عندما يبدأ المسلمون – في البلاد التي هم فيها أغلبية على الأقل – يتشجع غيرهم ويمد يده، ويبسط كفيه، ويرخي قبضته المتمسكة بالتخلف، فنتحرر منه معا.

وربما يبادر إلى هذا من يستشعر المسؤولية ويملك الشجاعة رجل دين كان أو امرأة فليس الدين حكرا على أحد، كما تعرفين، وأحسب أن المسلمين والأقباط يحتاجون اليوم إلى من يعلمهم شؤون دنياهم بعد عقود من الاستماع لمن قالوا بأنهم سيعلمونهم شؤون دينهم؛ لأن الدين ليس روحا سابحة في فراغ، ولا قيما سائحة في الهواء، أو عائمة في الماء، إنما هو تفاعل مع واقع وتدافع مع عالم.

لقد أصغى المسلمون كثيراً لمن حشا رؤوسهم بكلام كثير في الفروع المختلف فيها، ويحتاجون اليوم إلى معرفة الأصول والمقاصد المتفق عليها.

وأصغى الأقباط إلى من أوصلهم إلى ما هم عليه مما لا يرضي الكثير من العقلاء فيهم، ولكن لا صوت يعلو فوق صوت التخلف الذي هو مشروعنا القومي، مسلمين وأقباطا!!

وربما يحتاج هؤلاء وأولئك مثلما أصغوا لمن صور لهم أن عمق التدين يكون في كثافة سواد غطاء وجه الأنثى المسلمة، وحجم الصليب الذهبي الذي ترتديه الفتاة النصرانية، أو توشمه على باطن ساعدها!!! ربما يحتاجون اليوم إلى من يعلمهم كيف يفكرون؛ فالتفكير علم، وتعليم التفكير اليوم له مدارس ومذاهب.

ويحتاجون إلى من يعلمهم كيف يتحاورون ويعملون معا، فالحوار فن، وما يسمى بالتفاوض اليوم له دورات ومعاهد، والعمل الأهلي عالم ذاخر هو الآخر.

يحتاجون إلى تعلم فقه الدنيا والعالم بجغرافيته وتاريخه، وعلومه وفنونه؛ لأن الدين يعمل في هذا العالم، ومن يجهل عالمه فسيتخبط فيه بدينه حتما، فيفسد أكثر مما يصلح رغم نيته الحسنة، وأهدافه الطيبة.

أما حديثك عن الدائرتين المتباعدتين: النخبة والناشطين، فربما يكون الحل أن يتثقف الناشطون أو يتفاعل مع الناس المثقفون.. فهذا هو دور النخبة الذي منه تستمد شرعيتها بالأساس، إن كان ما يزال لها شرعية.

وأنا معك في أهمية وجود عمل مرجعي موسوعي على غرار موسوعة الأستاذ "أبو شقة" – رحمه الله – عن المرأة، وإن كنت لا أدري هل كان لها عظيم الأثر في تغيير أفهام أحد؟ لأن هذا يعطي بعض التفاؤل.. أن هناك بعض الأمل وسط هذا المحيط الواسع من الإدراك المشوه والفهم المختل.

أما الدور الذي يمكن أن تؤديه الحركات الدينية ذات القبول الشعبي فهو متداخل مع كل ما سبق قوله، وإن كانت مسؤوليتهم

تكون أكبر بقدر ما يتاح أمامهم من فرصة، وما لديهم حاليا من إمكانيات، وما لهم من بقية مصداقية عند الناس.. فهل لدى البعض في تلك الحركات الشجاعة والقدرة على الاعتراف بالعمى.. وصدم الناس بما يضاد المألوف لديهم، بل ما سبق وروجته بعض هذه الحركات من أساطير وأكاذيب، وما خاضته من معارك خاطئة، وما صدر عنها من تصريحات غير مسؤولة؟!

مرة أخرى أشكرك على اهتمامك، وليبق بيننا الحديث موصولا، لعل هناك أملا.

الفصل الثاني

الشباب وفلسطين

لفحات يوليو..

صمت الحملان أم صيف الشجعان؟

ماذا تعني فلسطين للأمة العربية؟ لماذا هذا الصمت؟

سمير – فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

لا نجيب عادة عن الأسئلة العابرة المختصرة، ولكن سؤالك هو المختصر المفيد.

فلسطين هي المرآة التي نرى فيها حقيقتنا التي نتغافل عنها أو نراوغ هربا منها؛ فإذا بها تكشفنا أمام أنفسنا، وأمام العالم.. فلسطين هي خلاصة قصتنا، ومحصلة وضعنا، والنتيجة النهائية لأعمالنا جميعاً شعوباً وحكومات.

فلسطين هي الخنجر المغروس بين أضلاعنا منذ ما يزيد على نصف قرن من النكبة إلى النكسة، وهي حاليا مصدر فخرنا وعزنا؛ لأن أهلها يسطرون بدمائهم الزكية – نيابة عنا جميعاً – أن هذه الأمة لم تمت كما يتصور الكارهون والمتربصون، والنائمون أو المستسلمون.

فلسطين هي هذا وأكثر.. هي وسام الشهادة، وإكليل الشوك، وهي الثغر المفتوح – إلى أن يشاء الله – على خيار المؤمنين المجاهدين.. النصر أو الشهادة.

ودعنا نتحدث اليوم عن النصر وسبله؛ لأن أغلبية العرب والمسلمين وكل مناصري الحق والعدل والحرية مسدودة أمامهم "تقريباً" سبل الشهادة.

يا أخي، عن أي "صمت" تتحدث وملايين الشباب والفتيات من القاهرة إلى جاكرتا يحلمون بالشهادة عند حائط البراق، وأسمى أمانيهم أن تراق دماؤهم في ساحة الأقصى الشريف، وهم يتمنون لو كانت قلوبهم وعيونهم وأجسادهم من أحجار أرض فلسطين، حتى يقذف بها الأطفال والشبان أبالسة العصر، وأعداء الإنسانية، النازيون الجدد من شذاذ الآفاق الذين لم يجدوا غير أرضنا يُخرجون أهلها منها، ثم يكذبون عن أرض بلا شعب؟!!

لقد صرخ المسلمون والعرب، وكل عاقل لم يخدعه الزيف والبهتان عندما ثارت انتفاضة الأقصى.. سارت المظاهرات العارمة، وتنوعت أشكال التعبير من جمع المساعدات، إلى تكوين اللجان الداعمة والمناصرة، إلى محاولة تقديم كافة أشكال العون والتضامن.. فهل هذا هو نهاية المطاف وغاية المراد؟!

بالطبع لا، والجهد الذي بدأ قويا ثم تآكل بعد ذلك يحتاج إلى تقويم، وإعادة تنشيط، وتطوير في الوسائل والأساليب؛ فلا المظاهرات هي السبيل الأكثر إنتاجا وفاعلية، ولا المقاطعة بالشكل الحالي هي البرنامج الأكثر تأثيرا على الخصم.

أضف إلى ذلك مجموعة من الأساطير المعوقة لحركة دعم الانتفاضة، ومنها القول بأن العالم كله يلتزم الصمت على ما يجري، ومنها القول بأن المجتمع الإسرائيلي على قلب رجل واحد، ولا يمكن اختراقه، والتأثير على بعض أطرافه بلغة المصالح، ومنها أن الحرب

النظامية هي خيار مطروح في حسابات أي طرف، أو القول بأن أهلنا في فلسطين سيظلون مشتعلين بالغضب والرفض والمقاومة - دون تقديم الدعم المطلوب - إلى ما لا نهاية، وكأنهم ملائكة لا يحتاجون إلى طعام وشراب ومساندة يومية مباشرة، وحملة دعاية عالمية داعمة... إلخ.

وكأن أعداءنا ليسوا بشرا يمكن هزيمتهم في بعض المعارك الجزئية حتى يأتي يوم الفصل والملحمة!!

الصمت الذي تتحدث عنه ليس جهلا أو تجاهلا، أو غفلة أو تغافلا، إنه صمت التردد والحيرة بعد أن ذهبت السَّكرة، وغمرة الانفعال سريع الاشتعال، وبقيت الفكرة، وأسئلة تطوير الجهاد والنضال، وتطوير أساليب المواجهة والدعم.

نحتاج بجانب القلوب النابضة الدافئة الحية إلى عقول باردة، وأنفاس طويلة مستعدة لرسم خطط، وخوض معارك استنزاف من بيت إلى بيت، ومن قطر إلى قطر، وفي حين يلتحم أهلنا مباشرة مع جنود العدو في الميدان نحتاج نحن إلى أن ننصب في كل شبر من المعمورة ميدانا للسجال والملاحقة لغطرسة القوة، ومنطق الظلم والتزييف، إنها معركة أمة قد تكون أظافرها منزوعة وأنيابها مخلوعة، ولكنها ما زالت تملك اليد والعقل واللسان، والفكر وأساليب الضغط المتنوعة، والحديث في هذا يطول.

علينا أن نجتهد كما فعل من قبل إخواننا في جنوب أفريقيا إبان حقبة الفصل العنصري (الأبارتهيد)، واستمرت نضالاتهم بضعة عقود حتى انتزعوا حريتهم مضرجة بالدماء، ولكن عزيزة غالية.

علينا أن نتحول إلى أمة مجاهدة بهذا المعنى العميق والواسع

الذي يتجاوز ترديد الفكرة الخيالية بأن الكل يريد أن تكون وسيلته البندقية..

علينا أن نستلهم الانتفاضة نموذجا لحياة مختلفة من المحيط إلى الخليج؛ فنكف عن الكسل العقلي، والجمود الاجتماعي، واليأس النفسي الذي نغرق فيه منذ سنين..

علينا أن نحول اللحظة الراهنة إلى نفخة جديدة تسري في الأرواح والأفئدة؛ فيحمل البعض خيمته على عاتقه لا يضعها إلا منتصرا أو شهيدا، وينفر آخرون في سبيل الله كل في درب من دروب الحياة جهادا في سبيل أن تكون كلمة الله هي العليا.

نحن محتاجون إلى فلسطين أكثر ما تحتاجنا هي، ونحن ندين للانتفاضة بأنها أعطت لنا طعما ولونا، وأتاحت أمامنا فرصة لنكون شيئاً مذكورا له معنى وجدوى وهوية.

وهذه نسمات ليالي يوليو (كان ذلك الجواب في شهر يوليو)، ولفحات نهاره تجدد الاختيار؛ فإما أن يكون صيفنا هو صيف الشجعان.. بداية لمرحلة من النضال جديدة، أو يكون صمتنا هو صمت الحملان التي تُذبح قربانا للنظام العالمي، واختلال موازينه، أو تحرق في أتون الهولوكست الجديد على أيدي أحفاد القردة والخنازير.

وفي النهاية نود منك - تأكيدا لكلامنا السابق - مراجعة موضوعين في صفحة "حواء وآدم" بموقعنا، هما:

- 9 أشهر من الانتفاضة.. والمولود قافلة الخير
- مجتمع الانتفاضة

النخبة والشعوب.. لكلٍ دور

هل من سبيل نحو وحدة النخبة العربية المثقفة في قضاياها المصيرية؟ إن اليهود اليوم أصبحوا يتحدثون حول ضرورة هدم المسجد الأقصى وبناء هيكلهم المزعوم، بل أصبحت هذه القضية لب فكرهم.. فهل من سبيل؟

نصار - الجزائر

الحل

المستشار: د. فيروز عمر

الأخ الكريم، هدم المسجد الأقصى رغم كل بشاعته ربما يتساوى في خطورته مع هدم الأخلاق والقيم والمجتمعات.. وكلها أشياء يجب أن تتحد صفوفنا للوقوف أمامها جميعاً، سواء النخبة المثقفة أو الشعوب والجماهير البسيطة. هذا هو حلمنا الأكبر، وعلى كل فرد أن يبحث لنفسه عن الوسيلة المناسبة التي يشارك بها في تحقيق هذا الحلم، وهذا هو ما ندعو أنفسنا وندعوك إليه من عدم الاكتفاء بالتمني، ولكن البحث عن دور ثم صدق النية والعزيمة.

بالفعل توجد كثير من المجالات تصلح كنواة للعمل، ابتداء من المسجد وانتهاء بشبكة الإنترنت، ندعو الله أن يتحقق الحلم بيدك وأيدينا.

إذا كان الأمر مسموحاً.. لا وقت للبكاء

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.. بارك الله فيكم على هذا الموقع المتميز، وفي الواقع لم أكن أريد أن أكتب لكم بهذا الكلام الذي سيبدو بعيدا بعض الشيء لولا ما أراه في بعض الفضائيات العربية والإسلامية من مناظر تدمي القلب من رقص وطرب على جراحنا، وكأن شيئاً لم يكن!!

العرب يعيشون في سكون ولا حياة لمن تنادي، ماذا تنتظرون منا؟! أن يموت شعب فلسطين بأكمله؟! نعم، سنموت ولكن سيبقى في هذا العالم الظالم أحياء ولكنهم في الحقيقة أموات!!

بالأمس استشهد في نابلس 6 أفراد، وقد يبدو هذا الخبر عاديّا للبعض، وكأننا لا نعد أبناء دين واحد، والمحاولات تجري على قدم وساق لهدم الأقصى؛ فماذا أنتم فاعلون يا مسلمون؟! كلما شاهدت قناة فضائية عربية لا أجد سوى الأغنيات والحفلات.. نعم في العالم أكثر من مليار مسلم.. ولكن ماذا فعلوا لنا؟!

أناشد من هنا الشباب المسلم، شباب الحركة الإسلامية للوقوف معنا في محنتنا، وقد يقول قائل: "إنني بعيد ولا أعرف كيف أساعد"، فأقول له: قاطع البضائع الصهيونية والأمريكية وما يسمى بالتطبيع بكافة أشكاله، وتمسك بدينك، عندها أنا واثق تماماً أن الله سيعطيك فرصة الشرف بالدفاع عن الأقصى.

محمد - فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أخي الكريم نهنئكم بالشهداء؛ فهم أفضل منا جميعاً بإذن الله، وهم في جنات ونهر، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وإذا كانت الأمور كما تصف أنت وتتحسر - وهي كذلك - فباطن الأرض خير من ظاهرها؛ فدعك من هذا، وتعال نتأمل في الأمر ساعة.

فمنذ انطلاق الانتفاضة، وعلى مر السنوات الفائتة تبلورت الأمور واتضحت لكل ذي عينين.. فها هي الأنظمة قد كبلت نفسها، وغلبتها نقاط ضعفها المزمنة وخلافاتها: القديم منها والحديث، وأتت بما أرادت مما هو معتاد من كثرة الكلام، وبعض الدعم المادي، وقليل من الدعم السياسي؛ فهل تظنها ستعطي أكثر؟

لا أستطيع أنا ولا يستطيع أحد أن ينكر عليك وعلى أهلنا في فلسطين حق الصراخ من الألم، والشعور بأنهم وحدهم في الميدان، ولكن ما يجوز في غمرة الدموع لا يصمد لأي نقاش منطقي.

فأنت تعلم - ونعلم جميعاً - أن هناك تعاطفا جارفا يتفاوت في صوره ودرجاته، وأن الألم النفسي المبرح يستبد بالكثيرين، والأفضل أن نساعدهم على تطوير هذا الألم وتوظيفه واستثماره؛ لأن الألم والإحباط حين يزيد عن قدر معين ينقلب إلى نقمة تقعد الإنسان عن مواصلة المسير تجاه أهدافه.

وانظر حولك يا أخي الكريم لترى أن الشعوب منهكة "دايخة"؛ سواء بالمطالب الحياتية الحقيقية، أو بالتطلعات الدنيوية المغرية، أو بفعل طول الاستبداد والتنكيل؛ حتى انسحقت ثقة الناس بوجودها، وإمكانية أن تفعل شيئاً أو تنتصر لمبدأ أو قضية.

فهل ترى من الصواب والحكمة أن توقظ مريض الغيبوبة بعصا اللوم والتقريع، وكأنه في كامل وعيه وتمام قدرته، يملك اختياره ومصيره؟

والحركات – كما ترى – قد صارت مكبلة بمحاصرة السلطات لها، وبعدم تطويرها لأطروحاتها ومراجعتها لخططها، وصار الانتماء لحركة أو تنظيم بمثابة وضع الطاقة الذهنية والإمكانات الحياتية رهن التدبير أو التآكل بفعل الأوضاع الداخلية للحركات أو بفعل الضغوط المتنامية عليها؛ فصار هذا الانتماء قيد تكبيل بدلا من أن يكون مدخل تفعيل، ونزيف المواجهات اليومية وملاحقة المعارك الإدارية والأمنية الصغيرة صار يستنفد أغلب رصيد الحركات؛ فلا تنتظر منها الكثير رغم حسن النوايا وصدق التعاطف!!

والنخب المثقفة أو الإعلامية تعيش في واد ثان معزولة عن اهتمامات الناس وهمومها، وتغرق في غيبوبة من نوع آخر؛ فهي تبحث عن حريتها الشخصية ومصالحها الخاصة ومواقعها في معادلة السلطة، وتعرف أن دورها في المنظومة الحالية أن تلعب دور مهرج القصر الذي يضع الأصباغ الملونة، ويأتي بالحركات البهلوانية؛ فيضحك الملك الحزين، ويبتسم الشعب المسكين في الأعياد والمناسبات. ولقد صارت كل أيامنا أعيادا ومهرجانات فنية وسياحية ورياضية وتسويقية؛ فماذا ننتظر يا أخي من مهرج السلطان وجوقة الجواري والقيان؟

هل أستعرض معك بقية الصورة التي تعرفها؟! فيمن تصرخ يا أخي الكريم؟!

إن الجادين لا يحتاجون إلى صراخك، لكنهم يفتقدون إلى من

يشاركهم همومهم ويبحث معهم عن إجابة للتساؤلات التي تدور في أذهانهم والتحديات التي تواجههم، ولقد رأينا أن الحماس الذي يشتعل سريعا ينطفئ سريعا، دون أن يعني الكلام ذم مبدأ الحماس أو تحرّق القلب على حالنا، ولكننا نحتاج إلى العقل لحل المعادلات الصعبة والألغاز الغامضة والأوضاع المتشابكة التي نعيشها.

كيف نخرج من الأفخاخ التي وقعنا فيها؟ وكيف نحرر الجهود المخلصة من القيود والأغلال؟ وكيف نستثمر وجودنا بطول العالم وعرضه، ونتعاون مع من تبقّى من أصحاب الفطر السليمة في نسيج الأنظمة، أو سواد الأمة، أو هياكل الحركات؟

لا وقت للدموع يا أخي، ولكنها عشرات الأسئلة الحقيقية التي تحتاج إلى تفكير ثاقب وابتكار وإبداع أصيل لنفتح صفحة جديدة، ويشرق علينا الفجر الذي طال انتظاره.

تعازينا في الشهداء، وهم في قلوبنا وذاكرتنا وفوق رؤوسنا، مسموحا كان هذا أو غير مسموح؛ فلا الذاكرة ولا العاطفة ولا إرادة البذل تحتاج إلى إذن.

نحبها وتكرهنا.. فلسطين آمال وآلام

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وبعد.. الإخوة الأعزاء، لا أدري هل الذي أكتبه إليكم مشكلة أم ظاهرة أصبح يعاني منها الشعب الفلسطيني على العموم، والشباب على الخصوص؟

أنا فتاة أبلغ من العمر 21 سنة.. أعيش في فلسطين الحبيبة، وأعاني مما يعاني منه شعبي من رعب وخوف وحزن لموت زملائي في الجامعة أو في مدينتي، وكم أرى دموع الأمهات، وأبكي بحرقة عليهن، وكم أرى من أطفال يبكون آباءهم..

وللعلم أنا نشيطة في المجال الاجتماعي، والسياسي، سواء في الجامعة أم في المجتمع؛ حيث إنني أشارك مع زميلات لي في تفقد أسر الشهداء، وأحياناً نشارك في الجنازات..

وهكذا أعاني بشدة، وأتألم عندما أرى الناس من حولي لا حول لهم ولا قوة، وأحياناً أشعر بالضعف؛ لأني أنثى، ولا أستطيع فعل شيء إلا القليل.

المهم أنها مشكلتي، ولا أدري هل هي مشكلة أم ماذا؟ إنني أشعر بالحقد الشديد على العرب، بل الكره الشديد جداً، ولست أنا وحدي، بل هذه الظاهرة منتشرة عندنا بكثرة بين الشبان الفلسطينيين، وهي الكره الشديد للعرب.. لا أدري لماذا؟

ربما لأني أرى الكثير، وأعاني بشدة هنا سواء من الخوف أو

الحزن.. لا أتمالك نفسي أحياناً، وأدعو على العرب بأن يبتليهم في أولادهم وأهليهم ويذيقهم حسرات ما نعانيه.. أشعر بالاشمئزاز منهم، وحتى الشباب العربي أكرههم.. أحس بأنهم ليسوا سوى دُمى لا يملكون الشخصية، ولا يملكون الحرية، كل همهم الأغاني، والحفلات، والفتيات... مشاعر غريبة، ولا أدري كيف سأعبر عنها؟؟

في العيد عندما رأيت جنازات الشهداء الـ 11 الذين استشهدوا في مدينتي شعرت بالاختناق والحزن الشديد.. وأنا دائمة التفكير بالذين أراهم يموتون.. عندما سمعت أنه توجد مبادرة سلام بين العرب وإسرائيل غضبت بشدة، ودعوت الله تعالى ألا تحصل؛ لأنني على يقين أن الفساد سوف ينتشر بشدة؛ لأن العرب لا يعرفون ما هي "إسرائيل" كما نعرفها نحن، وإذا حصل سلام فعلى العرب وعلى فلسطين السلام.

عفوا لمن يقرأ هذه الرسالة.. فأنا لا أدري حقّا أهي مشكلة أم ماذا؟ أم هي عواطف أو آلام أشكوها لكم؟

أيضاً أريد أن أطرح عليكم مشكلة أصبحت لدي:

إنني أصبحت متشائمة، وأصبحت كل نظرتي للحياة هي الموت فقط، حتى إنني قبل الذهاب إلى الجامعة أقوم بالصلاة والوضوء، وتجهيز نفسي كأني سأموت، لم أعد تهمني أحلام الفتاة.. أفكر كثيراً.. غرفتي وكتبي كلها تحمل صورة شهيد أو استشهادي. أصبحت أميل إلى النظر إلى صور الشهداء، وهم في حالات مؤلمة، ومناظر تقشعر لها الأبدان، رأسي يكاد ينفجر من التفكير.. لا أدري ماذا أفعل؟! مشوشة وروحي حزينة..

مرة أخرى عفوا لمن يقرأ هذه الرسالة، فأنا حقّا لم أعُد أركِّز

حتى في كلامي ولا في كتابتي.. وشكراً لكم.. أنتظر منكم أي شيء.. لا يهم.. المهم أي شيء منكم، وشكراً لكم، وكل عام وأنتم بخير يا أيها العرب.

ع – فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أختي الكريمة، من بعض نعم الله علينا – وهي كثيرة – في صفحة "مشاكل وحلول للشباب" أن زوارها الدائمين قد صاروا مثل الأسرة الواحدة، كما تقول إحدى الأخوات في رسالة لها وصلتنا مؤخرا، تشعر بأننا جميعاً من أسرتها، نتشارك في الألم والفرح، وتقول بأن "هذا الباب قد جعلنا أسرة واحدة نتواصل عبره، رغم تأكيدكم المستمر أن الإنترنت ليست وسيلة تواصل"، بنص كلامها.

أختي، شكراً على صدقك في التعبير عن مشاعر قد يستخفي بها آخرون وينكرها البعض، وشكراً على ثقتك باختيارك أن تبوحي بداخليات نفسك ومشاعرك لنا، وعلى الملأ.

طبعا يا أختي، أنت تشعرين بهذه المشاعر؛ لأننا – نحن العرب – في إدراكك لا نملك الشخصية، وليست لدينا اهتمامات سوى الأغاني، والحفلات، والفتيات.. فهل هذا صحيح بإطلاقه هكذا؟!

تقولين: إن الشباب العربي لا يملك الحرية، وهذا صحيح، ولكنه يتناقض مع قولك بأنه لا همَّ لهم سوى كذا وكذا؛ لأن هذا الأشياء في ظلِّ انعدام الحرية لا تكون اهتمامات ولا خيارات، ولكن تكون مجرد مخدِّرات يروّج لها أناس يتكسبون منها، ويدمنها آخرون هربا من واقع أليم لا حرية فيه، ولا تكافؤ فرص، ولا عدالة أو تنمية أو...

أختي، قولي لي ماذا تنتظرين منا بالضبط، وستجدين نفسك بنفسك تردين، وتفهمين لماذا لا يحدث!!

هل تريدين من الشباب العربي أن يعبر الحدود إليكم ليكون معكم؟! ألم يأتكِ نبأ المحاولات التي تُجهض يوميًا لعبور الحدود؟!

ألم يأتك نبأ القوافل الستّ التي خرجت من مصر – على سبيل المثال – محملة بأطنان من المواد الغذائية الضرورية والأدوية قاصدة فلسطين، وتم إيقافها – بنجاح!!! – فلم تتخطّ العريش، وفسدت محتوياتها أو كادت.. الواحدة تلو الأخرى!!

هل تريدين مالا؟ أنت أدرى.. إلى جيوب مَن سيذهب؟!! ماذا تريدين من الشعوب العربية، ومن الشباب العربي يا آنستي؟؟

هل تريدين أن تنطلق المظاهرات والمسيرات، وتنعقد المؤتمرات تعبيرا عن التضامن والغضب؟!

ألم تأتك أنباء القمع الوحشي، والحصار الأمني الرهيب الذي تتعرض له مثل هذه الفعاليات حتى أصبحت محصورة في قاعات ضيقة مغلقة تشبه حفلات التأبين أو مؤتمرات تكريم المتقاعدين عن العمل؟!

هل تريدين حرباً شاملة تخوضها الشعوب العربية ضد إسرائيل؟!

عجباً للضحية.. تتوجه باللوم إلى ضحية مثلها، وإحداهما تموت في شرف وتنال الشهادة وتوجع العدو، والأخرى تموت كمدا أو ذلا أو إهمالا على أيدي الأهل وشركاء الوطن!! فمن الذي يستحق الرثاء ويحتاج إلى مساعدة؟!!

إذا كان في الشعوب العربية شعب يواجه بالداخل دبابات

الغطرسة بشجاعة المؤمن، وأحجار أرض الرباط في الأقصى، وغيرهم.. إذا كان فينا أنتم.. تدفعون ثمن العزة والكرامة، وثمن أن نرفع رؤوسنا بين العالمين، ونقول: إلى هؤلاء ننتسب.. لماذا تكرهون الشعوب الأخرى المغلوبة على أمرها.. اللاهثة وراء أقواتها.. أو المخدَّرة في ترف مميت.. ويُقال لهم إن غاية المطلوب أن تدفع جزءا من مالك لدعم الانتفاضة.. فيدفع قليلا أو كثيراً.. ثم يعود إلى حياته يلهث وراء اللقمة أو يشكو من التخمة!!

من قال يا أختي إن الشباب العربي لا همَّ له سوى الفتيات و...؟!

وأتابع – بحكم وظيفتي في صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت" – حركة الجنس العربي على الإنترنت، والعرب كانت لهم منتديات كثيرة تتناول الجنس بطرق مختلفة ووسائل شتى، وهي متنوعة، منها ما هو الجاد الهادف، ومنها ما هو الهابط الذي يخاطب الغرائز.

والملاحظة التي أقصدها هنا هي أن أغلب هذه المنتديات قد هجره أهله، وقلَّ الدخول إليه أو عليه منذ اندلاع الانتفاضة الأخيرة.. وبدلا من نشاط هذه المنتديات فقد بدأت منتديات أخرى، الهدف منها مناصرة القضية الفلسطينية.. وما زالت هذه المنتديات ناشطة تتابع ما يجري عن كثب.. وتتناقل الأنباء والأفكار..

وهذا الموقف من الشباب العربي ليس غريبا عليه؛ فهو يتعطش للجنس بكل تأكيد، ولكن لا يوجد عندي تفسير لموقفه هذا غير أنه قد صار يعشق شيئاً آخر، أو على الأقل قد استحيا من نفسه ومن ربه،

ولا يراه أو يعرف به على الشبكة أحد، ولكنه توقف من تلقاء نفسه، وهو مجرد مثال. ومنذ بدء الانتفاضة وأنا أرى الشباب العربي – أو لنقُل الأغلبية – يترنحون من الألم، ويبحثون عن سبيل لإخراج هذه الأمة من الظلمات إلى النور، ولكن وعيهم ومهاراتهم بسيطة متواضعة؛ فهم لا يستطيعون مقاومة بالساعد والسلاح.. هذا إذا كانت متاحة أصلا؟!!

وهم لا يعرفون كيف تكون المقاومة السلمية المدنية الموجعة للعدو بطول الأرض وعرضها. لم يدربهم أحد، ولم يعلمهم أحد؛ ولذلك بقيت مشاعرهم حبيسة صدورهم، وصراخهم داخل غرفهم، أو داخل تلك الصالات المغلقة التي حُوصروا فيها.

تكرهين الشباب العربي؟!.. لماذا؟!

ماذا بوسعهم أن يفعلوا إلا ما اتسع له واقعهم القابض، أو وعيهم البسيط من جهود المقاطعة للسلع، أو محاولات الدعم المتاحة، وغير أن عيونهم لا تكاد تجف، وكثير منهم حرم على نفسه الفرح الحقيقي حتى تفرحوا، وكسر نظرته لنفسه ولمستقبله وللعالم، وأصبح العيش في حلوقهم مرّا حتى تنتصروا!!

أختي، شهداؤكم أفضل منا ومنكم، ودماؤكم الزكية دَين في أعناق الأحرار المؤمنين إلى يوم النصر، أو يوم أن تتفتح في جدار الظلم أو أسوار الفصل بيننا وبينكم ثغرة.. فهل أنت حزينة على الشهداء وهم عند ربهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟! أم أنك حزينة على المبتلين، وهم أهل الفضل كله؟ يوم القيامة يؤتى بهم ويُجزل لهم العطاء حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا لو أن أجسادهم كانت قرضت بالمقاريض أو نشرت بالمناشير حين يرون ما حلَّ

بأهل البلاء في الدنيا من فضل يوم الدين.. هل أنت حزينة لأن مبادرة سلام تلوح بين وقت وآخر؟! وهل السلام إلا قرار فوقي يتخذه البعض لينساق وراءه الكل؟ أما المقاومة فهي قرار الناس.. وهكذا ستظل.

فليتفاوض من شاء، وليضع الحبر على الورق، أما نحن فلن نبرح الأرض حتى يأذن الله تعالى بفجر بعد طول الليل، أو يحكم الله سبحانه لنا، وينصرنا على القوم الظالمين.

أنت تشاهدين الموت الحقيقي فتتألمين، ونحن نعيشه يوميًا في حياة بلا طعم أو لون أو رائحة.. ولا بأس أن يفقد "الدايخ" (المتعب والمنهك في الحياة) حياته حرقا في قطار شحن كتل البشر إلى حشرها.. أو انفجارا في طائرة لا نعرف حتى الآن من أسقطها ولماذا.. أو حتى في حادث سير مجنون.. أو تنهار فوق رأسه مع أسرته وذويه جدران بناية تَلاعب فيها المقاولون والمهندسون وموظفو تراخيص البناء وعماله فخرَّ السقف ليدفن الناس تحته أحياء..

أيهما أشرف وأعظم؟؟ أن يسيل الدم أو تذهب الروح؛ فيموت المرء شهيد التضحية والعزة والكرامة، أو أن يموت في بيته أو مصنعه أو مركبته شهيد الإهمال والفوضى والتخلف؟

إذا لم يكـــن من المـــوت بـــدٌ

فمـــن العار أن تمـــوت جبانـــا

وأنتم في فلسطين تعلمون هذا وتمارسونه، ونحن نحسدكم.. والله نحسدكم.. ونتمنى لا أن تزول تلك النعمة عنكم، ولكن أن تعمنا أجمعين؛ فنموت مرفوعي الرأس بلا تنكيل.. والله اشتقنا للموت بلا تنكيل!!

أختي، الصورة مقلوبة في إدراكك تماما؛ فنحن والله نحتاجكم بأكثر مما نستطيع أن نضيف إلى ملحمة عزكم شيئاً.. أيدينا مغلولة إلى أعناقنا، وحيلتنا قليلة، وألسنتنا مقطوعة، وعقولنا غائبة أو مغيبة، وليس هذا مبررا لأي تقصير.

نرجوكم.. نتوسل إليكم.. أن تفهموا وضعنا، وأن تمدونا ببعض روحكم لعلَّنا نستطيع أن نفعل شيئاً لأنفسنا.. نخرج به مما نحن فيه.. ونستطيع معا أن نفعل شيئاً من أجل فلسطين، ومن أجل هذا العالم البائس الذي يحتاج إلى روحكم، وأسلوب نضالكم، ويحتاج إلى استمرار صمودكم لينتصر الإنسان على الشر.

تعالوا أنتم - فهذا أسهل - وادخلوا بيوتنا، وأنديتنا، وتجمعاتنا في القاهرة، وبيروت، والدار البيضاء، والدوحة، والخرطوم... تعالوا لتعلمونا كيف يكون النضال بأبسط السبل، والصمود رغم قلَّة الإمكانات.

تعالوا لنتعلم منكم أن الإنسان يمكن أن يعيش عزيزا مرتاحا، وهو لا يأكل إلا القليل الخشن من الطعام، ويلبس الرخيص القديم من الثياب، ويذهب في الصباح ولا يعرف هل سيعود على قدميه إلى بيته أم يواصل محمولا على الأعناق إلى قبره.

أما التشاؤم والنظرة السلبية للحياة وغيرها من الأعراض التي تنتابك فهي طبيعية كرد فعل للمناخ الذي تعيشين فيه، إلا إذا أدت إلى تعويق أنشطة حياتك، أو التأثير على علاقاتك بمن حولك، أو إنجازاتك في دراستك، أو كانت مصحوبة بأوجاع جسمانية مزمنة، أو قلة في النوم، أو ضعف أو زيادة في الشهية؛ فعند ذلك تحتاجين إلى عون مباشر من طبيب متخصص؛ لأن هذه الأعراض - حين

تخرج عن السيطرة – تحتاج إلى تدخل دوائي وعلاج نفسي، ولا تنسونا من صالح دعائكم.

اللهم اجمع شملنا، ورد غائبينا، واشف مرضانا، وارحم شهداءنا، وألحقنا بهم غير خزايا ولا مفتونين.

نحبها وتكرهنا..

فلسطين آمال وآلام (مشاركة)

أكتب هذه الكلمات لعلها تكون مشاركة وجدانية لإخوتنا في فلسطين، بعد أن عجزنا عن المشاركة بأي شيء آخر إلا بالكثير من الدعاء والقليل من المال الذي نسأل الله سبحانه أن يهيئ له من يوصله إلى أهله دائما.

إخوتي الأحبة.. أبنائي الأبطال، سلام الله عليكم ورحمته وبركاته، أرسل روحي تقبل أياديكم.. وتلثم جروحكم.. و"تبوس" الأرض تحت نعالكم.. وتهفو إلى حرارة دمائكم.. وتركع خاشعة في محراب بطولاتكم..

وإذا كانت إصاباتكم الجسدية والمادية تشعرني بالألم العميق والحزن البالغ.. فإن حالتكم النفسية، وروحكم المعنوية العالية، وتصميمكم على المضي في الطريق الذي اخترتموه، ورضاء أنفسكم، وإشراق النور اللامع في أعينكم.. نور الجهاد.. نور البطولة.. نور الصدق... كل ذلك يخفف عن نفسي آلامها، وإن كانت العين لتدمع والقلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي الرب.

وكيف لا يتفطر كبدي، ولا يتصدع قلبي، وأنا أرى ما يفعله الصهاينة الغاشمون بكم الذين كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم؟. إذا كان عمر رضي الله عنه – وهو المعروف بصلابته ورسوخه – لما رأى رجلا يأكل بشماله وأمره أن يأكل بيمينه، وأجابه الرجل بأنها

مشغولة، وتكرر طلب عمر ثلاث مرات وتكررت إجابة الرجل أنها مشغولة، فقال عمر: وما شغلها؟ قال الرجل: قطعت في غزوة مع رسول الله، فبكى عمر حتى بكى أصحابه لبكائه، وجلس إلى جانب الرجل يسأله: من يخدمك؟ من يغسل ثيابك؟ من.. ومن.. ومن، ثم أمر للرجل بخادم ومركبة ومسكن وعطاء (راتب شهري)؛ فأين أنا من شجاعة عمر وإيمانه؟ ثم أين أسلحة المشركين من أسلحة الصهاينة؟!كان المسلمون يقاتلونهم بنفس أسلحتهم ألا وهي السيوف، أما أنتم فتواجهون الرشاشات والمدافع والدبابات والطائرات المقاتلة بالحجارة.. فماذا سيفعل عمر لو رآكم؟ ماذا سيقول لو علم بما أصابكم؟

ومع ذلك أقول لكم: إن هذه الحجارة الضعيفة ستنقلب نارا تحرق أعداءكم وتدمر مبغضيكم، بفضل الإيمان بالله سبحانه وأنه إلى جانبكم؛ لأنكم أصحاب حق.. أصحاب أرض.. وأي أرض؟؟ إنها فلسطين التي قال الله عنها: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء: 81]، وقال سبحانه: "وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا"، إنها أرض البطولات.. ملتقى الرسالات.. أرض الإسراء والمعراج.. أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.

الله وحده يعلم كم أتمنى أن أكون معكم.. أخفف عنكم.. أشد من أزركم؛ فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، ورباط أخوة الإسلام أقوى من رباط الدم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10].

أنتم أيها الشبان.. بحجارتكم التي في أيديكم.. أحييتم في قلبي

الأمل، وقويتم في صدري اليقين بأن أمة الإسلام لا تموت، ورغم كل مكائد أعدائها فإن مقدساتها أغلى عندها من أرواحها.

ألم يقل رسول الله عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلا ما أصابهم من لأواء - أذى - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس" [مسند أحمد]. وأنا أرجو الله أن تكونوا من هذه الطائفة المنصورة بإذن الله، ولذلك أدعو لكم بالشفاء العاجل والفرج القريب والنصر العزيز والفتح المبين.

وأدعوكم يا أحبة قلبي أن تستغلوا ضعفكم هذا الذي نجم عن مصابكم لتصلحوا ما بينكم وبين الله الذي هو أرحم بعباده من الأم بولدها، فأحبوه كما يحبكم، وارحموا أنفسكم يرحمكم، وهو الذي فضلكم علينا بأنكم تحققون فرضا من أعظم فروض الإسلام ألا وهو الجهاد؛ فليس من الصعب عليكم أن تعملوا بطاعة الله وتجتنبوا معاصيه، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: 51]، وقال عليه الصلاة والسلام: "ألا أخبركم برأس هذا الأمر وعموده وذروة سنامه؟" قالوا: بلى، قال: "رأسه: الإسلام، وعموده: الصلاة، وذروة سنامه: الجهاد في سبيل الله" [رواه أحمد].

أنا أكتب لكم هذا الكلام ليس لأعطيكم محاضرة دينية وأنتم بين الحديد والنار، بل لأنني أخت لكم مسلمة أشعر بكل جرح من جروحكم وكأنه في جسدي، وبكل مصاب ألمّ بكم وكأنه في كياني، وفلسطين غصة في الحلق، واغتصاب الأقصى خنجر في القلب لا أستطيع نزعه مخافة أن أموت من نزيف الدم.

أنا أكتب لأنصح نفسي وأنصحكم؛ فالبلاء قد عم، وسيصل إلينا بعدكم إن لم يتداركنا الله وإياكم بلطفه؛ ففي قول العباس حين الاستسقاء: "... لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة..." [فتح الباري شرح صحيح البخاري].

أريد أن تكون نهاية إسرائيل قريبة؛ فقد تجبرت وبغت وطغت؛ فقد آن أوان أفول مجدها بإذن الله: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرا﴾ [الإسراء: 16]، ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّا كَبِيرا﴾ [الإسراء: 4].

أريد أن يموت منهم كما يموت منا.. أريد أن يصابوا كما أصبنا.. أريد أن تكون الخسائر في صفوفهم وليست في صفوفنا، رغم أن موتانا في الجنة وموتاهم في النار: ﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 140]. أريدكم أن تنصروا الله قولا وفعلا حتى يحقق الله لكم وعده بالنصر: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: 160].. لا أريدكم أهدافا سهلة للإسرائيليين.. أريد أن تتنزل عليكم الملائكة وتثبتكم وتقاتل معكم.. أريد هذه الحجارة أن تتحول في أيديكم إلى حجارة من سجيل.. فتجعلهم كعصف مأكول.

ولذلك اقبلوا مني يا إخوتي إذا قلت لكم: إن سبب انتصار إسرائيل علينا ليس بسبب عددها وعدتها ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: 249] وإنما بسبب أننا فرطنا بأكبر نعمة وهبنا الله إياها، ألا وهي الإسلام، ونزل القرآن بلغتنا فنبذناه وراء

ظهورنا... لقد دخل أعداؤنا المعركة يهودا ولم ندخلها مسلمين رغم أن عقيدتنا محجة بيضاء واضحة، وعقيدتهم باطلة.. دخلوها وهم يحملون التوراة ولم ندخلها ونحن نحمل القرآن رغم أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل.. دخلوها وهم يعظمون السبت، ودخلناها ونحن تاركون حتى لصلاة الجمعة.

تذكروا لماذا انتصر أجدادنا في اليرموك والقادسية وحطين.. كان خالد بن الوليد سيف الله المسلول يقول لجيشه: "إذا اعتمدتم على قوتكم خذلكم الله، وإذا توكلتم على الله نصركم الله"، وما قاله ربعي بن عامر - وهو مجرد جندي في جيش سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - لرستم كبير الفرس: "جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله"، وأما صلاح الدين الأيوبي محرر القدس من براثن الصليبيين؛ فكان إذا دخل خيمة من خيام جنده ليلا فرأى من يصلي أو يقرأ القرآن أو يذكر الله قال: "من هنا يأتي النصر"، أما إذا دخل خيمة فوجد فيها نائمين أو غافلين عن ذكر الله قال: "من هنا تأتي الهزيمة".

هؤلاء الأبطال لم يخوضوا تلك المعارك المظفرة على أساس قبلي أو إقليمي أو قومي، بل خاضوها على أساس الإسلام وعلى أساس العبودية لله وحده. وفي الحديث الذي أخبر فيه - عليه الصلاة والسلام - أن المسلمين سيقاتلون اليهود عند النهر - ولعله نهر الأردن - وسيختبئ اليهودي خلف الشجر والحجر حتى ينطقا، ويقولا: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي.. تعال فاقتله. فالحجر والشجر سيتحولان إلى رجال أمن تدل على أمكنة اليهود، ولكنهما لن يناديا: يا فلسطيني.. أو يا عربي.. بل: يا عبد الله، فكلما كنا عبيدا لله

ونصرناه بتطبيق شريعته كنا أحرارا في أنفسنا وكان نصره لنا قريبا، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 146 - 148].

هذا الكلام ليس معناه إغفال ما يجري لإخوتنا المسيحيين؛ فهم يذوقون ويلات إسرائيل أيضاً، ولكن تعاليم الديانة المسيحية لا تنفع مع بني يهوذا "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر"، "أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم".. فأنا إذا استطعت أن أسامح عدوي الشخصي فكيف أستطيع أن أبارك عدو الله وقاتل الأنبياء؟! كيف أحب قاتل أخي وسارق أرضي ومغتصب عرضي؟ كيف أنسى مذابح دير ياسين وكفر قاسم والجليل والحرم الإبراهيمي في الخليل؟ كيف أسامح من هدم البيوت على رؤوس أصحابها.. ومن شرد الأهالي.. ومن تلذذ بحرقها.. ومن دمر المعابد.. ومن أحرق المساجد وحولها إلى بيوت دعارة وخمارات.. ومن قلع أشجار الزيتون المباركة ليبني بدلها المستوطنات؟! كيف أنسى محمد الدرة وقد مزق الرصاص جسده الغض؟! كيف أنسى سارة وقد فجروا دماغها الطري؟! كيف أنسى الجرحى والمعاقين والمشلولين وهم بعمر الزهور؟ لكن تبرد الشمس ولا تبرد ثارات الزهور..

ختاما أهدي فلسطين هذه الكلمات:

"قطفوا الزهرة.. قالت: من ورائي برعم سوف يثور..

قطفوا البرعم.. قالت: غيره ينبت في رحم الجذور..

قلعوا الجذر من التربة.. قالت: إنني من أجل هذا اليوم خبأت البذور..

كامن ثأري بأعماق الثرى..

وغدا سوف يرى..

كل الورى..

كيف تأتي صرخة الميلاد من صمت القبور؟!

تبرد الشمس ولا تبرد ثارات الزهور".

إخوتي، قبلوا عني تراب فلسطين الذي كان حزينا.. أما مع بطولاتكم فهو يرقص زهوا نشوانَ بدم الشهداء..

قبلوا عني هواء فلسطين.. فهو الهواء الحر الوحيد؛ لأنه عابق برائحة الدم الزكي..

ودمتم أبطالا ودامت فلسطين شامخة بكم. والسلام عليكم.

د.ليلى أحمد

نحبها وتكرهنا..
فلسطين الأصوات والأفعال (مشاركة 1)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحييكم تحية ملؤها المحبة في الله، وأشد على أيديكم، وأدعو الله أن يسدد خطاكم، ويوفقكم إلى ما فيه خيرنا ورضاه عنا وعنكم.

فلتعلموا يا إخواني أن في هذه الأمة صوتا آخر يدعو لكم ويتمنى لكم الاستمرار والتطور والرشد، وأنا أعلم أن الأصوات كثيرة، ولكن الأفعال قليلة، وأنا أضع بين يديكم رغبتي في مساعدتكم إذا كان لي ذلك فيما ترونه مناسبا أو ممكنا، وجزاكم الله كل خير.

أنا يا سيدي شاب مسلم عربي في الـــ 25 من العمر، وقد أرسل لي أحد أصدقائي مشكلة من موقعكم على بريدي، وكان اسمها "تحبها وتكرهنا: فلسطين.. آمال وآلام" مع الرد عليها، فلم أجد بدا من الكلام، وأنا أعلم يا سيدي أنكم لن تنشروا رسالتي هذه؛ لأنها لا تحمل مشكلة معينة، لكنني أناشدكم الله إن لم تفعلوا أن ترسلوها إلى صاحبة المشكلة علها تخفف عنها قليلا، وتشعرها بأن لها أهلا وإخوانا لا تراهم، لكنهم هناك وراء هذه الأسوار يختنقون بكمدهم ويحترقون بنار ذلهم وعجزهم.

لقد قرأت رسالتك هذه يا أختي وأنا أستخدم الشبكة من مكان عام والناس من حولي، وأقسم أني جاهدت الدمع وهو ينهمر من عيني أمام الناس، ولم أستطع إلا بتوقفي عن القراءة، فنسخت الرسالة وأكملتها في

غرفتي بمنزلي، والباب موصد علي حتى لا يرى ضعفي سواي.

قرأت الرسالة والغيظ ينهش في صدري ولساني يلهج بدعاء النبي (صلى الله عليه وسلم): "اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي" [الطبراني في الكبير]، قرأت الرسالة وكفي لا تجد مستقرا لها إلا أختها، تسحقها، عل الألم يوقف هذا الغيظ الذي كاد أن يخنقني، قرأت الرسالة، وعرفت حينها كيف شعر المعتصم عندما نهض عن عرشه لدى سماعه بصرخة أخته: "وامعتصماه"، ولم يجلس عليه إلا وقد نصرها، ولكن أين أنا من المعتصم؟ وأين الزمان من زمان المعتصم؟

قرأت الرسالة وقد فجرت في روحي جراحا لطالما جاهدت نفسي على نسيانها كي أستطيع أن أعمل؛ فالجريح لا يعمل بل يتخبط فقط، وليس من تخبطنا نفع لكم.. لكن كلماتك أبت إلا أن تنكأ هذه الجراح.. نعم يا أختاه، لك أن تشعري بالكره لنا، ولنا أن نتمرغ بأوحال ذلنا، لك أن تغضبي وتحقدي.. لك أن تثوري وتشتمينا، ولكن بالله عليك لا تدعي علينا؛ فدعواك لا تجد بينها وبين ربها سترا، بل ادعي لنا باليقظة والرشد عل الله يجيب دعواك؛ فنكون لك من الناصرين.

لا أدري ماذا أقول؟ ولا أجد فيما قاله الدكتور أحمد عبد الله عذرا لي ولإخواني لقعودنا عنكم، ولا أراني أعمل عملا يخرج ما في صدري من حقد وغيظ، ويساهم في نصرتكم ولو قليلا.

أنتم لا تعرفون الذل يا أختاه؛ فجباهكم عالية شامخة شموخ القمم، وإذا أردتم أن تفعلوا فليس بينكم وبين غايتكم إلا أنفسكم، أما نحن فبيننا وبين نصرتكم أعناقٌ وقوت عيال ودماء مسلمين حرمها

الله علينا، ولا أظنك تريدين إراقة دم مسلم بأيد مسلمة، ولا نحن نريد هذا.. فماذا بقي لنا إذن؟ بقي لنا أن نجاهد للتغيير بطرق رشيدة عقلانية، وبدون دماء، وهذه دربها طويل، وتحتاج رجالا راشدين صابرين، وأنتم أعلم مني بقلتهم في أمتنا هذه، ولكن لكم في ذمتي أن أكون منهم وأن أعمل بعملهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

أنا أحاول منذ مدة، ومع ثلة من إخواني أن أفعل موضوع المقاطعة الشعبية لأميركا وإسرائيل وأن أجعله موضوعا دائما لا علاقة له بالسلام والمفاوضات، بل باستكبار أميركا في الأرض، حتى لا تبرد الهمم كلما هدأت الأوضاع في فلسطين، وإذا ثارت الأوضاع عادت النفوس لتثور بعشوائية وانفعالية.. وهمي الأكبر في هذا الأمر أن أعلم البسطاء أنهم قادرون على التأثير في أي قوة من خلال جهود بسيطة، لكن بعلمية ومثابرة، أن أقنعهم بأنهم يستطيعون.. وهذه هي المشكلة الكبرى برأيي أن نبعث الأمل في نفوس المستضعفين، ونعيد لهم ثقتهم بأنفسهم.. نوفق حينا ونواجه بالتهجم والإحباطات أحياناً كثيرة.. فأنتم أعلم بنا كشباب مسلم، وقد وصفتنا وكأنك تعيشين بيننا، حتى إن أحد شبابنا قال لي مرة: "وكيف تريدني أن أعيش بدون شامبو القشرة الأمريكي؟"!

أما إذا دعوناهم إلى تكفير فلان أو التهجم على من يخالفهم في الأفكار فترينهم أفواجا يناصرونك، ولكن بألسنتهم فقط، أما دعوة العمل فلا نجد لها من مجيب إلا من رحم ربي، حتى ولو كان العمل مجرد دعوة إلى المقاطعة.

ألم أقل: لك أن تكرهينا وتحقدي علينا؟!

أتعلمين أن لك أن تدعي علينا إذا كان في ذلك تخفيف عنك

وتهوين لبلواك؛ فلنا الشرف أن نكون السبب في التخفيف عن عزيزة مثلك، ومثل كل إخواننا في فلسطين، حتى ولو كان ذلك من خلال دعائكم علينا.

أنا أعلم أن ما أقوم به ليس بشيء، وأنت لا ترين تأثيره عليكم قريبا، ولكن هذا ما ألهمنيه ربي، وأتاحته ظروفي.. وإذا استطعنا أن نغير الظروف فستغير طرق العمل؛ علنا نسدد لكم جزءا مما لكم في أعناقنا من دين.. والله ولي التوفيق؛ وسلامي لك ولكل إخواننا الصابرين في بلاد الزيتون الحبيبة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ع - ....

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ الكريم، أهلا بك صديقا لصفحتنا، ولأنك جديد دعني أذكر لك أن صفحتنا هذه تفتح ذراعيها - مثل رسالتك - بمثل ما تفتحها للمشكلات والمتابعات، ولعلك إذا بقيت متابعاً لنا فستجد هذا بارزاً ومتكرراً، وإن كان مرهوناً بنشاط المتابعين للصفحة، وأنتهزها فرصة للتذكير بما قلته من قبل، وأنه تبعا لظروف وتقنية إرسال المشكلات، وكون ذلك محدودا بعدد تنغلق من بعده الفرصة، أقول: إننا مستعدون لاستقبال بريد المشاركات - والمشاركات فقط - على عنوان الصفحة المبين بها، والمفتوح دائما لتلقي رسائلكن، أما المشكلات فلها سبيل معروف ووحيد، والتحديد والتنظيم قد يزعج، ولكنه هام لحسن إدارة العمل، وخدمتكم على أفضل وجه.

أعود للرسالة التي كتبها صاحبها بكل مشاعره، وخرجت من

قلبه المحزون فلمست شغاف القلب، وترقرقت العين معها بالدموع، وأقول: إنني في ردي على رسالة الأخت صاحبة المشكلة الأصلية لم أكن أهدف إلى تبرير القعود عن مناصرة القضية، ولم أكن أقصد أن أعطي الصامتين أو اللاهين العابثين فرصة لتبرئة أنفسهم، ولكنني كنت أهدف إلى مجرد تفسير المشهد الذي تريد "إسرائيل" أن يمتد في إدراك الفلسطينيين ووعيهم حين يرون ما يجري لهم من تقتيل، والعالم ما بين عاجز أو متغافل أو متواطئ في الجريمة، وحين يستقر هذا كأنه حق وواقع يكون أهلنا في فلسطين جاهزين للتسليم أو القبول بأي شيء مهما كان زهيدا أو مهينا، وتكون بذرة النضال، وشعلة المقاومة، وجذوة الدفاع عن الكرامة قد انطفأت في نفوسهم تماما.

أزعم أن ذلك من أهم أهداف الحملة الحالية، ولقد أحببت أن أقول: إن حقيقة الأمر ليست في أن العرب لاهون يتفرجون على الدم والجثث والتقتيل والاجتياح والتمشيط.. وهم ليسوا مثل قوم موسى حين قالوا له: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24].. ولكنني أردت أن أجيب على السؤال الذي يطرحه البعض بحسن نية، وآخرون بسوء نية وخبث حين يتساءلون: أين أنتم يا عرب؟

أردت أن أدافع مذكرا الناسين والمتغافلين، ومجادلا المغرضين وعبدة الشيطان والسلطان أن الشعب الحر الوحيد عندنا في رد العدوان والمواجهة مع العدو هو أهلنا في فلسطين.

وتبقى فكرة المقاطعة من أهم ما طرحته إبداعات الناس لدعم القضية، ولي على المقاطعة ملاحظات كتبتها، **وأذكّر هنا بأهمها مختصرا؛ لأن الإطناب له مقام آخر:**

أولاً: ينبغي أن تتحول المقاطعة إلى نمط حياة يستغني فيه

مناصرو فلسطين والباكون على حالها وحالهم عن كل كماليات الحياة، سواء كانت صناعة أمريكية أو وطنية؛ فمن العبث أن تتضمن قوائم المقاطعة سلعا ينبغي ألا يشتريها صاحب قلب أو ضمير يزعم أنه تحرك مع القضية، ولا أريد أن أضرب أمثلة حتى لا تقاضيني شركات هذه المنتجات.

رفضي الترف ومحاربته هو الهدف، وليس جنسية السلعة فيما أعتقد. وبهذا المقياس قد يحتاج أحدهم إلى دواء أساسي، أو شيء ضروري لا يجده إلا أمريكيا، فلا حرج عليه عندها، ولكن الحرج يكون على الذين لا يتغيرون في نمط حياتهم، ويبقون على نهج الاستهلاك فيما هو تافه وكمالي، ولو كان من صناعة المسلمين.

ثانياً: ينبغي أن تتحول المقاطعة من فعل الامتناع السلبي إلى إضافة فعل الإقدام الإيجابي، وذلك بتحديد المنتجات الوطنية والإسلامية في الضروريات، وهذا التحول يتضمن الرقابة على المنتج الوطني، والسعي لتطويره بالشكوى للمنتجين والسلطات المختصة بشأن أي قصور في الجرد أو خدمة البيع أو الصيانة... إلخ. إن دور المستهلك في تطوير صناعة وطنه لا يتوقف فقط عند شرائها وتشجيعها، ولكن يتسع ليشمل أدوارا متعددة يمكن أن تكون محل نقاش، وأفقا تنطلق إليه حركة المقاطعة التي تشهد مدا ثم ركودا.. وستظل هكذا ما لم تتطور وتتطرق إلى مسالك أخرى أوسع.

ثالثاً: ومما يفيد أن يتم التركيز على أولويات معينة في السلع التي نقاطعها؛ فمن الممكن اختيار شركة محددة أو منتج معين معروف المصدر، ووثيق الارتباط بالصهاينة، وواسع الاستخدام في أوطاننا.

التركيز على هدف محدد من شأنه أن يقصم ظهره؛ فيكون عبرة للآخرين، مع فتح باب "التوبة" والاعتذار لمن يريد، مقابل دعم واضح وملموس لفلسطين وأهلها.. فمن ضرورات السوق أن تتحرك رؤوس الأموال بطريقة معينة، وينبغي أن نتفهم هذا، ولكن فقط حين يتفاعل أصحاب رؤوس الأموال مع قضيتنا، ويدعمونها مادياً ومعنوياً وإعلامياً.

فكرة المقاطعة مرنة جداً، ويمكن أن تتنامى وتتطور في اتجاهات متعددة، محورها أن المستهلكين أو من أسميتهم "البسطاء" قوة كبيرة إذا كان لديهم الوعي بهذا، وبدأوا في استثمار هذه القوة التي هم عنها غالباً غافلون.

وأفكار مناصرة أهلنا في فلسطين وقضيتها كثيرة، لكنها تحتاج إلى إبداع وعقول تبتكر حين تنفتح على العالم فتفهمه، وتعي القضية بأبعادها.. رحم الله من قال: رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الحصاد، ورجل الجهاد الخاطئ غير رجل الجهاد الصحيح الذي يحقق أفضل النتائج بأقل جهد أو خسائر.

وأكرر: نحن نحتاج لقضية فلسطين أكثر مما تحتاجنا.. نحتاجها لنعود بشرا نحترم أنفسنا، وتكون لنا عقول نفقه بها، وآذان نسمع بها، وأفئدة نعي بها ونشعر؛ لأننا فقدنا الكثير من هذا وذاك، وأصبحنا إلى الأنعام أقرب!!

وسائلنا كثيرة، وسبلنا متعددة، ولا تمر بالضرورة في دماء المسلمين أو تكفيرهم أو غير ذلك من الشبهات والعقبات التي بددنا فيها الكثير من الوقت والجهد بسبب ضعف عقولنا، وبساطة تمييزنا، وسطحية تناولنا للأمور.. لن ننتصر ونحن مثل المتخلفين عقلياً لا

ندرك الفوارق بين الأمور، ولا نعي أبعاد المسائل ولا نستطيع غير الولولة والنواح، أو التفكير في معركة السلاح التي لن تكون في المدى القريب؛ فبين العجز والتفكير المتواضع آلاف الاختيارات والوسائل.. ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. شكراً لك.

نحبها وتكرهنا..
فلسطين الأصوات والأفعال (مشاركة 2)

إخواني الأحباء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أولاً أحب أن أشكركم على ما قدمتموه وتقدمونه للملايين من الشباب المنهك من حياة جديدة؛ فبارك الله فيكم، ونفع بكم المسلمين. إخواني، لقد تابعت منذ البداية مشكلة الأخت من بلادنا المباركة فلسطين، والتي كانت بعنوان "نحبها وتكرهنا.. فلسطين آمال وآلام" ومتابعاتها والمشاركات الجميلة التي وردت من هنا وهناك، ومنها "نحبها وتكرهنا.. فلسطين الأصوات والأفعال (مشاركة)".

وأجدني أحب أن أتكلم أيضاً بما يجول في خاطري من خواطر وآلام.. حيث إنني وجدت نفسي أختلف تماماً مع الأخت الكريمة في إحساسها بالكره الشديد تجاه العرب والمسلمين خارج فلسطين.. وما أجده في نفسي يعاكس ذلك تماما.

فمن ناحية كم يسعدني أن أرى الإخوة في أقطار العالم كله وهم يزمجرون غاضبين، ويذرفون الدموع شوقا إلى أن يضموا تراب فلسطين الطاهر المقدس، بينما في الوقت نفسه أنظر إلى داخل فلسطين فأرى الواقع يختلف كليا عما يظن إخوتنا في الخارج.. فآلاف الشباب لا يهمهم هنا سوى لقمة العيش، والآلاف في مختلف المدن لا يهتمون بالقضية وكأنها خارج أرضهم.. وكأنهم قد تأقلموا مع الاحتلال البغيض؛ فأصبحوا لا يراعون حتى حرمة الأقصى والشهداء.

كم أكره الآلاف ممن أمر أمامهم كل يوم في الشارع ولا أجد منهم إلا الكلام عن البنات وعن الجنس والمال والاقتصاد... وكأن لا شيء يحدث!! بل إنني أستغرب عندما كنت أفتح التلفاز أثناء حصار رام الله أول مرة على قنوات رام الله المحلية فأجد فيها الأناشيد الوطنية واستغاثات المساكين، بينما أدير التلفاز إلى قناة أخرى محلية في مدينة أخرى فأجد الراقصات والأغاني وكأننا لسنا في فلسطين!! لماذا لا تتعلق قلوبنا نحن أهل فلسطين ببعضنا؟! لماذا أصبح خبر استشهاد أحدهم لا يعني لنا شيئا؟!

صدقوني أنا سعيد لما يحدث عندنا في فلسطين بقدر حزني لآهات الجرحى والثكلى!! فأقول في نفسي أحياناً: لعل هذا يوقظنا نحن أهل الأرض المباركة؛ فنشعر ببعضنا قبل أن نطلب من غيرنا أن يشعروا بنا وبقضيتنا!!

لماذا نطلب من الآخرين أن يبكوا لحالنا ونحن لا نبكي لحال بعضنا؟! لماذا...؟ ولماذا...؟ أسئلة حائرة تدور في خلدي ولا أجد لها جوابا.. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إخواني الأحبة في كل العالم العربي والإسلامي، تأكدوا أنني متأكد أن النصر سيأتينا منكم.. ولن يأتي من النفوس الضعيفة التي تعيش هنا، لن يأتينا النصر من الذين قتلونا؛ لأننا حاولنا فقط أن نعبر عن حبنا لإخواننا في أفغانستان.. في غزة (أقصد جنود السلطة).. بل سيأتينا النصر منكم أنتم. فادعوا لنا، واعملوا على إصلاح النفوس والقلوب، حتى يوفقنا الله وإياكم.. وينصرنا جميعاً.. وكم سأكون سعيدا إن منّ الله علي واجتمعت بكم هنا في الأرض المقدسة وفي الأقصى المبارك.

لنذكر الله معا، ونحمده تعالى على نعمه معا. واعذروني للإطالة وعدم الوضوح في بعض الفقرات.. فما ذلك إلا لأنني مشتت الأفكار مشوش، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عبد الرحمن – فلسطين

الحل

المستشار: "فريق مشاكل وحلول للشباب"

فكرنا طويلا في ترشيح الخبير الذي يعلق على هذه المشاركة، بحثنا عن شخص من داخل فلسطين، قد عاش بها ويعلم بواطن الأمور فيها، ويكون في الوقت نفسه قد عاش خارجها ووقف على واقع الشعوب العربية ومدى مشاركتها أو تقصيرها في القضية..

لم نجد أفضل من الأستاذة "زينات أبو شاويش" – أو عروس الأقصى كما تحب أن تسمي نفسها – وهي إحدى الناشطات في خدمة القضية الفلسطينية سواء في داخل وطنها أم خارجه.. **تقول الأستاذة "زينات":**

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً.

أخي العزيز عبد الرحمن، سلام الله عليك ورحمته وبركاته..

بداية أود أن أشكرك لمشاعرك الفياضة تجاه الشعوب العربية والإسلامية، **وأود أن أتناول تفسير رسالتك على النحو التالي:**

أولاً: فيما يتعلق بسعادتك الجارفة عندما ترى الإخوة في كل أقطار العالم يزمجرون غاضبين ويذرفون الدمع شوقا إلى أن يضموا تراب فلسطين الطاهرة والمقدس؛ فهذا شعور طيب وجميل، وهذه

حقيقة نعيشها هنا خارج فلسطين؛ حيث نجد كل طوائف الشعوب العربية والإسلامية بل وغيرها من شعوب العالم تتعاطف مع شعب فلسطين وقضيته.

ولكن لا يعني ذلك التعاطف يا أخي العزيز أن هذه الشعوب قدمت كل ما لديها، وأن هذا فقط هو المطلوب منها.. بل إن على هذه الشعوب مسؤوليات جمة وكبيرة تجاه أرض فلسطين المقدسة، وواجب هذه الشعوب أن تقوم بهذه الأدوار على أكمل وجه، وسيسألها الله – سبحانه وتعالى – عن تقصيرها تجاه هذه الأرض المباركة؛ فمهما قدمت هذه الشعوب من أموال أو إعانات أو تبرعات... إلخ؛ فلن يساوي ذلك شيئاً أمام آهات الجرحى وصرخات الثكلى.. بل لن يساوي شيئاً أمام أنهار الدماء الذكية التي تسيل على ثرى هذه الأرض الطاهرة.

وأنا بذلك لا أقلل من دور هذه الشعوب، ولكن أردت أن أنبهك فقط إلى أن هذه الشعوب تقوم بجزء من الدور الملقى على عاتقها، كما يقوم الشعب الفلسطيني في نفس اللحظة بالدور الذي اختاره الله له؛ لكي يذود بدمائه الذكية عن المقدسات العربية والإسلامية والمسيحية على أرض فلسطين.

وأود أن ألفت نظرك يا أخي الكريم إلى أن ما يحدث على أرض فلسطين ما هو إلا رسالة إلى كل الشعوب العربية والإسلامية لكي تفيق وتصحو من غفوتها، وتعود إلى طريق الحق والصواب.. فكفانا كل تلك السنوات من الغفلة. فماذا تعرف هذه الشعوب العربية والإسلامية عن فلسطين؟ للأسف الشديد لا تعرف إلا أقل القليل.. بل إن الكثير من هذه الشعوب تعتقد أن إسرائيل وفلسطين دولتان

متجاورتان وبينهما مشاكل! أو أن إسرائيل دولة بجوار فلسطين وتحاول أن تحتلها أو احتلتها بالفعل.

للأسف الشديد هناك العديد والعديد من المفاهيم الخاطئة عن القضية، بل وعن الشعب الفلسطيني نفسه، هذه المفاهيم التي روج لها الصهاينة من أجل تثبيت أقدامهم في هذه الأرض الطاهرة المباركة، وهناك "ثقافة السلام" التي كادت أن تسود بين عدد من الأجيال الشابة والتي كادت معها أن تطمس معالم القضية، وننسى جميعاً فلسطين، ولا تبقى لنا منها سوى غزة وأريحا. وإذا بانتفاضة الأقصى المبارك تجيء لتضيء لنا الطريق وتظهر معها بوادر الأمل في جيل بدأ يفهم القضية الفلسطينية فهما صحيحا واعيا، وبدأت الأسئلة تجول في خواطر الكبار والصغار ممن لا يعرفون فلسطين معرفة حقيقية بداية من معنى كلمة "فلسطين" وانتهاء بـــ "لماذا اختارت إسرائيل أرض فلسطين لتحتلها؟"، وبذلك بدأت تتعدل مسارات القضية داخل الفهم الإدراكي والوعي الفكري داخل عقل المتسائلين والمهتمين والمتأثرين بما يحدث على أرض فلسطين.

وهنا يا أخي أردت فقط أن ألفت نظرك إلى أن ما تقوم به الشعوب العربية والإسلامية هو جزء من المسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه هذه الأرض المقدسة؛ حيث إن هذه الشعوب تشعر شعورا حقيقيا وصادقا بالتقصير الحقيقي تجاه قضية فلسطين، وأنت تعلم جيداً أن هذه الشعوب لو كان زمام الأمور بيدها لفعلت الكثير.

وصدقني لو قلت لك: إنني أرى الأطفال الصغار في مختلف الفعاليات يطلبون مني أن أدلهم على كيفية دخول فلسطين، بل إن بعضهم يسألني عن كيفية الحصول على الحزام الناسف؛ لأنه يريد أن

يفجر نفسه في الصهاينة، وكم رأيت النساء وهن يقدمن أغلى ما لديهن من حلي ومجوهرات للتبرع بها لنجدة أهل فلسطين، وهذا الشعور نسأل الله عز وجل أن يدوم على أصحاب هذه النفوس الطاهرة والطيبة، ولعل الله عز وجل قد فجر الأوضاع في الأراضي الفلسطينية لكي يظهر الغث من السمين، ولكي نعرف أصحاب النفوس المضيئة من أصحاب النفوس الرديئة في أوقات الشدائد.

ثانياً: ذكرت في رسالتك أنه يوجد آلاف الشباب في فلسطين لا يهمهم سوى لقمة العيش، ولا يراعون حرمة الأقصى أو الشهداء، وليس لهم هم سوى الحديث عن البنات والجنس والمال والاقتصاد... وبصراحة شديدة اسمح لي أيها الأخ الكريم أن أقول لك إنني لست متأكدة من صحة هذه المعلومة؛ فقد تكون هناك حالات فردية من شباب فلسطين لا تهتم بالقضية، وقد تكون هناك أيضاً حالات فردية تعمل لصالح الصهاينة كعملاء لإسرائيل "خونة"، وهذه ليست ظاهرة يمكن القياس عليها؛ فأين مجالات العمل المتاحة حاليا في فلسطين لكي يتحدث عنها الشباب؟ بل أين هذا الاقتصاد الذي نتحدث عنه؟! فقد دمر الصهاينة البنية التحتية الفلسطينية تدميرا كاملا.

وأنا هنا لا أكذبك، ولكن أردت أن ألفت نظرك إلى أن هؤلاء الشباب الذين تتحدث عنهم حالات فردية توجد في أي مجتمع؛ فعلى سبيل المثال إذا نظرنا للمجتمع المصري أو الجزائري أو الفيتنامي أو أي مجتمع من المجتمعات العربية أو الغربية التي وقعت تحت نير الاحتلال فستجد اهتمام شعوب هذه البلاد بالقضية يتفاوت بين بعضهم البعض.

هناك من يحمل القضية في قلبه ويذود عنها بدمائه، وهناك من

يتألم من أجلها، ولكن لا يقوم بالدور الكافي، وهناك من يعيش على هامش الحياة، وهناك المتواطئون مع الاحتلال، وهناك... وهناك... إلخ.

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة؛ فقد توفي وعدد المسلمين يصل إلى مئات الآلاف، ولكن الذين خلدهم التاريخ وما زلنا نذكرهم حتى وقتنا الحالي لا يتعدى عددهم مائة أو أقل أو أكثر بقليل.. هؤلاء هم من قدموا الغالي والنفيس من أجل نصرة دين الله، وهؤلاء هم من كانوا يذودون بدمائهم من أجل رفع راية الإسلام؛ ولذلك خلدهم التاريخ في ذاكرة الأمة على مر الأجيال.

وكذلك الحال بالنسبة لأهل فلسطين؛ منهم من يقدم روحه وماله في سبيل الله ثم في سبيل نصرة وطنه وقضيته، وهؤلاء كثيرون يا أخي الآن، ولولاهم ما وجدنا مخيما واحدا مثل مخيم جنين يصمد لمدة تسعة أيام متواصلة أمام قوة البطش الصهيونية المدعومة من الإمبريالية الأمريكية. ولولا نفاد الذخيرة من المقاتلين ما حدثت هذه المجازر، وما سلم المقاتلون أنفسهم لكي ينالوا أشد أنواع البطش والتنكيل على أيدي جنود الاحتلال، وأحسب أنني أعلم جيداً الأساليب القذرة التي يتبعها الصهاينة مع إخواننا، والتي كم قرأنا عن بعضها وسمعنا عن بعضها الآخر من الإخوة الذين قضوا حينا من الدهر داخل سجون الاحتلال وداخل المعتقلات الإسرائيلية.

وهنا يا أخي الكريم يجب ألا نفرض التعميمات، كما يجب ألا نقيس هذه الحالات الفردية التي قابلتها في مكان ما على أرض فلسطين على أنها ظاهرة منتشرة واضحة، وإن كنت أود أن أذكرك بأن وجود مثل هذه الفئات وجود طبيعي في أي مجتمع من

المجتمعات التي تعاني من نير الاحتلال كما هو الحال في المجتمع الفلسطيني. وهنا يا أخي أريد منك دائما أن تضع نصب عينيك النماذج المشرقة التي تضحي بأرواحها ونفسها من أجل ثرى هذا الوطن الطاهر لكي تمتلئ نفسك بالأمل، ولكي تزهو روحك بإشراقة التفاؤل التي تبعث على العطاء من أجل غد أفضل لأمتنا العربية والإسلامية.

أخي الكريم، إن النفوس البشرية كالكؤوس الفارغة؛ فما تضعه فيها تجد طعمه في فيك، فإذا ملأت هذه الكؤوس بالشراب الحلو والرطب وجدت طعما حلوا أو معبرا عما وضعته في هذه الكأس، وإذا عبأت الكأس بمادة مرة أو مسكرة فستجد أثرها في حلقك وأثرها على عقلك وقلبك أيضاً.

فهيا بنا أخي الكريم لكي نعبئ كؤوس أنفسنا بالشراب الحلو الذي يبعث على التفاؤل في جيل يذود بدمائه الذكية عن هذه الأمة، ولتعترف معي أخي الكريم أننا نتجرع مرارة الحرمان من بعض الأحبة، ولكننا يجب أن نتذكر دائما أننا سنكون دائما في مقدمة هذه الأمة، وأن شهيد فلسطين بأربعين شهيدا في غير أرض فلسطين، وأننا قد اخترنا إما أن نعيش سعداء، وإما أن نموت شهداء على أرض فلسطين المباركة مهبط الأنبياء ومسرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

النقطة الثالثة والأخيرة أخي الكريم التي أود أن ألفت نظرك إليها هي إشارتك إلى جنود السلطة بأنهم أصحاب النفوس الضعيفة التي تعيش هنا، وأن هؤلاء هم من صوبوا نيران أسلحتهم تجاهكم، عندما خرجتم من غزة لكي تناصروا إخوتنا في أفغانستان، وهنا أريد

أن ألفت نظرك يا أخي الكريم إلى أننا في وقت تشتد فيه الفتن بل إن كل المحللين السياسيين في العالم يشيدون بالموقف البطولي الموحد للشعب الفلسطيني بكل فصائله الوطنية والإسلامية؛ فلنترك ما فات، ولننس حوائجنا الشخصية أمام حوائج الأمة كلها.

لا تنس أخي الكريم أن جنود السلطة هؤلاء الآن في مقدمة الصفوف للدفاع عن مقدساتنا، وقد سقط منهم الشهداء والجرحى، ونحن لا نعيب على هؤلاء الجنود البسطاء؛ فإن مثلهم مثل أفراد الأمن في أي دولة عربية يقومون بتفريق المتظاهرين وضربهم أحياناً، ولكنك لو سألت واحدا منهم عما يفعله فستجده غير راض تماما، ويقول: "هذه أوامر" فهؤلاء الجنود البسطاء الذين لا يحملون فكرا ولا وعيا ولا ثقافة لا يمكن محاسبتهم، وإنما يجب محاسبة من يقومون بإعطائهم الأوامر على القيام بمثل هذه الأمور، وسيأتي يوم يأخذ كل ذي حق حقه في هذه الأمة، ونسأل الله عز وجل أن يكون ذلك اليوم قريبا.. اللهم آمين.

فاللوم على أصحاب القرار العلوي والسلطوي؛ فهؤلاء الجنود ما هم إلا أداة لتنفيذ قرارات الكبار فقط، ونسأل الله العلي القدير أن يولي أمورنا خيارنا ولا يولي أمورنا شرارنا، وأن يقيض لهذه الأمة من يعيد إليها عزتها وكرامتها.

أخي عبد الرحمن، تذكر دوماً أننا بحاجة إلى وحدة الصف في هذه الظروف العصيبة.. إن الصهاينة ومن ورائهم أميركا، وغيرها من أعداء الأمة يتربصون بكم من أجل دس العملاء والخونة لتفريق الصف الفلسطيني الذي نحن في أمسّ الحاجة لوحدته في هذا الوقت الصعب الذي يتعرض فيه شعبنا في فلسطين لحملة شرسة تعمل على

إبادته وتشريده وقتله، ولكن هيهات ثم هيهات لهم ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: 30]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

وفي نهاية رسالتي أقول: إن النصر بيد الله سبحانه وتعالى، ولكن لا تنس أن سكان أرض فلسطين في رباط حتى قيام الساعة، والمرابطون هم خير أهل الأرض؛ لأن ذروة سنام الإسلام هي الجهاد؛ فقد أضأتم العالم بانتفاضتكم الباسلة.. لذلك لا يمكن أن نقول: إنكم مقصرون أو متهاونون حتى وإن وجدت فيكم نماذج توحي بهذا التقصير. فإن الصور المشرقة والمشرفة التي ضربها أهل فلسطين برجالهم وشبابهم ونسائهم وشيوخهم وحتى أطفالهم.. أصبحت قناديل مضيئة على درب هذه الأمة، فهنيئا لك يا أخي المرابط المقيم على أرض فلسطين.. هنيئا لك يا من تقيم على ثرى هذه الأرض الطاهرة.. وهنيئا لك بأنك تنتمي إلى هذا الشعب الذي عجزت الأقلام عن أن تصف بطولاته وتضحياته.

وهنيئا لنا بمعرفتك على صفحات موقعنا، وبارك الله فيكم.. وهدانا وإياكم.. وسدد خطانا جميعاً لما فيه خير وصلاح هذه الأمة في الدنيا والآخرة.

نحبها وتكرهنا..
فلسطين نقطة تحول (مشاركة)

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله كما ينبغي، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه، وبعد، الإخوة الأحبة في صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت" وعلى رأسهم الدكتور أحمد عبد الله، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أنا متابع دائما لصفحتكم، ومشارك فيها أحياناً، أود بداية أن أشكركم على جهودكم، وأن أخص الدكتور أحمد بخالص التحية لجهده في الرد والتعليق على مشاركاتي.

أكتب الآن في ظروف عامة استثنائية جداً، وأجد رغبة ملحة بالكتابة إليكم والتواصل معكم في هذا العالم العجيب عالم الإنترنت؛ حيث نتواصل مع أناس لا نراهم ولا نعرف عددهم أو مكانهم أو شخصياتهم أو أي شيء عنهم إلا بمقدار ما يريدون هم؛ فكأنها أداة وصل لا تواصل!! فسبحان خالق العوالم وفاطر الكون والإنسان.. أردت كثيراً أن أعلق على بعض المشاكل، ولم أوفق لذلك، وأرجو أن أوفق الآن في التعليق التالي:

أولاً: تأكدوا كلكم كمسلمين وكعرب وكمدافعين عن الحق والعدل أننا نحن الفلسطينيين لم ولن نكره العرب، كما ذكر في مشكلة "تحبها وتكرهنا.. فلسطين آمال وآلام"، وهل يكره إنسان أهله ومعدنه ومنبته وأرومته؟ لا.. ليس الأمر كذلك، غاية الأمر أننا نشعر بالأسى

الخانق عندما نرى أمتنا العظيمة - سابقا - تعجز أشد العجز عن أبسط أنواع المواقف المطلوبة في وقت الخطر والأحداث التاريخية المهمة، نجد أمتنا ذات الألف ومائتي مليون عاجزة.. ليس فقط عن حماية شعبنا، بل أيضاً عن إبداء النية والعزم على ذلك؛ فمن قعد به العجز عن واجب تجاه أخ له فليس أقل من إبداء النية لذلك ما أمكن.

لا تقل لي: إن شعوبنا مقهورة ومحاصرة ومقموعة؛ فهذا نعرفه جيدا؛ فنحن منكم، وقد تبدلت في بلدنا منذ قرن خمس دول، آخرها - أي السلطة الوطنية - وضعها في حالة الخطر، أي أنه مرت علينا دول وأنظمة مختلفة ربما القاسم المشترك الوحيد بينها هو الاستبداد، وظلم الناس بدرجات وطرق مختلفة. فنحن نعرف ما هو الاستبداد.

والصحيح أن الأعذار المسوقة هي لب المشكلة لا العذر.. فلماذا نحن - العرب والمسلمين - كما تصفون من قهر وضعف؟ هل قاهرونا جبابرة لم تر مثلهم باقي الأمم، أم أن نمط تفكيرنا البدوي يجعل للشيخ أو للرئيس أو الحاكم سلطة شبه مطلقة، وتجعل له مكانة فوق مكانة البشر!! لا لشيء إلا لأنه يملك السلطة؟! فإذا خضعنا لذلك فلم إذن كانت رسالة الإسلام؟ أوليس لتخرج الناس من التقليد الأعمى للآباء والسادة إلى طاعة الله وعبادة الله وتوحيد الله؟ فالتخلي عن واجب اتباع الحق وقول الحق والصبر عليه والشهادة في سبيله ذنب قبيح لا عذر للخيبة والفشل، بل هو السبب الحقيقي لذلك، وأقصد بالتخلي تخلي الأفراد عن ذلك في تفاصيل حياتهم وفي المواقف السياسية العامة لا فرق، فلا يتحجج أحد بأن ذلك واجب جماعي لا فردي؛ لأن الواجب الجماعي هو الواجب الكفائي، وهذا الأخير إذا أخل به ولم يتم على وجهه الأكمل انقلب إلى واجب فردي، فيأثم كل

فرد على حدة، ويحاسب لوحده؛ فالحساب في الإسلام فردي؛ فالواجب الكفائي فردي في الأصل، ولكن توجه الشارع فيه إلى تحقيق الفعل بذاته؛ فإن حقق أثيب المبادرون وسقط الإثم عن الباقين.

فإذا وصلنا إلى أن مسألة النهوض بالأمة وجهاد المحتل ودفع المنكرات مسؤولية فردية، فإننا نبحث هل الإنسان العربي بشكل عام من سماته الجبن والنذالة، حتى وصل العرب إلى قاع الأمم، وضيعوا ماضيهم المجيد، وبذروا حاضرهم الممكن، وجعلوا مستقبلهم مظلما وقاتما؟! أود أن أسرد لكم أولاً ما ذكره لنا أستاذ جامعي كان معتقلا عند اليهود، وكنا نناقش تاريخ الثورات، حيث قال: في إحدى جولات التحقيق - والمحقق عادة ما يكون على درجة كبيرة من الثقافة والدراية، خصوصا إذا كان المعتقل مثقفا - قال لي المحقق: أنتم العرب كالسجاد العجمي، ويقصد الملعون أنه كلما ازددنا ضربا واضطهادا وظلما ازددنا خنوعا ومطاوعة للظالمين!! ويكمل الأستاذ أنه عندها سرد للمحقق حقائق اليهود، وأنهم أتفه الشعوب وأنذلها وأجبنها.

ويعلق الأستاذ بأن كلام المحقق ليس نابعا من فراغ، بل إن الملاحظ أن العرب لهم قدرة زائدة على تحمل الظلم والخنوع له، ولكنهم في النهاية كباقي الشعوب يوصلهم الظلم والقهر إلى الثورة العارمة والاحتجاج العنيف.. وثورتنا دليل على ذلك. أما رأيي الشخصي - بعد دراسة الأمر بعمق بحسب طاقتي - فإن العربي لا تنقصه الشجاعة والنبالة إطلاقاً في مقاومة الظلم، والدليل على ذلك الثورات الكثيرة من العرب على المستعمر، وعلى كثير من الحكومات الاستبدادية، ولكن ما ينقص الثقافة العربية والعقلية العربية

الآليات السليمة والكفيلة بتحويل إرادة الأغلبية من رغبة مكبوتة في الصدور إلى قرار حاسم وسلطة حاكمة ونافذة على باقي الأمة، ولم ننتفع كثيراً بفعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عندما خرج إلى معركة أحد خلافا لرأيه (وهو رسول وليس مجتهدا)؛ وذلك نزولا على رغبة الأغلبية ورأيها وإن كره ذلك، فما ذلك - والله أعلم - إلا لتشريع أن السلطة يجب أن تكون لرأي الأغلبية بشكل ملزم.

ولكن العقلية والعصبية العربية ظلمت الدين عندما تجاوزته وأولته وطوعته ليتجاوب مع منطقها الظالم، فلم تختر الأمة برأيها وأغلبيتها حاكما سوى الخلفاء الراشدين، وأقصي أغلبهم عن الحكم بالقتل والاغتيال لهم وللإرادة الشعبية التي نصبتهم، ثم أصبحت السلطة وراثية، ثم أصبحت جبرية، ثم أصبحت عضودا (فرقا)، ثم ستعود - لا نعلم بعد كم - راشدة، فصلى الله على الصادق المصدوق.

فالذي أريد قوله أن العربي يعرف كيف يغضب، ولكن عادة ما يكون غضبه وبالا عليه؛ لأنه لا يعرف كيف يستثمر طاقة غضبه واستعداده للتضحية؛ فكثيرا ما يوجهها في تمردات فردية أو شبه فردية على السلطة لا تودي إلا برأسه هو المظلوم المقهور؛ فعلى العربي الآن ودائما أن يتحكم بغضبه؛ فيوجهه للتغير المطلوب بشكل مدروس.

وأنا لا أعمم كلامي على الأفراد، بل إنني أتكلم بشكل عام عن سمات عامة للإنسان العربي، وعلى كل حال أستطيع أن أؤكد أننا نحب العرب عامة، ولكل شعب عربي في وجداننا مكانة ومنزلة؛ فنحن تفتحنا على ذكريات الثورة الجزائرية المجيدة، وعلى الأيام الخالية للقومية العربية التي تزعمتها مصر حقبة من الزمن، بل وما

زلنا نشعر ونعرف تماماً أننا جزء طبيعي من بلاد الشام - أو سوريا الكبرى - وأن اسم فلسطين بحد ذاته هو اسم لقبائل دخلت بلادنا مؤقتا ورحلت ولم تترك إلا اسمها فقط.

فنحن منكم وأنتم أصلنا ومددنا وبقيتنا، وفخركم فخرنا وحزنكم حزننا. أذكر أنني كنت أستمع للأخبار مرهقا جسميا ونفسيا من تداعيات الانتفاضة، فسمعت عن مقتل المئات في احتراق قطار، ولا أعرف كيف تخيلت أنهم في الهند فأبديت ما يبديه المكروب من انصراف إلى همه الشاغل - مع أنني عاطفي وأتأثر جداً لمآسي الناس - وعندما أوضحت لي أمي أنهم في مصر بلهجة حارة شعرت وكأن في القطار بعض إخوتي واهتززت كالمقهور ولم أتمالك دمعي.

فلا والله إننا لا نكرهكم، وإن كرهنا عجزكم، وتبرمنا من صبركم وإن فهمناكم وقدرناكم، ولم ألاحظ ما ادعته الأخت السائلة من وجود ظاهرة عند شباب فلسطين بكراهية العرب! بل ما أسمعه هو كراهية لنفر من العرب عددهم يقارب أصابع اليدين والرجلين، لا أكثر من ذلك!!

أما عن ردك يا دكتور أحمد على الأخت السائلة فاسمح لي أن أعلق: الحرية هبة من الله للإنسان، والحفاظ عليها وحمايتها خيار للإنسان، وهو واجب شرعي في حالة ما كان التخلي عنها مخلا بواجب شرعي أو متناقضاً مع قواعد الإسلام ومقاصده الكبرى، بل إن الحرية هي السمة الأبرز للإنسان؛ لأنها أرضية الاختيار الذي هو مناط التكليف؟! أفلا تستحق هذه الحرية إذن السعي في سبيلها!! أظن أن ما تريده الأخت من العرب بالضبط ألا ترى شعوب العرب تموت

ضحية بذل ومهانة، فهذا يؤلمنا ويضعفنا في الحرب، ولو ماتت الضحية دفاعا عن واجبها وعن حريتها لزدنا عنفوانا، ولو لم يصلنا أي دعم مادي.

فالحرب لا ينتصر فيها السلاح، بل إرادة المقاتل، ولا تفُتّوا في ساعدنا بالقول إن هذه رومانسية جميلة فحسب، بل هذه هي الحقيقة التاريخية والدينية ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: 249]، وهذا لا يعني أنني أقلل من الأمور المادية، إلا أن النقص المادي يواجه من جانبنا بتحمل الخسائر، وإبداع الوسائل الجديدة، واستثمار نقاط القوة عندنا ونقاط الضعف عندهم، وأهمها إطلاقاً: حبنا الشهادة وكراهيتهم الموت.

ونحن والله نرجوكم ونتوسل إليكم أن تفهموا وتعرفوا حدود قضيتنا وأساسها، وأنها في الحقيقة قضيتكم كمسلمين بشكل عام؛ لأن مدارها الحقيقي هو المسجد الأقصى المبارك قبلة المسلمين الأولى وما وراء المسجد الأقصى من إيحاء ورمز، فهل هو ملكنا وحدنا حتى يكون واجب الدفاع عنه علينا فقط وأنتم متفرجون أو مناصرون أو عاجزون؟!! وهنا أتذكر السؤال الذي أجبت عليه يا دكتور أحمد بمقالة تخالف عادتك في الوضوح والتحديد؛ حيث إنني أجد تشابها بين أسلوبك وأسلوب المرحوم أحمد حسن الزيات.

والسؤال هو: ماذا تعني فلسطين بالنسبة لكم؟ هل ترونها جزءا مسلوبا من وطنكم المقسم؟ أم أنه وطن محتل وخاص بجيران أو إخوة تتعاطفون معهم في أحسن الأحوال، ولكن لا ترون أنفسكم ملزمون بإعانتهم على تحريره؟ أذكر أنني بعثت بمشاركة أقترح فيها تصورا لوضع فلسطين الشرعي والوجداني والواقعي بالنسبة للأمة،

وقد سررت جداً بالتعليق الكريم عليها، ولكن لم أجد في التعليق مناقشة لمحور الحديث الأساسي، وهو أن تحرير فلسطين واجب شرعي على الأمة؛ لأن قضيتها قضية الأمة بأسرها.

لقد أطلت جداً، ولم يزل للكلام بقية فاعذروني، ولكنني في النهاية أؤكد مجددا أنني أحبكم في الله سبحانه، وأدعوه سبحانه أن يحفظ أمة الإسلام من كل سوء، وأن يهيئ لها أسباب النصر المبين، وأن يرزقنا خير الدنيا والآخرة، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين.

طارق - فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

ونحن يا أخي نحبكم، وتكاد أجسادنا تنهد، وأدمغتنا قاربت على الانفجار من اشتعالها بالغضب والحسرة على ما يحدث لكم، ومن العجز عن فعل شيء يليق بحجم ما يقع، ومن يأسنا وقلة حيلتنا في تدبير وإبداع وسائل جديدة للدعم، وتجاوز حواجز المنع والتضييق، وأسوار الحيلولة بيننا وبينكم.

نحبكم، ونفخر بكم، ونغضب لأجلكم، ولكن كما تفضلت أنت فإن الحب والفخر مثل الغضب والحسرة كلها مشاعر محمودة، ولكنها إن لم تجد البرامج والخطط التي تحولها إلى عمل متواصل، وجهاد مستمر للبناء فإنها تظل زفرات في الصدور، أو صرخات تنطلق من الحناجر، أو ضغطا يغلي في الدماء والدماغ، ثم ما تلبث أن تودي بصحة صاحبها، أو يودي هو بها؛ إذ لا طاقة لأحد بذلك، أو تودي بها الأيام والليالي، وعوامل النسيان التي فطر الله الإنسان

عليها، وتبقى الأحوال رغم طول البكاء، وقد تنتقل من سيئ إلى أسوأ.

تزامن مقدم إجابتك مع استعدادي للقيام بجولة آسيوية عدت منها أخيراً، والحمد لله، بعد أن وصلت لبعض الإجابات على ما تطرح من تساؤلات، والمشهد من بعيد يختلف بالتأكيد، والجولة أتاحت لي فرصة نادرة فآثرت أن أكتب ردي عليك بعد مروري بهذه التجربة غير المسبوقة.

أخي، لعلك تتابع ما أكتب على صفحات هذا الموقع في صفحة "مشاكل وحلول" وغيرها؛ لأنه مثل عمل أي كاتب يكمل بعضه بعضا، ولعلي أرصد ثبتا بمعظم أو أهم هذه الكتابات في إجابة أخرى بمشيئة الله تعالى، ولعلك تدرك كم أستميت في تركيب خطاب أشعر أننا نحتاجه في هذه المرحلة شكلا ومضمونا.

فجزء من مأساتنا يكمن في تهافت الخطابات الشائعة التي تتراوح بين الإنشائية الديماجوجية والسطحية، وتتنافس غالباً في العزف على أوتار المشاعر، والغرائز البدائية، وكأنها تريد الفوز بقصب السبق في الانحطاط الفكري من حيث ضعف المعلوماتية، أو تناقض المنطق الداخلي، أو غياب المسؤولية والمعرفة بالواقع عن كاتبها؛ فتخلط بين التحليل والتحليق في الخيال، وبدلا من إثارة الوعي وطرح الأسئلة الصحيحة تشيع نوعا من التهييج، والتخدير، وصرف الأذهان والجهود فيما لا ينفع وقد يضر. وبعض الخطابات الإسلامية ليست بعيدة عن هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأعوذ به أن أكون كذلك، وأطلب منكم الدعاء بالتسديد.

أخي، سبق لي أن كتبت أن قضية فلسطين هي قضية الإنسانية

كلها؛ لأنها تختصر الصراع الأساسي في الحياة بين العدل والظلم، والحق والباطل، بين الروح الطيبة النظيفة التي هي نفخة من روح الله تعالى، والقوة المتغطرسة العمياء التي تبدو أسوأ ما في الإنسان.

ليس إنسانا إذن من لا يدافع عن هذه القيم العليا في مواجهة الشر، ليس إنسانا سويا من لا ينحاز إلى فلسطين وقضيتها، ولعلك رأيت نفرا من الأجانب متعددة أقطارهم وخلفياتهم كانوا وما زالوا يتضامنون بطرق مختلفة، ولقد أتيحت لي الفرصة في جولتي أن أرى بعض هذا التعاطف ظاهرا جداً، رغم أنه ما زال يحتاج إلى مزيد حشد وتعظيم، وهذا من أدوارنا التي نغيب عنها للأسف!!

وقضية العدل والحق والحرية هي القضايا المركزية للإسلام بوصفه دين الله ورسالته للبشر.. جاءت لتخرجهم من الظلمات إلى النور، وتعيدهم إلى المكانة التي يريدها الله سبحانه لهم خلفاء عنه في الأرض.

لم يأت الإسلام بغاية أن يزيد في ثياب النساء مترا، أو يحلق الرجال شعرا، ويطلقوا شعرا.. رغم أن هذه الأمور من آدابه، ولكن مقاصده العليا أن يحرر الإنسان؛ فيكون موفور الكرامة، حر الإرادة، سليم العقل؛ لأنه بدون هذه الأسس ينتكس ويكون إلى الأنعام أقرب.

ورغم سطوع هذه الحقائق لكل صاحب لب حكيم، أو شعور متماسك فإنك إذا وقفت تدافع عن حجاب الزي لوجدت مليونا من الناس يستمعون ويهتمون، ولو وقفت تدافع عن الحرية والعقل لما وجدت بضع عشرات!!

المسلم ينتفض حين تنتهك حرية الآخرين.. فماذا حين يمس أحد حريته؟

أقاوم دموعي وأنا أتذكر الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو يرسل إلى عامله على مصر "عمرو بن العاص" رضي الله عنه (وكلاهما صحابي جليل)، وكان نجل عمرو قد ضرب شابا قبطيا؛ لأنه تفوق عليه في سباق خيل، وقال له: "أتسبقني، وأنا ابن الأكرمين"، وحين بلغ عمر هذا انتفض؛ لأن قيمة عليا من قيم الإسلام قد خدشت وهو الحاكم، ولم يهدأ حتى استدعى عمرو بن العاص وولده والشاب القبطي وأباه، وأعطى السوط للشاب قائلا: "اقتص واضرب "ابن الأكرمين"، والتفت يعنف ابن العاص: متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟!

أخي، هذا هو الإسلام الذي انتصر وأدار دفة الحضارة، أما الذي نعيشه نحن ونمارسه وندعو الناس إليه؛ فهو يشبه الطبعة المقلدة، وليس فيه من حقيقة رسالة الإسلام إلا بعض القشور والشكليات نغرق في تفاصيلها، بينما الحقائق الكبرى للدين مذبوحة على قارعة الطريق بأيدينا.

فعن أي إسلام تريدينا أن نتحدث: هدي الله للعالمين، تاريخ العصور الزاهرة، أم هذا الذي نعيشه ونقدمه للناس؟!

يا أخي الكريم، لا يكون الإنسان إنسانا بمجرد الميلاد، ولكنه يكون كذلك بمقدار ما يعمر الأرض خليفة عن الله - عز وجل - في الكون؛ فينتج، ويعمل، ويرتقي، ويدافع عن الحرية في كل معركة يخوضها، وهذا من معاني أهل الذمة. فالمسلم مكلف بحرية من في ذمته، والعالم كله في ذمة المسلمين، وهم مطالبون بتحرير إرادة البشر لا تحدي هذه الإرادة ومغالبتها، ولذلك تستفزني مقولة المليار ومائتي مليون مسلم، فما قيمة هذه الجموع إن لم تعش حقائق دينها، وتمارس أدوارها؟!

ولذلك فإن فلسطين هي قضية من يدافع عنها، ويعمل لأجلها من أي خلفية كان، والذين وضعوا أنفسهم في مواجهة الجنون الصهيوني درعا يحمي الرئيس عرفات بوصفه رمزا أو عيشا مع الفلسطينيين وسط تهديدات متعددة.. هؤلاء وغيرهم في الخارج يدافعون، ويحاولون تغيير الأدمغة الملوثة بدعاية الصهاينة، هؤلاء عندي من أنصار فلسطين أكثر من ملايين المسلمين الذين يبيتون في أحضان العاهرات، أو يظنون غاية دعمهم للقضية أن يضعوا درهما أو دينارا في صندوق تبرع!!

وخذ عندك ملايين أخرى استبد بها الغضب، واشتعل الحماس، وأعلنت استعدادها للموت من أجل القضية، وابحث وسطهم عن الجادين في هذا القول، ودليل الجدية أن يتواجد لديهم الاستعداد للعيش من أجل فلسطين؛ لأن الموت أحياناً يكون أسهل من العيش في سبيل قضية وتغيير النفس لأجلها.

الموت بذل لحظة وتستريح، والعيش من أجل قضية هو الجهاد الطويل الذي يحتاج إلى أكثر من مجرد الحماس أو الغضب، وفلسطين تحتاج إلى من يعيش في سبيل قضيتها لتكون شغله الشاغل وهمه المقعد المقيم؛ وذلك لأن المعركة تدور في كل ميادين الحياة قبل أن تتحسم في ميدان القتال نفسه، وميادين معركتنا مع الصهاينة كثيرة منها المعمل، والمصنع والمدرسة، والجامعة، والمزرعة، وورشة التدريب. فهل لدينا الجادون في هذه الميادين أم أنها خاوية إلا من الأشكال والهياكل الفارغة، والشارع يمتلئ بالصارخين المحترقين غضبا وهتافا؟!

كم من المسلمين مستعد للصبر في المكاره، والمواصلة على درب البذل، والثبات في سبيل الجهاد؟!

وتذكرت كلمات توزن بالذهب عن التمييز بين رجل الكلام

ورجل العمل، ثم رجل الجهاد، ثم تتألق الكلمات لتفرق بين الجهاد الخاطئ والجهاد الصحيح الذي يحقق أعلى النتائج بأقل الخسائر، فضع المليار مسلم على محك هذا الاختبار والتصنيف لتعرف من معنا ومن ليس كذلك.

يا أخي، تحدثني عن التفكير، وعن العقل، وعن الحرية، فأبكي وأضحك من البلية وأنا أرى وأسمع ضجيج التهييج والشحن الذي تتنافس فيه صحفنا وفضائياتنا حتى أدخلت نفوس الناس في حالة من الشلل بين مطرقة إثارة المشاعر وسندان القهر السلطوي لأبسط صور التعبير، ناهيك عن غموض أساليب الدعم، فتاه الناس بين خطابات التخذيل وخطب التهويل والتهليل، وافتقدوا الدليل في ظلمة الليل الطويل.

غابت الإدارة السليمة للغضب، واستثمار الحماس ليكون بناء لشيء يصمد في المعركة القادمة، ونكاد ننسحب إلى مواقعنا القديمة وكأن شيئاً لم يكن، فابحث معي عن العقل والحرية والتخطيط والرشد وسط هذا كله.

أخي، نحتاج إلى وقفة تأمل، ومراجعة صريحة للذات وللجماعة، ونحتاج إلى أسئلة غير تقليدية، ومناقشات عن المستقبل، وعن إدارة الجهود، وعن معاني الجهاد المطلوب.

ليس التخلف قدرا، ولا التخاذل طبعا في جينات العرب، التاريخ يقول هذا، والتحركات الجماهيرية الأخيرة كانت تعبيرا عنه، وهي تعبير عن وجود حياة في العروق، ولكن التعبير شيء والتغيير شيء آخر.

نحتاج إلى أن نؤسس جهودنا على أرضية الناس؛ لأن الحكومات تبدو كما ترى، والحركات تبدو محاصرة وعاجزة بالتالي إلا عن المزيد من الكلام، والفعل ما زال دون المطلوب، ولكن

البدايات هكذا تكون؛ فهل لدينا الإرادة والعزم والوعي والعقل لنصارح أنفسنا، وننتقد أعمالنا، وننتقل خطوة إلى الأمام؟!

هل لدينا صدق النية والرغبة وصلابة القدرة والقوة على أن نحاسب أنفسنا، ونضبط حركتنا فلا نستسلم للغضب، ولا نسترسل في الصراخ، ولا نضيع وقتا في مطالبة أحد بشيء إلا أنفسنا، وأن نكف عن النداء على الحكام أو النخب، أو الموتى من الأبطال مثل صلاح الدين أو المعتصم؟!

هل ندرك أننا في الساحة وحدنا، ومعنا بعض الأنصار من كل العالم، ولدينا أدوات واضحة، وإمكانات محددة يمكن تطويرها وتنمية آثارها، ومضاعفة مكاسبها لنتقدم في قضيتنا خطوة وخطوات؟!

هل يمكن أن نفصل أنفسنا بخيارنا الانتفاضي عن مسار التسوية المرتقبة، فندع السلام لمن يحلمون به ونتركهم يشبعون به، ويعيشون على أوهامه، ونتفرغ نحن لإعداد أنفسنا وبناء قدراتنا: للتعليم والتعلم، والبناء والاستعداد، والفهم والتخطيط، واستكشاف آفاق جديدة لإعداد العدة التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى؟!! وساعة الحسم قادمة لا محالة.

هذه هي النقطة التي نقف فيها: إما أن نتغير ونعيش القضية بجد، أو نبقى كما نحن فوضى لا سراة لنا:

كالعيـــس في البيداء يقتلها الظمـــا

والمـــاء فوق ظهورهـــا محمـــول

هذه هي نقطة التحول المطلوب، ونحن فيها إما أن نكون أو لا نكون.. أليس كذلك؟!!

لم تعد تكرهنا..
فلسطين حديث الساعة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وبعد: بداية أقول لكم إني أحبكم في الله، وإني أدعو الله عز وجل أن يوفقكم في كل خطوة تقومون بها، وأن يرزقكم العلم النافع إن شاء الله.

أشكركم على هذه الزاوية المتميزة بتلك العقول التي تنير درب الشباب الحائر في هذه الدنيا، وكله بفضل الله عز وجل عليكم، وزادكم الله من فضله.

أنا صاحبة مشكلة: "تحبها وتكرهنا.. فلسطين آمال وآلام". كنت أريد أن أكتب لكم منذ فترة بعيدة، ولكن ظروف الاجتياح والظروف الصعبة التي نمر بها حاليا منعتني من التواصل معكم.

أحب أن أشكر الدكتور أحمد عبد الله على رده على مشكلتي بالعقل، حيث لم تزعجه صراحتي، بل وضح لي الموقف، وهو ما جعلني أعيد الأمر في كثير من الأمور في نظرتي للعرب من حولي. ولن أبالغ إذا قلت يا دكتور أحمد بأنك بردك على مشكلتي قد ساعدت على وجود فتاة جديدة قوية، فتاة لا تجزع، ولا تكره.. تفكر بالعقل وبالدين قبل أن تتسرع بالحكم على الأمور من حولها بمنطق العاطفة.

عندما كتبت لكم مشكلتي بلا شك كنت متسرعة، وقد عممت

كرهي على العرب جميعاً، وهذا لا يجوز بأي حال من الأحوال؛ لأني كتبت المشكلة وأنا متناسية (ربما لأن في نفسي شيئاً من الأنانية) أن هناك إخوانا لي خارج فلسطين يتعذبون ويتألمون مما يشاهدونه من مجازر، وهم غير قادرين على نصرتنا إلا بالشيء اليسير، وأنا أشكر الله عز وجل على نعمة وجودي في فلسطين، والحمد لله على هذه النعمة العظيمة.

عندما كنت أكتب لكم مشكلتي كنت أبث لكم جرح روحي مما أراه يوميا ومما أعانيه ومما أحسه، ليس ضعفا مني، ولكن كنت أتمنى أن يكون لي إخوة منكم يقومون بمساعدة شعبي وينصروننا بعد أن أذاقنا اليهود وأعوانهم من أبناء جلدتنا الذل، كرهي لكم ليس كرها وحقدا بالمعنى المعروف وإنما هو نوع من العتاب كالعتاب الذي يحدث بين أخ وأخته، فقد يشعر الإخوة في لحظة من اللحظات بالكره لبعضهم البعض، ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال أن يتخلوا عن بعضهم البعض.. أتمنى أن يكون المعنى قد وصل.

ولقد ذكرت في مشكلتي أن ظاهرة الكره للعرب عندنا في فلسطين بدأت بالظهور وهي موجودة بالفعل.. السبب ربما هو الإعلام في الأساس؛ فعندما ترى القنوات تبث الأغاني بينما نحن نذبح أو المهرجانات تقام ونحن لا ننام.. فأي ضمير هذا؟!!

على كل حال كتبت لكم هذه المرة لأعتذر لمن جرحته بكلماتي، وأنا آسفة، وأسفي هذا لكل مسلم عربي يدافع عن قضية فلسطين بأي الأساليب التي يقدر عليها، وأنا لا أستطيع أن أتخلى عن عروبتي وعن إسلامي بأي حال من الأحوال، فأرجو أن تقبلوا أسفي.

وإنني أشكر الدكتورة ليلى أحمد على كلماتها التي كتبتها لي،

وأعان الله أهل فلسطين على الأخذ بها.

أخيراً وبما أننا الآن نحن شباب وفتيات فلسطين أصحاب القضية الأساسية، فإنه تقع على عاتقنا المسؤولية، وهذه المسؤولية كبيرة جداً، فنحن مطالبون بإصلاح أنفسنا أولاً من الداخل، والعودة إلى كتاب الله عز وجل وسنته، والتضحية بالأجساد قبل الأموال في سبيل الله عز وجل (وعشق الشهادة والتضحية على تراب فلسطين هو من عشق الله عز وجل)، ومطالبون أيضاً بتثقيف أنفسنا بالعلم، ومطالبون بالصمت!! والعمل يعني (يعني بالفلسطيني كلام قليل وفعل كتير)، ومواجهة مشاكلنا بشجاعة، مستمدين القوة من الله عز وجل.

فكل فتاة في فلسطين مطالبة بإعداد نفسها لتكون أما ومربية ومعلمة تخرج جيلا جديدا واعيا مثقفا للجهاد إن شاء الله، وكل شاب مطالب بإعداد نفسه وإصلاحها لله عز وجل.

أستاذي أحمد عبد الله أتدري ماذا قدم لنا شارون في الاجتياح الأخير؟ قدم لنا ثلاثة أشياء: الحزن، والألم، والغضب.. كل هذه الأمور جعلتنا نزهد في هذه الدنيا ونتوق للآخرة ونتقرب لله عز وجل. هذا لا يعني أن الحياة هنا سهلة الحياة صعبة، والله إن الحياة هنا تشبه حال من يمسك جمرة من النار في يده.. ملاحقون من أبناء شعبنا تارة ومن اليهود تارة أخرى، يعني كل يوم يزيد الأمر سوءا، ولكن لا بأس فطريق النصر طويل ولازم الصبر.

وأخيراً أستاذي الفاضل عذرا على تشتت أفكاري، وأرجو أن تعذروني على هذه الكتابة، ولكن في القلب حزن وألم لا يعلمه إلا الله عز وجل، والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة؛ لأنني بالحزن والألم عرفت الله.

نهاية أستاذي الفاضل أرجو منك أن تقدم لي نصائح عن كيفية التعامل مع الأطفال في حالة الفزع؛ فهنا يقومون بتفتيش البيوت فجأة، وينتهكون المحارم، ويقومون باعتقال الأطفال وضربهم على الرؤوس أحياناً؛ فكيف لنا أن نساعد على إيجاد جيل غير معقد بالعقد النفسية، وأرجو أن يكون سؤالي قد فهم.

وأخيراً لا تنسونا من دعائكم؛ لأنه هو الشيء الوحيد الذي سيصل إلينا، وهذا ما نريده منكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. أختكم الفلسطينية.

فداء – فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أختي الكريمة، هزتني رسالتك، وكتبت لي د. ليلى أحمد ملاحظة عندما قرأتها فيها: "لم أكن أستطيع منع نفسي من البكاء أثناء قراءتها، أرجو أن تخبر الأخت السائلة بأننا معها بكل قلوبنا أرواحنا وإن تباعدت أجسادنا".

وطالما أن ردي السابق عليك قد ساعد في تحولك إلى فتاة جديدة قوية لا تجزع ولا تتسرع بالكراهية، وتفكر بالعقل والدين، فإنني أكتب لك اليوم ولكل أحبابنا في فلسطين التي يبدو أننا نقول لها اليوم كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون﴾ [المائدة: 24]، أو كما قال أحد كتاب الأعمدة في جريدة مصرية قريبا: "وليس أمامنا ما نقوله لأشقائنا الفلسطينيين سوى أن العدو أمامكم، والعدو وراءكم، والعدو بينكم، وليس لكم إلا ما تستخلصونه بأيديكم ودمائكم... وهو كفيل بالنصر"!!!

بثثتِ لنا يا أختي جرح روحك في المرة السابقة، وتوازنت نظرتك بردي، فلا تعميم ولا تسرع في إطلاق الأحكام، فهل تسمحين لي اليوم أن أفصح بين يديك عن بعض مشاعري؟!! هل يمكنني أن أشاركك بعض همومي، وأقول لك بعض ما يجول في نفسي على مرأى من إخواني وأخواتي في فلسطين وغيرها؟!

أولاً: دون كثير ندب أو ولولة وزيادة في جلد الذات أقول بأن الحالة التي كنا عليها في إبريل الماضي (2003) حين كان الاجتياح وحين خرجت الجماهير من جاكرتا إلى موريتانيا تعلن سخطها عما يحدث لكم، هذه الحال قد تم تفريقها أو كسرها بآليات وأحداث وأساليب ينبغي أن ندركها، فمنها الصدامات مع الأنظمة، وجحافل الأمن حتى صار الخروج في مسيرة احتجاج غامرة غير محسوبة العواقب، ولعلك تتابعين الاعتقالات الأخيرة بحق شباب جامعي، وأساتذة وأطباء وغيرهم، والتهمة الموجهة إليهم هي "محاولة استغلال قضية فلسطين في تحريك الجماهير وإثارتها"!!!

وجاءت مباريات كأس العالم، وكنت وقتها في "بيروت"، ورأيت الأعلام الفلسطينية التي كانت ترفرف وحدها في إبريل قد تاهت في يونيو بين الأعلام الفرنسية والألمانية، وطبعا البرازيلية!!!

وكانت امتحانات آخر العام ثم المصايف والمنتجعات التي تتنافس من المحيط إلى الخليج في جذب السائحين ببرامج الترفيه والترويج.

إذا كنت ممن يتابعون صفحتنا بانتظام فستعرفين أنني آخر من يمكن اتهامه بمعاداة الترفيه أو الترويح أو التخفيف عن النفس، ولكن استراحة المجاهدين تختلف عن استرخاء المترفين اللاهين، والمرح

هو حق للمتعبين الذين أنتجوا وأنجزوا، أما نحن فما أنتجنا أو أنجزنا من أجل فلسطين، أو من أجل غيرها سوى بعض الصراخ والتبرعات، والتشنجات؟!! لعبة لطيفة أن نختار أسلوبا للاعتراض أو الدعم ترفضه الأنظمة أو تديره، ثم نخطط بعد إبريل ومايو، وكأس العالم والامتحانات أين سنقضي الصيف؟! وكيف؟!

ثانياً: الإعلام العربي سقط في الامتحان بامتياز؛ فهو كما كان غوغائيا أثناء اشتعال الأزمة ينثر الدماء وينشر العويل على شاشات لم يستطع أن يقدم أفكارا مبتكرة للناس لمناصرة القضية غير اجترار الكلام المكرر من مطالب سياسية ترفضها الأنظمة أو مهرجانات جمع الأموال التي لا يعرف أحد بالضبط أين تذهب؟! وفي يوم وليلة انقلب "عرفات" من رمز للصمود تحت الحصار إلى راع للفساد المطلوب تغييره، وبدلا من المساهمة في جمع الشمل الفلسطيني بفصائله كان اللعب على نقاط الخلاف، ودخل الإعلام العربي في لعبة المزايدات، وبدت القنوات متنافسة في معركة النضال حتى آخر فلسطيني!!!

وبدلا من كشف عورات العدو، والثغرات التي تتفتح في أدائه، وتمكين المشاهد من أدوات ومهارات خدمة القضية إعلاميا حيثما هو، وبخاصة في الغرب، تغلبت الدعاية والخطب الرنانة وإحراج هذا النظام لمصلحة ذاك؛ مما ساهم في أن يعاف الناس الأمر برمته!!!

ثالثاً: بدلاً من تنسيق الجهود والعمليات في الداخل الفلسطيني، والمحيط السياسي والجماهيري العربي والإسلامي بدت كل الأطراف وكأنها تريد تسجيل نقاط لصالحها، وغير مستعدة للتوصل إلى نقاط

تقارب ومساحات تقاطع في أداء منسجم داخليا وعربيا ودوليا.

وبدلا من الأسئلة الصحيحة انفجرت ألغام وقضايا مغلوطة عن المقاومة في مقابل التفاوض أو جدوى العلميات الاستشهادية، بل حكمها الفقهي رغم أن الواقع كان قد حسم العديد من هذه التساؤلات بما كان ينبغي معه الاهتمام بجوانب أخرى أهم.

وقد دعوت مرارا وأكرر أننا جميعاً نحتاج إلى تقييم ومراجعة ما قمنا ونقوم به من أجل أهلنا وأنفسنا؛ لأن فلسطين قد أصبحت بوضوح قضية الجميع، ومن لم يفقه هذا بعد فلن يفيقه إلا الصاروخ الذي سينسف بيته في بغداد أو بنغازي أو القاهرة.

كفانا تضييعا للوقت، وعلينا واجب المراجعة والمصارحة وتصحيح المسار، وتقوية سواعد البذل، وتحسين شروط وبرامج العمل والنضال والدعم.

أختي، لا يتعارض هذا مع أنكم داخل فلسطين بمثابة رأس الحربة، والصف الأمامي في المواجهة، ودوركم أساسي ورئيسي في الانتباه لمؤامرات العدو، وسخافات الأصدقاء، وفهم أسباب وجذور تخبطنا في دعمكم، أما نحن فعلينا الكثير في ميادين إصلاح النفس، والعمل الكثير بالنفس الطويل، والإحكام المطلوب. وإذا كان شارون قد قدم لكم الحزن والألم والغضب فهي ثلاثية قد تؤدي إلى الجنون، ويمكنها أيضاً أن تؤدي إلى إنضاج أمة تعرف طريقها نحو النصر، وتدرك أن الصبر والإيمان والتخطيط أسس العمل الناجح.

أختي الكريمة، في قلبي كما في قلبك حزن وألم، وفي النفس غضب وشجن، وأقول معك مثلما تقولين: لا بأس... طريق النصر طويل. ولعلك تجدين في كلماتي بعض المواساة، والتوضيح لآفاق

لتحسين أسلوب عملنا جميعاً، ولنكن على صلة دائما بنفس الصدق والمصارحة.

أعرف أن الملايين تدعو لكم بالليل والنهار، فهل تسمحين لي أن أدخر دعوتي لهذه الأمة أن يبرم الله لها أمر رشد ترى في الحق حقا والباطل باطلا، نحن والله المحتاجون لدعائكم فلا تنسونا منه.

وبالنسبة لمسألة التعامل مع مخاوف الأطفال فيمكنك مراجعة الإجابة التالية التي وردت بصفحة "معا نربي أبناءنا"، وعنوانها "مخاوف أطفال الانتفاضة".

فلسطين.. أسرى الفتور واليهود..
الأحرار ينتصرون

الإخوة القائمون على الموقع، جزاكم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة على تعبكم لما تقدمونه من حلول لمشاكل الشباب.

أنا شاب جامعي أبلغ من العمر 21 عاما، ومشكلتي هي أنني كنت متدينا جداً والحمد لله، وملتزما بالصلاة في المسجد منذ طفولتي حتى بلغت العشرين من عمري، ولكن قبل حوالى 4 أشهر أصابني نوع من الفتور في العبادات؛ فتركت الصلاة في المسجد وحتى في البيت (أو في بعض الأحيان لا أصلي جميع الصلوات)، وتركت الصيام؛ حيث إنني كنت معتادا على الصيام دائما، حتى إننى وصلت إلى درجة إفطار بعض الأيام في شهر رمضان المبارك!! فأصبحت تاركا للصلاة والصيام وغيرها من العبادات بدون مبالاة في الكثير من الأحيان، وأقوم ببعض الأعمال المحرمة التي يقوم بها بعض الشباب بدون مبالاة وكأنها شيء عادي!

أقسم لكم إنني أحياناً في جوف الليل أتذكر وأراجع ما فعلته في يومي السابق، وما تركت من صلاة وعبادات، وأبكي على حالي.. لكن عندما يأتي الصباح كأن شيئاً لم يكن.. وأعود لحالي القديم.. أقطع عهدا مع الله ألا أعود لتلك الأيام وأن أفتح صفحة بيضاء وأبدأ وألتزم يوما أو يومين في الصلاة، ولكن لا أستمر في ذلك.

أصابني نوع من الفتور وعدم المبالاة، لا أعرف ما هو السبب

الذي جعل قلبي ميتا لهذه الدرجة؟ تغيرت حياتي كليّا، لا أعلم ما السبب، وما السبيل لكي أرجع وأعود إلى ما كنت عليه من حياة جميلة، ومن حلاوة إيمان.

مع العلم أن سبب ذلك ليس رفقاء السوء؛ حيث إنني لم أرافق أحدا منهم، ولم يؤثروا عليّ، وليس بسبب وجود مشاكل في حياتي؛ فلديّ مشاكل، ولكن لا تُذكر، وليست هي السبب. وللعلم أيضاً فإن معاملاتي وأخلاقي (مع الناس) لم تتغير، والكل يشهد لي بأنني شاب متدين وخلوق جداً ومثال في الإخلاص، والطاعة، والتفاني... حتى إن الكثير من شباب المسجد كانوا يقولون لي: "يبدو أنك استشهادي" (أي ستنفذ عملية استشهادية). ولكني أصبحت أشعر في نفسي أنني إنسان آخر وليس كما يراني الناس، وأنني إنسان بوجهين.. وأنني شخص خبيث جداً ومنافق.. فكلما أحاول أن أبدأ وأفتح صفحة جديدة مع الله جل وعلا، وأبدأ يوما جديدا في الصلاة ومحاسبة نفسي ينتابني الفتور ولا أخشع في الصلاة.

إنني أشعر أنني في أمسّ الحاجة إلى الله، خاصة في أيامنا هذه في فلسطين، وخاصة في مدينة نابلس؛ ففي أي لحظة أتوقع التوغل الإسرائيلي، وأتوقع الاعتقال أو الاستشهاد على الحواجز أثناء تنقلي للجامعة كل يوم، حتى إنني الآن أكتب لكم وصوت إطلاق النار والقذائف قريبة من بيتنا، وفي هذه الفترة أيضاً امتحانات في الجامعة، فأنا في أمسّ الحاجة إلى الله عز وجل، إلا أنني بالرغم من ذلك أبتعد عن الله ولا أجد حماسة في الصلاة.

وباختصار: أريد أن أعرف ما هو العلاج لهذا الفتور والتراخي الذي أصابني؟ وكيف أعود؟ وما هي سبل وطرق تقوية إيماني بالله

تعالى، وسبل التقوية على تأدية العبادات؟. وشكراً لكم، وجزاكم الله خير الجزاء، ودمتم ذخرا للإسلام والمسلمين، ولا تنسونا من خالص دعائكم.

م – فلسطين

الحل

المستشار: د. ليلى أحمد

بعض المشاكل أشعر فيها بأسى كبير لحال السائل، منها مشكلتك يا بني العزيز؛ فأنت أحوج ما تكون إلى الله؛ فأنت ترى الموت بعينيك صباح مساء؛ أي أنه أقرب إليك من حبل الوريد، وقد قال عليه الصلاة والسلام: "كفى بالموت واعظا" [أخرجه الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف، وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض، رواه البيهقي في الزهد]، ومع ذلك تتردى حالتك الإيمانية يوما بعد يوم، رغم أن فطرة الإنسان أن يرجع إلى ربه في حال الضر ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدا أَوْ قَائِما فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: 12]، فلماذا انقلبت موازينك بهذا الشكل؟ هل هو بسبب زمن الفتن الذي نعيش فيه؛ حيث يغدو الحليم حيران؛ يصبح على حال ويُمسي على حال؟ أم هل هو العجز الخانق الذي يحيط بأغلبكم؛ إذ تجدون أنفسكم في ساحة الوغى دون معين أو رفيق؟

أم أنتم كما قال لي ابني الفلسطيني عندما كلمته هاتفيًا آخر مرة قبل أن تعتقله إسرائيل – فرّج الله كربه، وفك أسره، وأعاده سالما إلى أهله هو ومن معه – قال: "نحن نعيش في كذبة كبرى".. قلت له:

كيف؟ قال لي المقولة المأثورة في تاريخ الثورات: "ألا تعلمين أن الثورة يموت في سبيلها مناضل بينما يقبض ثمنها خائن؟".

هل هي حالة من الإحباط تمرون بها بسبب المواقف المتناقضة للمتحكمين الفعليين في مصائركم؛ فلا هم يخلون بينكم وبين المقاومة حتى النصر، ولا هم يصرّحون أنهم يريدون المفاوضات حتى الاستسلام؟!

إذا كانت مشكلتك جماعية فليس بإمكاني حلها، لا في هذه السطور ولا في غيرها، وليس في يدي ولا في يد غيري، إنما هي في أيدينا جميعاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11]، وللتفصيل أكثر أدعوك أن تقرأ مشاركتي في صفحة "الاستشارات الدعوية" بموقع "إسلام أون لاين.نت"، وهي "كيف ندعم فلسطين ونربّي أنفسنا؟". فقد ذكرت فيها أن النصر لن يتحقق لنا إلا بالإيمان الفردي العميق والإيثار الجماعي الحقيقي. ومشاركتي الأخرى على الصفحة نفسها: "ماذا أقول لها.. أمس واليوم وغدا؟"، وقد بيّنت فيها أن فلسطين لن تتحرر إلا بالوحدة، والوحدة لا تكون إلا على محور جامع، وهذا المحور لا يمكن أن يكون إلا الإسلام. فارجع لهاتين الاستشارتين لعل فيهما ما يخفف عنك مبدئيًا.

وعلى كل حال فإن من عدم الإنصاف أن نعلّق أخطاءنا على شماعة الآخرين كما يقال، ولا بد أن هناك ذنبا ارتكبته أنت مع ربك دون أن تشعر به؛ فكانت عاقبة أمرك ما وصلت إليه.

بالطبع أنت تذكر أخطاء كثيرة، لكنك لم تستطع تحديد السبب الذي رمى بك من قمة الطاعة إلى هاوية المعصية، وقد يكون لذلك

أسباب عدة سأسترجعها معك لعلك تضع يدك على الداء وبالتالي تصل إلى الدواء..

أنت تقول: لا يوجد لديك رفقة سوء؛ فهل لك رفقة صالحة يذكّرونك إذا نسيت، ويعينونك إذا ذكرت، ويمنعونك من الاسترسال في الركون إلى الهوى والشهوات؟ ما هي هذه الأعمال المحرمة التي تفعلها كما يفعلها بقية الشباب على أنها أمر عادي؟ فالأعمال المحرمة إما كبائر أو صغائر؛ فالكبيرة في جنب عفو الله صغيرة إذا رافق الندم توبة نصوح، وعزم أكيد على عدم العودة، بينما الصغيرة تتحول إلى كبيرة مع الإصرار وعدم الاستغفار. ورحم الله ابن عطاء السكندري عندما قال: "ربَّ معصية أورثت ذلاً وانكسارا خير من طاعة أورثت عزّا واستكبارا".

والمعاصي إما ظاهرة أو باطنة، والأخيرة هي الأخطر؛ لأنه لا ينتبه لها إلا من أوقف حراسا على قلبه، فلا يسمح للشيطان بدخوله مهما حاول، ولا يكون هذا إلا من شخص عمّر قلبه بالتقوى وزكّى نفسه بالمجاهدة، وطهّر روحه عن خبائث الصفات بالذكر، والعبادات، والطاعات، واللجوء إلى الله في كل وقت وآن.

ولذلك فلن أتكلم معك عن المعاصي الظاهرة فهي معروفة، وقد ذكرت أنك تفعلها، لكن سأدلك على معاصي القلب لعلها تكون السبب، وهي كثيرة، ويدخل ضمنها الغيرة، والحسد، والغيبة القلبية، والكبر، والرياء... **ولكن أهم ما يذكر في حالتك أمران:**

أولهما: عدم الرضا عن الله، ويتمثل بعدم الرضا بقضائه سبحانه، وربما هذا مما ألمّ بك؛ إذ يوسوس الشيطان فيقول: لماذا أنتم أهل فلسطين يبتليكم الله بكل هذه المصائب، بينما يعيش باقي الناس

في أمن وأمان ورغد واستقرار؟ وهنا الجواب يكون أن الله إذا أحبَّ الله عبدا ابتلاه، والبلاء إما لمحو السيئات أو زيادة الحسنات أو رفع الدرجات، ورحم الله من قال: "يبتليكم بالمصائب ليطهركم من المعائب".

ففي كل بلاء حكمة بالغة، وفي كل مصيبة لطفٌ خفي، فارضَ بقضاء الله المالك، ونحن جميعاً عبيده وفي قبضته يفعل بنا ما يشاء سبحانه، فابرأ من اختيارك إلى اختياره ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شيئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]. ويمكنك أن تعود إلى مشكلة "الفلسطيني.. يختار شريكة الحياة" على صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت"؛ ففيها إن شاء الله بعض الفائدة الإيمانية.

ثانيهما: العُجب والغرور، وهذا ما سأفصّل فيه أكثر؛ لأنه من أسهل الأبواب على الشيطان دخولا إلى قلب الإنسان الطائع؛ فالغرور هو بداية الطريق للسقوط، وهو سبب طرد إبليس من رحمة الله بعد أن كان يعبد الله مع الملائكة؛ إذ قال: "أنا خير منه" فلم يَعُد يستحق إلا اللعنة. فلعلك أعجبت بعملك؛ إذ إنك شاب طائع، ونسيت أن تعزو طاعاتك لله سبحانه، وهو الذي يسّرها لك، وهيّأ لك الجلَد والصبر عليها، فاغتررت بالنعمة، ونسيت شكر الله عليها، فسلبت منك، خاصة أن هؤلاء الأصدقاء الذين يمتدحونك إنما هم في الحقيقة يذبحونك، فلا خير في مدحهم ولا كدحهم، ويوم يأتي الموت يصحب المرءَ ثلاثةٌ إلى قبره، ولكن لا يدخل معه إلا واحد؛ فيعود الناس والمال، ولا يبقى سوى العمل الصالح الخالص لوجه الله عز وجل.

ويدخل كلامي هذا عن العُجب ضمن حكمة ابن عطاء الله

رحمه الله عندما قال: "من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل"، وهنا لا أجد شرحا أفضل لهذه الحكمة من الذي قدمه الدكتور البوطي في كتابه "شرح الحكم العطائية"، وسأقتطف لك بعضا مما ورد فيه، وأنصحك لترقق قلبك بالاطلاع والاستزادة أكثر على تتمة شرح هذه الحكمة، وعلى خطبه ومنها الكثير مما له علاقة بفلسطين، وذلك بالرجوع إلى موقعه على الإنترنت:

"ينبغي أن تعلم أنك تدخل الجنة بمحض التفضل منه سبحانه؛ فتؤدي ما قد كلفك به بشعور الحق المترتب عليك، حتى إذا فعلت ما أمرك الله به وأنجزته على النحو المطلوب، تسعى إلى كرم الله تعالى مجردا من أي استحقاق لذلك؛ فليس معك إلا الطمع برحمته وصفحه.

رأى بعض الصالحين في منامه رجلا من العلماء الربانيين بعد وفاته فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال: بم جئتني؟ فقلت: يا رب أنا عبد، والعبد لا يملك شيئاً يأتي به إلى سيده، جئتك بالطمع بعفوك والأمل في كرمك.

وهذا هو منطق العبودية الخالصة لله؛ أن تبرأ من حولك وقوتك إلى حول الله وقوته؛ فلا ترى لنفسك فضلا في أي عمل تقوم به. وهذا ما قرره النبي عليه الصلاة والسلام عندما قال: "لن يدخل – بضم الياء وكسر الخاء – أحدكم الجنة عمله"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بفضل منه ورحمة" [أخرجه البخاري]. إذن هناك أمران لا ينفك واقع عبودية الإنسان لله عنهما، أحدهما: أن عليه أن يسلك مسالك الهدى والالتزام بأوامر الله والابتعاد عن نواهيه. ثانيهما: أن يعلم أنه برحمة الله وعفوه لا بجهوده وأعماله ينال المثوبة والأجر. وهذا هو المعنى الجامع لقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ

وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: 82].

ابسط كفيك إلى السماء قائلا: يا ربّ إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك ماضٍ في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك برحمتك لا تعاملني بما أنا له أهل، بل عاملني بما أنت له أهل، إنك أنت القائل: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: 84]، وشاكلتك الرحمة فارحمني، شاكلتك المغفرة فاغفر لي) انتهى كلام الدكتور البوطي نفع الله بعلمه.

إذن فقسوة قلبك التي تعاني منها حلها الوحيد التضرع لله سبحانه وتعالى أن يكشفها عنك؛ فهو سبحانه المعطي والمانع، وهو الضار والنافع، وما كُسي عبد كسوة أليق به من خلعة العبودية؛ فكلما تذللت بين يدي خالقك رفعك عنده في مقامات المخلصين الطائعين.

ولا يكون هذا يا بني العزيز إلا بالخلوة صباح مساء في كنف رحمته سبحانه، بدون مراقبة من أحد كي لا يلحقك شيء من الرياء أو العجب، هذه الخلوة هي عونك لتطهير نفسك من آفاتها، وتخليصها من شوائبها؛ فتعود إلى الله سبحانه تشكو إليه قسوة قلبك وسوء حالك، وتتوب بين يديه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

تذكر في تلك الساعة ساعة سؤال الملكين لك في القبر، هل تكون ممن يثبت حينها؟ ولا يكون كذلك إلا من ثبتت حاله مع الله في الدنيا فيثبته الله عند فتنة القبر وغيرها.. ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27].

أو تخيل يوم القيامة.. ذلك اليوم الذي تخشع فيه القلوب والأبصار.. والشمس قد اقتربت من الخلق؛ فكل قد غطّاه العرق

بحسب ذنوبه؛ فمنهم من لا يقدر على التنفس.. بينما منهم من يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. اطلب منه سبحانه أن تكون من هؤلاء فأنت شاب، وفي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: "شاب نشأ في طاعة الله... ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" [رواه البخاري].

أو تفكر في لحظة الحساب، وتذكّر ذلك الرجل الصالح الذي رؤي في المنام، وعندما سئل عما فعل الله به، قال: عاتبني ربي سبحانه على أشياء، فتمزع لحم وجهي حياء منه! فتخيل تلك الساعة وما الذي سيتساقط منك حياء من الله بسبب معاصيك؟ وما الذي سيبقى منك؟

هل أذكرك بالصراط وكلاليبه؟ أم أذكرك بالميزان وكتاب أهل اليمين وأهل الشمال؟ رضي الله عن علي بن أبي طالب حينما قال: "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا"، وهكذا حالنا كلنا؛ فقد جرّتنا الدنيا إلى مستنقعاتها جرا، فنسينا أهوال القبر، وأهوال يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 2].

لا أجد نصيحة أفضل لقسوة قلبك من نصيحة رسول الله عليه الصلاة والسلام لمن شكا له فقال: يا رسول الله أجد قسوة في قلبي، فقال عليه الصلاة والسلام: "امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين"، ولمن سأله أن يكون رفيقه في الجنة فقال: "أعني على نفسك بكثرة السجود" [أخرجه مسلم]. وهل لك أن تقدّر هذه النعمة؟ نعمة السجود للرب العظيم؟ وكم هو محروم من يُحرم منها؟ فإياك إياك أن تترك الصلاة فهي صلتك بربك، ومن داوم قرع الباب بذلٍ وتضرع فلا بد أن يلج،

ولكن عليك بالصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والمثابرة والمرابطة.. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 200].. فكيف ينصرنا الله على عدونا إن لم ننتصر على أنفسنا؟ كيف لمن هو عبدٌ لشهوات نفسه أن يحرر وطنه؟

يا بني هل تعرف حديث الثلاثة الذين سدت عليهم صخرة مدخل الغار الذي التجئوا إليه، ماذا فعلوا؟ ألم يتضرعوا إلى الله بأعمالهم الصالحة فانفرجت الصخرة فخرجوا؟ ألا يمكن أن نعتبر ما يحصل في بلدك الغالي كهذه الصخرة التي تسد عليكم منافذ الحياة، وتسد علينا منافذ التنعّم بنعم لا تشاركوننا فيها؟

هل هناك من ثقل يجثم على صدورنا جميعاً كثقل شارون وجنوده المستكبرين المفسدين في الأرض؟ أليس علينا جميعاً أن نلجأ إلى الله متوسلين بأعمالنا الصالحة؟ فما هي الأعمال التي لدينا لنتوسل بها؟! وهل يكفي عملي أو عملك أم أننا نحتاج جميعاً أن نصلح ما بيننا وبين الله؟ وفي الأثر "ما نزل بلاء من السماء إلا بذنب ارتكبه أهل الأرض ولن يرفع إلا بتوبة".

مشكلة فلسطين الحبيبة لن تحلّ إلا بعودتنا جميعاً إلى الله مخبتين له منيبين إليه متقين. أوتعرف ما هي التقوى التي وردت في القرآن كما لم ترد كلمة أخرى؟ هي أن يراك الله حيث أمرك، ويفتقدك حيث نهاك. فكن كذلك، واطلب من أصدقائك ومن حولك أن يكونوا كذلك؛ فالنصر بيد الله يؤتيه من يشاء وهو العزيز الحكيم، وقد قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47]، وحاشاه سبحانه أن يخلف وعده. وقال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى

الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ [النساء: 141]. وهذه الآية تذكّرني بكلام لأحد علماء الجزائر على عهد الاحتلال الفرنسي؛ إذ استدعاه المسؤول الفرنسي؛ فقال له: هذه الآية تدل على أحد أمرين: إما أننا لسنا كافرين كما تقولون، أو أن قرآنكم غير صادق. فها أنت ترى أن لنا سبيلا عليكم؛ لأننا نحكمكم؟! فقال العالم الفقيه: قرآننا صادق وأنتم كافرون، ولكننا نحن لسنا بمؤمنين!

افتح صفحة جديدة في علاقتك مع الله، ولا عليك بمعاصيك السابقة، واقرأ هذا الحديث: "الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح" [رواه مسلم].

داوم على الذكر والاستغفار، وتذكّر أنه سبحانه هو القوي ونحن الضعفاء، هو العزيز ونحن الأذلاء، هو الكريم ونحن البخلاء، هو الغني ونحن الفقراء، هو المنعم المتفضل ونحن المقصرون الجاحدون، هو الشاكر ونحن الناكرون.. وعليك بالدعاء والتضرع وإظهار المذلة للحي القيوم الذي يراك حين تقوم، وتأمل في هذه الآية العظيمة جملة جملة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62]. فهل ما يطلبه ربنا سبحانه وتعالى منا كثير؟ إنه سبحانه لا يطلب منا إلا أن نكون عبيدا له وحده لا عبيدا لأهوائنا ولا عبيدا لغيرنا، وعندها سيجيب دعاءنا ويكشف السوء عنا ويجعلنا خلفاء الأرض..

فهل ندفع العبودية الخالصة لنقبض الحرية الدائمة؟

يمكنك مراجعة مشكلة مشابهة كثيراً لمشكلتك على صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع "إسلام أون لاين.نت" هي: "كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون". وأرجو أن تبقى على اتصال بنا فالمؤمن بالمؤمن يقوى، وطمئنا عن أحوالك مع الله، وكذلك عن أخبار أهلنا في فلسطين، وهذا رجاء خاص مني بعد أن تقطعت بي السبل بيني وبين ابني الأسير، فرّج الله عنه وعن كل مكروب، والسلام عليكم.

حتى لا تضيع فلسطين مرتين

أعتذر إذا لم يكن هذا هو المكان المناسب لمثل هذا السؤال، ولكن الموضوع يؤرقني ليل نهار منذ مدة.

أنا فلسطينية، ولدت وعشت حياتي كلها بعيدا عن الوطن، تزوجت وأنجبت أبنائي في الغربة، باختصار شديد: "كيف نورث قضية فلسطين والأقصى لأبنائنا؟".

كلنا يعلم أن مناهج الدراسة في الوطن العربي الممتد ليست إلا مناهج عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا تتعرض للقضية بأي حال إلا لماما؛ لذلك فإن هذه المسؤولية تقع على عاتقنا نحن الآباء والأمهات.

لي من الأطفال ثلاثة أحاول أن أشرح لهم ما يجري أمامهم، ولكنني أشعر أن الأمر يتطلب أكثر من هذا، كيف أستطيع أن أزرع في نفوسهم حب الجهاد في سبيل الله بدل الخوف مما يرون من قتل اليهود لنا؟ كيف أوضح لهم أن القضية إسلامية، وليست فلسطينية فقط؟ كيف أغرس في نفوسهم حب الأقصى وفلسطين ونحن في هذه الغربة القاتلة التي ما زلت أستشعر مرارتها في حلقي رغم كل تلك السنين؟ أريدهم أن يشعروا بالغربة وأن يتذوقوا طعم المرارة حتى لا ينسوا؛ فإن المرء إذا عاش رغدا لم يتذكر أحدا!

هل بإمكانكم أن ترشدوني إلى بعض الكتب أو المواقع على الإنترنت التي تعينني على هذا الأمر، وبشكل بسيط بحيث أصل إلى عقولهم الصغيرة وقلوبهم المتفتحة؟

أقترح أن تقوم "إسلام أون لاين.نت" بإنشاء صفحة خاصة بعنوان: "كيف نورث القضية لأبنائنا؟"، لقد قرأت مقال الأخت "د. سامية حسينات – فرنسا" عن هذا الموضوع، ولكن الأمر يحتاج إلى عمل مكثف؛ حتى لا تضيع فلسطين مرتين: مرة عند احتلالها، ومرة من قلوب أبنائها، جزاكم الله كل خير.

غ – فلسطين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

أختي الكريمة، هذه الصفحة أخذت على عاتقها أن تفتح صدرها، وتشغل عقلها وضمير الفريق القائم عليها بمشكلات الشباب، فهل يعني هذا أننا بعيدون عن هموم الأمة في مجموعها؟

على هذه الصفحة ناقشنا مشكلات الشباب من غرفة النوم إلى التأخر الدراسي بسبب الاندراج في الانتفاضة، ومن العلاقة بين الجنسين إلى الحياة في ظل أنظمة سياسية مستبدة، وإذا كنا لا نتوقف، ولم نتردد في الإجابة على كل ما يدور في حياتنا ورؤوس شبابنا من مشكلات.. فكيف لا ننشغل بفلسطين، وهي محور الصراع الوجودي لنا جميعاً بحيث نكون أو لا نكون؟!

ليست فلسطين يا أختي مجرد قطعة أرض نعيش فيها، أو خارجها – حسب الظروف – ولكنها قضية تعيش فينا، ونعيش بها ولها، ونعيشها حيثما كنا إن أردنا أن نكون أوفياء لما ننتمي إليه، ولما نحن عليه.

أختي، ما يقال كثير، لكنني سأقتصر على ما تتساءلين بشأنه،

وأقول لك: إن الذاكرة هي خط الدفاع الأول، والذاكرة بصرية وسمعية وشعورية، ولقد فقدنا القدرة تدريجيا على "الحكي" أي قص الحكايات، وهو أسلوب بسيط للغاية في بناء خيال خصب، وذاكرة حية، وكانت الجدات والأمهات في السابق يتوارثن الحكايات عن الوطن وعن الظلم، وعن الإيمان وعن الكفر في صورة حيوانات طيبة، وأخرى شريرة، أو غير ذلك من الوسائط التي تحمل القيم والمعاني المطلوب التوجيه إليها.

ورغم وجود تقنيات الفيديو والكمبيوتر فما زال الأطفال يحبون "الحكي"، ولكن الأمهات فقدن هذه المهارة، وينبغي عليهن أن يستعدنها.

أختي، امرأة في الثلاثينيات من عمرها - في مثل سنك تقريباً - تقلب العالم اليوم بحكاياتها الخيالية التي تحقق أعلى نسبة مبيعات في كل أقطار الدنيا، وتترجم أعمالها اليوم إلى كل اللغات، وقريبا تسمعين عنها - إن لم تكوني قد سمعت عنها بالفعل - وهي كاتبة قصص "هاري بوتر"، بدأت هذه المرأة الهاوية - التي لم يكن لها سابقة تأليف أو كتابة - تتسلى بالسرد والتأليف من خيالها، ومن مخزون ثقافتها العادية، فأخرجت شخصية "هاري بوتر"، وبدأت تنسج حوله وبه القصص فملأت الدنيا، وشغلت الناس.

وأقول لنفسي: هل عقمت عقولنا يا رب أن يخرج منا - نساء ورجالا - من يحكي لنا، وينسج من الخيال والثقافة قصصا عن فلسطين وغيرها مما يزرع في نفوسنا ونفوس أبنائنا حب الحياة الكريمة الشريفة، وحب الموت الكريم الشريف، وتكون رسالة أدبية إبداعية للعالم كله تؤكد أن فلسطين هي قضية الإنسانية كلها، وهي تبحث عن الخير والحق والعدل لتنحاز إليه ضد الباطل والظلم والفساد في الأرض، وأن فلسطين هي أرض الأنبياء، والقدس هي

مدينة كل المؤمنين بالله، والاعتداء عليها، وتغيير معالمها هو انتهاك لاعتقاد ومقدسات كل المؤمنين بما ينبغي أن يتكاتفوا سويا لإيقافه؟!!

ليست قضية فلسطين - إذن - قضية شعب فقط، أو قضية إسلامية فحسب، ولكنها أوسع من هذا بكثير، ونحن نريد أن نناضل ونجاهد، ونعلم أبناءنا - والدنيا كلها - أين الحق والعدل، وأين الباطل والظلم.

ووسائلنا في ذلك كثيرة، من الحكاية البسيطة، إلى الصورة المعبرة، والأنشودة، والمسرحية، وشريط السينما، وقرص الكمبيوتر، وقصيدة الشعر، ولوحة الرسم، وحتى الأكلات والأزياء والأذواق الحياتية في العيش بأحواله كلها تبني الذاكرة، وكلها تبني الإنسان.

آخر حلقات المعركة فقط هو ما يدور في الميدان، أما النفوس والذاكرة، والفنون، والثقافة فهي ميادين نضال كل الناس في كل مكان، ولسنا أقل من أهل جنوب إفريقيا التي ناضل شعبها الأعزل ضد التمييز العنصري، والقبضة الحديدية للأقلية البيضاء طوال عقود من الزمن حتى انتصروا في النهاية.

ليس معقولا ولا متصورا أن كل الناس قادرون على حمل السلاح، ولكن كل الناس في كل مكان يستطيعون الجهاد بوسائل شتى، وأنا أفتح الباب للاقتراحات بشأن أسلحة الناس للذاكرة والوعي، واستمرار النضال حتى النصر أو الشهادة.

هذا إلى جانب أننا بصدد افتتاح باب جديد بداخل ملف الانتفاضة باسم "تربويات الانتفاضة" يجيب عن مثل هذه التساؤلات إن شاء الله، وجزاك الله خيرا.

القبة والأقصى.. كلاهما في القلب

بسم الله الرحمن الرحيم، إخوتي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جزاكم الله عنا خير جزاء وأعانكم على تذكيرنا وزيادة الوعي عند المسلمين في جميع الأمور.

إخوتي، لعل ما أطرحه في هذه المشكلة ليست مشكلة عائلية أو زوجية أو حتى شبابية.. فما أراه الآن إخوتي - خاصة مع الأوضاع التي تصيب بلدنا العزيز الغالي بلد الأنبياء فلسطين - شيء يدمي القلوب، وتتفطر له الأبدان، مع هذا كله عندما أشاهد صورة قبة الصخرة فألمي يزداد ويزداد أكثر، وهذا يا إخوتي لأن الكثير بل الأغلب من العرب والمسلمين، بل لعل العالم بأسره يظن أن قبة الصخرة هي المسجد الأقصى، وما نراه من جمال مظهر الصخرة الخارجي على عكس ما نراه من المسجد الأقصى الذي يحظى بقليل من الصور، أو لعلها معدومة، ويمرون عليها بالتصوير الحي في التلفاز فهو نفس الحال.

إخوتي لعلها ليست مشكلة فعلية في أعين الناس، والخطر يحوم حول القبة والأقصى، ولكن لو أمعنا النظر في حال الأقصى لزاد اعتناؤنا به، فكل من يهتم بالمعمار يوجه المال للقبة وليس للأقصى، ويتركون الأقصى بحالة رثة.

فليتكم إخوتي أنتم كذلك توجهون المسلمين والعرب كافة للنظر إلى الأقصى وليس القبة فقط، ففي كل محفل، وكل ملصق تصدره المكاتب والشركات والجامعات تكون صورة القبة فقط، وفي رأيي -

وقد أكون صادقة في ذلك - فهو توجه صهيوني للفت انتباه الناس والمجتمع بأكمله عن المسجد الأقصى؛ لأنه في المستقبل لن يكون أقصى بل هيكلا - هذا رأي الصهاينة - هذه كلمة أوجهها إلى المسلمين كافة بأن يجعلوا للأقصى نصيبا من صورهم.. وأعاننا الله تعالى على نشر الخير وقول الحق أينما كنا، ورزقنا الشهادة في سبيله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

م - الأردن

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخت الكريمة، أعتقد أن ما تثيرينه هنا قد بدأ يلفت أنظار الناس، وقد قرأت أكثر من موضوع حول هذه المسألة، كما وصلتني صور ومواد على البريد الإلكتروني بنفس المعنى، وأرجو أن نتفاعل مع هذا التنبيه ليس على مستوى القبة والأقصى فقط، ولكن على مستوى تاريخ فلسطين، وواقعها كله.

إن المعركة - في جانب منها - هي معركة وعي ومعرفة، خيال جماعي وذاكرة، والذي لا يعرف أرضه، ولا يدافع عنها لا يستحقها. شكراً على تنبيهك، والله معنا.

بعض أسلحة العصر أشد فتكاً من البندقية

ما رأي الشرع في صمت المسلمين عما يحدث في فلسطين؟ وهل نحن مسؤولون يوم القيامة عن صمتنا؟ مع العلم أننا لدينا الرغبة في الذهاب، لكن المشكلة تكمن في الحدود؟!

ف – البحرين

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ الكريم، هذه الصفحة – كما قلت قبلا – مدينة للبعض بما يطرحونه من موضوعات وأسئلة، وأضيف اليوم أننا مدينون للبعض بتوقيت ما يطرحونه.

في الآونة الأخيرة تكاثرت علينا المشكلات العاطفية حتى كدنا نتحول من "مشاكل وحلول" إلى ما يمكن تسميته "مستشارك العاطفي" أو الغرامي مثلا!!

ولما كنا نجيب على ما يصلنا من أسئلة بترتيب وصولها، وكما هي دون أن نفتعل إضافة أسئلة من عند أنفسنا، فقد قمنا بالرد على أسئلة الحب بشكل واف كما عودناكم. ويسرنا اليوم أن يفتح أحد بابا آخر للسؤال، ولو كان يبدو أنه يسأل على فتوى، ولكن للأمر جوانبه الاجتماعية والنفسية بما لا يخفى على لبيب.

أخي الكريم، التعميم مضلل غالبا، وقولك إن المسلمين صامتون عما يحدث في فلسطين يحتاج إلى مراجعة، فمع بداية الانتفاضة

تظاهرت الشعوب العربية والإسلامية من موريتانيا إلى جاكرتا، وسارت عندكم في المغرب مظاهرة ضمت رئيس الوزراء، وبعض المسؤولين، ومثل ذلك حدث في بلدان عدة. والتظاهر شكل من أشكال التعبير عن الغضب، وتجري الآن في مصر وغيرها برامج كثيرة لمقاطعة السلع الإسرائيلية والمحال والمؤسسات الأمريكية، ويجري في هذا الشأن جهد مبارك نرجو له أن يتضاعف ويستمر؛ لأن المقاطعة من وسائل التعبير والضغط.

وإذا كانت قد جرت وقائع الانتفاضة - وما زالت على أرض الإسراء - فإن انتفاضة موازية تجري وقائعها على شبكة الإنترنت، وهذه الانتفاضة مستمرة ومتصاعدة، وفيها كل يوم الجديد من المقترحات والمعلومات.

وصحيح أن جهد مناصرة الانتفاضة على صعيد المقاطعة وغيرها من الأساليب بما في ذلك الإنترنت ما زال يحتاج إلى المزيد من التطوير، ويفتقر إلى إدارة تنمية وتفعيل وتنسيق حتى يتسع مداه، ويبلغ أهدافه، إلا أن الجهد الحالي لا يمكن تجاهله، ويبقى إمكانية قابلة للتطوير والتفعيل والتوسيع؛ لأن مناصرة إخواننا في فلسطين يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة منها الدعم العسكري والجهادي الذي تقول إنه غير متاح، وهناك أشكال أخرى لا يمكن حصرها للمشاركة في هذا الجهاد المبارك.

وحصر الأمر ليكون الاختيار بين حدين: إما الصمت والاستسلام أو الجهاد المسلح، هو تبسيط وتعجيز، مع العلم أن من يريد شيئاً يفعله، ولا توجد في العالم حدود تقف أمام من يدير أموره بحكمة وتخطيط. ويبقى أن خيار الذهاب للجهاد غير متيسر للأغلبية

بحكم طبيعته وظروفه، ولكنه متاح لمن يصر عليه، ويديره.

السؤال هو: ما الذي يضيفه الراغب في الذهاب للجهاد هناك؟! هل اشتكى إخواننا هناك من عجز بشري؟!! هل لديك مهارة أو علم ينقصهم بدونك؟!!

أنا أقول هذا الكلام لأن المشهد أحياناً يبدو عبثيا حين نجلس أو نتحرك مطالبين بالجهاد، ونحن نعرف أن فتح الحدود للكافة أمر مستبعد، فنكتفي بعد ذلك بالشجب، ونقول: عندنا الرغبة، ولكن الحدود!!!

لو أننا نظرنا في تجارب التحرر والنضال في سبيل القضايا الوطنية والدينية لوجدنا آلاف الأساليب والبرامج، والخبرات الإنسانية، وكثير منها يصلح للتطبيق في حالتنا، ولكن كسلنا العقلي، وإصرارنا على أنماط محددة في الفعل، وقوالب جامدة في التفكير والتعبير يجعلنا مقيدين أسرى لأوهام تعشش في رؤوسنا عن العالم، وعن أنفسنا، وعن أعدائنا.

لا عذر لقاعد يا أخي، كل على حسب موقعه، وكفاءته، وما يستطيع أن يقدمه. وتجول بنظرك فيما حولك، وطالع التاريخ والواقع لترى أن الأسلحة اليوم متنوعة ومتاحة، وبعضها أشد فتكا بكثير من البندقية.

دعمنا للانتفاضة..

مكامن من الخلل وإبداع التطوير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذه الأيام يعاني الشعب الفلسطيني من أزمة الاحتلال الصهيوني؛ فما رأيكم في دور الأمة العربية تجاه القدس، مسرى النبي (صلى الله عليه وسلم) الذي يئن منذ زمن طويل تحت وطأة الاحتلال الصهيوني.

أحمد - السعودية

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

الأخ الفاضل، شكراً على اهتمامك بالسؤال عن فلسطين وقضيتها، والحق أن الأمة العربية والإسلامية حين تتبنى قضية القدس، وتهتم بما ينبغي أن تهتم به في تفاصيل حياتها، حين تفعل ذلك فإنها في الحقيقة تخدم نفسها.

يا أخي، لا بد للإنسان الطبيعي من قضية تشغل حياته، وهذه القضية بقدر ما تكون جليلة، وبقدر ما تكون متشابكة ومهمة بقدر ما يكون شعوره بالتحقق والثقة في نفسه حين يرى الناس متكالبين على السفاسف والترهات، وهو منشغل بالمعالي.

خذ عندك مثلا، مناصرة أهلنا في فلسطين معنويا وماديا. لو أن كل شاب وفتاة من أصدقاء وزوار صفحة "مشاكل وحلول للشباب"

قاموا بالاتصال بأهل الشهداء والجرحى داخل الأراضي المحتلة، وتبادلوا الرسائل بالبريد الإلكتروني مع بعض الشباب والأسر هناك، فإن ذلك سيدعم نفوسهم، ويمدهم بقوة وطاقة لا حدود لها لمعرفتهم "المباشرة" أننا معهم، وأنهم في قلوبنا.

ولو أننا أعددنا مجموعة من الصور والمعلومات المتوافرة على شبكة الإنترنت، وجهزناها على هيئة رسائل نرسلها بالبريد الإلكتروني إلى آلاف الشباب حول العالم؛ لنقول لهم: وأنتم تحتفلون بعيد الميلاد.. تذكروا أعيادنا!!

وإذا تابعنا معركة المقاطعة الدائرة حاليا، ونقلناها إلى حيث تعيش جاليات إسلامية ضخمة في الخارج، وإذا اعتبر كل منا نفسه جهازا إعلاميا ينطق بلسان الانتفاضة، وحق أهلنا في أرضهم، وكف أيدي الغاصبين الظالمين عنهم، وإذا عشنا حالة الاستعداد المستمر للمواجهة، وتحولنا إلى أجيال مجاهدة تنفر من الدعة والترف والحياة الناعمة إلى حياة "أمة في خطر" وينبغي عليها أن تتوحد، وتتنشط في مواجهة أعدائها.

إذا انشغل كل منا بتفاصيل قضية فلسطين: معرفة بتاريخها، وتوعية للآخرين بها، ودعما لأهلها ماديا وروحيا، وإذا اعتبر كل منا نفسه مسؤولا مسؤولية شخصية عن الأمر، وتعاون مع الآخرين فيما يستطيعه لمحاصرة العدو، وزلزلة الأرض من تحتهم، وقام بمقتضيات هذا الجهاد في نفسه وأصدقائه وإخوانه والمجتمع من حوله.. من يفعل هذا فقد فاز، وأفاد نفسه قبل أن يفيد غيره.

دعك من الكلام الكبير من قبيل "دور الأمة تجاه القضية"، وتعالوا جميعاً نفكر، ونبدع، ونجتهد، ونتحاور: كيف نخدم أنفسنا

بشكر نعمة الله علينا، والمتمثلة في هذه الانتفاضة المباركة التي تكاد تخبو أو تخيب بسبب ضعف قوتنا، وقلة حيلتنا وفقر تفكيرنا وإبداعنا وهواننا على الناس؟!!

المسألة تحتاج إلى حوار مفتوح، وإبداع حقيقي، والوسائل كثيرة، وشبكة الإنترنت ميدان مهم من ميادين المعركة، ووسيلة من وسائلها وفي انتظار ردودكم.

الدعم ثم الدعم ثم الدعم.. ثم الاستشهاد

المشكلة الأولى:

مشكلتي هي أنني فتاة تتمنى الجهاد والاستشهاد في سبيل الله؛ حيث إنني أرغب في الخروج إلى فلسطين الحبيبة والجهاد فيها ضد الصهاينة الطغاة حتى أستشهد، ولكن وللأسف يرفضون ذلك خوفا علي، وبالإضافة إلى ذلك فأنا لا أعرف كيف أستطيع الدخول إلى فلسطين وحدي.

أرجو منكم أن تساعدوني؛ فالاستشهاد في سبيل الله أصبح هاجسي الوحيد الذي أسعى إليه وأشعر بالحرقة والذنب الشديد كلما أرى أو أسمع أحوال فلسطين، وكلما رأيت شهيدا تمنيت أن أكون مكانه.

س – الإمارات

المشكلة الثانية:

السلام عليكم ورحمة الله، أنا شاب في السابعة عشرة من عمري، فلسطيني، أقيم في الخارج وهنا تكمن مشكلتي؛ أعاني كثيراً عندما أرى شعبي يقتل، وأتألم كثيراً على أقاربي هناك، وكنت أعول على أن أذهب في الإجازة هناك، ولكن أحلامي حطمت لما رفض الصهاينة إدخالنا وإعطاءنا تصريحا بالدخول.

أريد أن أشارك في القتال، أريد أن أستشهد، أريد أن أموت على الأرض التي عشقتها. تنتابني أحياناً أفكار مجنونة تقول لي: اخرج

إلى الشارع واقتل أقرب غربي تراه، ولتذهب الدنيا إلى الجحيم، ثم أتراجع وأقول لا داعي لهذا، ثم أسمع وأشاهد على الشاشة فظائع اليهود فأشتعل وأغضب حتى الجنون، وأعود أخطط للانتقام.

وقبل أسابيع تعرضت عمتي لإطلاق نار في بيتها في فلسطين كادت تستشهد فيه؛ فجن جنوني، والآن أخطط لأفعل شيئاً جنونيا لا أريده، وقلبي ما عاد فيه إلا الغضب والحقد.

وزاد من ألمي أن أصدقائي في فلسطين يظنون أني لا أريد الذهاب إلى هناك جبنا وخوفا، وأنا أحب وطني أكثر منهم.. أعيش جحيما ونارا، ويزيده ما أرى من العرب والمسلمين الذين باتوا يتحدثون عن دولة الصهاينة كدولة حقيقة ولا تحتل إلا الضفة وغزة، لا تنسوا باقي فلسطين..

لقد علمني أبي حب الوطن وخدمته.. لكن لم يعلمني ماذا أفعل الآن؟ هل أبقى أشاهد التلفاز حتى أموت غيظا؟ أم أجن وأموت من جنوني؟

ر – فلسطين

الحل

المستشار: د. عمرو أبو خليل

لماذا نتصور أن فلسطين لا تحتاج منا إلا الموت؟!.. نعم إن الشهادة هي أعظم سلاح يوجه اليوم إلى صدور اليهود لتحرير الأرض.. ولكن أهل فلسطين الموجودين بالداخل لم يقصروا في ذلك، وموكب الشهداء ممتد وطويل ولم ينقطع عنه المدد منذ شهور في صورته الأخيرة، ولم تنقطع مواكب الشهداء عبر السنين منذ احتلت فلسطين.

لذا، فإن الفلسطينيين وغيرهم من المسلمين خارج الأرض ليس مطلوبا منهم مشاهدة التلفاز حتى يموتوا بغيظهم؛ لأنه إذا كان الشهداء هم وقود المعركة التي يجعلها مشتعلة ومستمرة حتى لا ننساها.. فإن تحول هذه الدماء الزكية إلى وقائع وحقائق تنقل للعالم تشرح القضية وتوضحها، تطارد اليهود وتلفهم، وإن دعم المعركة معنويا وماديا وبكل السبل هي وسائل جهاد كل من هو خارج الأرض المحتلة.

إن الإنترنت.. إن وسائل الإعلام.. إن معرفة الناس بالحقائق، إن جمع التبرعات والمال.. إن كل ذلك درجات وأنواع من الجهاد.

لقد أرسل إلينا فلسطيني من أميركا يشكو إلينا نفس شكواك، فرددنا عليه الردود نفسها بما لو اطلعت على ردنا عليه لوجدت أن هناك أمورا كثيرة ربما تكون أفضل من العودة إلى أرض فلسطين، أو أفضل من قتل غربي يمشي في الشارع؛ فهذه معارك صغيرة بالعكس قد تشوه صورتنا، وقد تضر قضيتنا أكثر مما تنفعها.

الحماس جميل، ولكن بشرط أن يتحول إلى عمل منظم ومثمر ومنتج، وما أكثر المجالات التي تحتاجها قضية فلسطين، فيشعل الحماس قلوبنا، ولكن من أجل أن تعمل عقولنا في الاتجاه الصحيح لا أن تصاب بالخبل أو الهذيان.

وأخيراً، فإنني أطلب منك ومن أمثالك من المخلصين أن تجلس مع نفسك جلسة بعد أن تصلي ركعتين لله ليفتح عليك وتفكر في برنامج عملي لدعم إخوانك في فلسطين ماديا ومعنويا، وأريد أن أقول لك بأنك لن تكون أول من يفعل ذلك؛ فأنا التقيت في فلسطين العام الماضي بفتاة فلسطينية تعد مشروعا ضخما لدعم الفلسطينيين

عبر الإنترنت؛ لذلك أدعوك أن تبحث عن دور وبرنامج وتقوم به مثلها.

ونرجو منك أن تقرأ المشكلات التالية التي وردت بهذا الكتاب:

- لفحات يوليو.. صمت الحملان أم صيف الشجعان؟

- لفحات يوليو.. صمت الحملات (مشاركة)

- حتى لا تضيع فلسطين مرتين

فلسطين..
كي نبقى أوفياء بعد الغضب والغناء؟

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، مشكلتي أعتقد أنها مشكلة العديد منا؛ فأنا أريد أن أجد لي حلا يجعلني دائما في حالة ثورة وحماس تساعدني على العمل.. ولمزيد من الشرح: مثلا ما يجري حاليا في الأرض المقدسة التي تنسكب الدماء عليها كأنه غيث لا ينقطع يجعل كل من لديه النخوة الإنسانية يشعر بالضجر والثورة والإرادة لإنقاذ الموقف بأي صورة من الصور.

وحيث إنني على علم بأن السبيل الوحيد للمساعدة الآن هو إصلاح النفس والعمل على وجود أفراد يستحقون حمل كلمة "مسلم" - نسأل الله أن يجعلنا منهم - لكن ما لاحظته أنه عندما تندلع الأوضاع هكذا يملؤني الحماس للعمل ومحاولة إتقان كل شيء. ولكن عندما تهدأ الأمور أجد أن "ربما تعود لعادتها القديمة" وينطفئ الحماس والمثابرة رغم أن شيئاً لم يحدث وحال الأمة لم ينصلح!! فما هو الحل لجعل العروق تنبض دائما بإحساس الغضب؟ أعلم أن الصحبة يقع عليها عامل كبير ومؤثر، ولكن ماذا عندما يتسلل هذا الشعور إلى جميع الأفراد؟ وهذا ما لاحظته في أخواتي في درسي الأسبوعي، وجدت أننا جميعاً نحمل إحساس الغضب نفسه، خاصة أننا لا نرى الناتج - على الأغلب - لما نحاول فعله.. فما هو الحل؟

عالية - مصر

الحل

المستشار: د. أحمد عبد الله

نعم يا أختي اشتعلنا، وما زلنا نشتعل غضبا، وصدحنا وما زلنا نصدح غناء من أجل ما يحدث لأهلنا في فلسطين.. فماذا بعد الغضب والغناء؟ وكيف نبقى على العهد لهذه القضية أوفياء؟

أولاً: ينبغي أن نحتفي بالروح العالية التي سرت وبخاصة في أوساط الشباب؛ فهذه الروح دليل حي ومتجدد على أننا لم نمت بعد. ورغم أن الحماس لا يكفي كما تعرفين، والغضب وحده لا ينصر قضية ولا ينقذ شعبا؛ فإن الاحتفال بالميلاد يكون مناسبة للمراجعة الدائمة، والترشيد المتواصل.

ومن طبائع الأشياء أن الكائنات التي لا تكبر وتنمو وتتطور فإنها تموت أو تتآكل تدريجيا، وهكذا فإن روح الحياة إما أن تتدفق وتتصاعد وتنتشر، أو تخبو وتخمد، والاستمرار أحياناً يكون أصعب من البدء.

ثانياً: من التدابير التي تعين على المواصلة أن تتحول مشاعرنا من مساحة رد الفعل المؤقت الذي يتصاعد مع اشتداد العسف والتقليل إلى مساحة البرامج المستمرة المنتظمة، ولا يحدث هذا إلا إذا أصبحت فلسطين بالنسبة لكل واحد أو واحدة فينا مسألة حياة أو موت، وكل منا بل وكل إنسان سوي يحتاج إلى قضية يعيش من أجلها. وقلت قبل ذلك مرارا: إن الموت من أجل قضية قد لا يحتاج إلى أكثر من مجرد فورة حماس أو لحظة غضب، ولكن الحياة من أجل نفس القضية يحتاج إلى أكثر من هذا بكثير، وهذا هو ما نحتاجه فعلا.

وأنا أسأل:

هل نحن مستعدون لتغيير حياتنا، وأنظمة عيشنا، وتفكيرنا وحركتنا

طبقا لما تحتاجه منا القضية؟

هل نحن قادرون على استثمار كل دقيقة وقت، وكل طاقة جهد، وكل زفرة مشاعر، وكل إبداع عقل، وكل خطة مستقبل على المستوى الفردي قبل الجماعي من أجل خدمة هذه القضية؟

هل نحن منفتحون لاكتساب المهارات، واستخدام الوسائل وتنفيذ كل ما تحتاجه المواجهة الممتدة العميقة بيننا وبين الصهاينة؟

هذه بعض أسئلة المرحلة، وبدون الإجابة عليها بـــ "نعم" فعلا لا قولا سنبقى بعيدين عن النصر رغم أننا قد نتحدث عنه، أو نرى وميض بعض إشاراته تلوح مثل الشهب اللامعة في ظلمة سماء حالكة تبرق ثم تهوي وتنطفئ.

ثالثاً: أعرض لك بعض الاتجاهات والنماذج والأمثلة لتطوير البدايات التي رأيناها في ربيع فلسطين؛ لعلنا نستطيع تطويرها هي وغيرها لتكون واحتنا في الصيف ودفء حياتنا في برد الشتاء:

- تطوير المقاطعة: من أهم الإبداعات التي انتشرت وتستمر حتى الآن بنجاح معقول.. فكرة المقاطعة، وهذه النبتة المباركة تنمو وتزدهر، ولكنها مثل أي زرع إن لم يجد من يرويه ويذود عن حياضه الحشائش الطفيلية الضارة، ويكفل له أسباب الثبات في الأراضي والارتفاع إلى عنان السماء؛ فإن هذه النبتة ستكون مهددة بأخطار كثيرة.

نحتاج من أجل تلافيها إلى خطوات تدقيق وتحقيق يوفر المعلومات الصحيحة عن المنتجات والجهات الأولى بالمقاطعة والنتائج التي تحققت بالفعل، وقد يقترح التركيز على جهات أو منتجات بعينها لما تحمله من قيمة رمزية أو ثقافية أو انحياز عملي صارخ للعدو.

وفي هذه المساحة لا يليق ولا ينجح أن نترك المسألة للأقوال

المرسلة أو اجتهادات الأفراد المتحمسين دون معلومات.

الشائعات والمعلومات الخاطئة تصيب هذه الحملة في مقتل، وتؤدي إلى تبديد كل نجاح حققته، وأي عمل حسن النية يتم بدون دراسة ومعرفة للحقائق الصحيحة ما يلبث أن ينقلب إلى عبث، يبتعد عنه العقلاء بعد حين.

ولقد رأيت نماذج قليلة، ولكنها تستحق الإشادة في مسألة تدقيق المعلومات، ومطلوب بشدة أن يكون هذا هو نهجنا المستمر بتعميق البحث والاستقصاء وعدم نقل معلومة إلا بمعرفة مصدرها.

ولا ينفصل عن هذا أن فكرة المقاطعة تحتاج إلى تطوير في فلسفتها ونطاقها وامتداداتها، ولن يكون هذا إلا بحوار يتجاوز البديهيات التي ما زال الحوار يجري حولها حتى الآن من قبيل:

هل المقاطعة حق للناس أم دور للدولة؟

هل كل مقاطعة هي بالضرورة مفيدة أم ضارة؟.. إلخ.

ولكن نحتاج إلى طرح أسئلة من قبيل: لماذا نقاطع؟ وكيف؟

البعض مثلا يتجاوز فكرة مقاطعة المنتج؛ لأنه أمريكي إلى مقاطعة كل ما هو استهلاكي يزيد عن الضرورة الأساسية للحياة مهما كانت جنسية هذا المنتج الاستهلاكي، ويتحدث هذا البعض عن تغيير نمط الحياة ليكون أكثر جدية وأقل مادية، وأن ذلك ينبغي أن يكون الهدف الأول للمقاطعة. وهذا المفهوم من شأنه أن يدخل بعض التعديلات على أجندة حركة المقاطعة ومقاصدها.

وآخرون يرونه لازما أن نربط بين مقاطعة الأجنبي، وتشجيع المنتج الوطني والعربي والإسلامي.

ويمتد آخرون بفكرة التشجيع لتصل إلى التطوير والتحسين؛

حيث يشارك المستهلك في المراقبة على جودة السلعة والسعي لدى كل المعنيين بتجويدها، والتعاون معهم في أهدافهم، ثم المساهمة في الترويج لهذا المنتج محليا وإقليميا ودوليا؛ ليصبح لدينا اقتصاد قومي بحجم يفرض على الآخرين وضعه في الحسبان.

والمقاطعة في حقيقتها تدخل بنا إلى تخوم عالم الاقتصاد ومفاهيمه والتنمية وبرامجها، ولا يمكن أن تنجح حركة المقاطعة دون إلمام معقول بتضاريس هذا العالم والمشاركة في إعادة صياغته على بصيرة من معلومة صحيحة، وفكرة صائبة سليمة، وإبداع في استثمار الروح المبادرة العظيمة في الاتجاه الصحيح.

وكم عانينا من انحراف المشاعر النبيلة والنوايا الحسنة لتكون مدخلا إلى كوارث جسيمة، أو على الأقل أوهام كبيرة بعد حين.

وينقلني هذا إلى إشارة بسيطة وسريعة إلى غياب تواصل الأجيال والأطر؛ فيمكنك أن تشاهدي بوضوح جماهير عريضة من الطلاب والطالبات ليس لديهم أدنى فكرة عن كيف يكون التظاهر السليم مؤثرا.. ولا كيف يمكن صياغة مطالب.. أو حتى هتافات ذات معنى وجرس يتناقله الناس ويتبنونه.

ويمكنك أن تشاهدي أحزابا وجماعات ولجانا وفعاليات قد تكرر الجهد وقد تتضارب في عملها بحثا عن مجد شخصي أو مكسب محدود لصالح الجهة، ولو على حساب وعي الناس، ولو على حساب حقيقة الأمور، ولو على حساب القضية نفسها.

والشباب يقف بين هذا وذاك لا يعرف الغث من السمين ولا الادعاءات من الحقائق، وتتشابه عليه اللافتات والوجوه؛ فليست لديه خبرة سابقة يميز بها الخبيث من الطيب.

والكبار في أطرهم الضيقة يتحركون أو في أبراجهم العاجية يتكلمون.

وكل هذا وذاك يحتاج إلى مصارحة ومراجعة وتسديد حتى لا يشعر الشباب في لحظة بطول الطريق، وأخطر من ذلك أن يحس بالغموض أو عدم الجدوى وانعدام الفائدة.

ودون التقليل من مسؤولية الكبار أرى أن الشباب يحتاج إلى وقفة تسديد وتعميق لوعيه بتضاريس أرض المواجهة، وهنا لا تكفي الحماسة أبدا في فهم حقائق الأشياء والأشخاص وحساب المواقف والمكاسب والخسائر.

- الدبلوماسية الشعبية: الاكتشاف المتأخر أفضل بالطبع من استمرار التجاهل أو الجهل، وفي غضون الأحداث الأخيرة تجمعت لدينا مجموعة من الاكتشافات التي بدت للبعض جديدة ولافتة، رغم أنها حقائق ثابتة منذ عقود، ولكن ألم أقل لك إن الحماسة أحياناً تعمي العيون وتصم الآذان؛ فلا يرى الإنسان ولا يسمع غير صورته الداخلية وصوته هو فقط حين يحدث نفسه؟!

اكتشفنا أخيراً - مثلا - أننا في الحقيقة إنما نخاطب أنفسنا بالإعلام الموجه إلى الداخل ورسائل الإنترنت المتبادلة بين مجموعات الأصدقاء والقوائم المطولة من المعارف والأقارب والزملاء العرب؛ فبدا المشهد مضحكا من شدة تناقضه وخبله.

فما قيمة أن أرسل صورا تكشف عن الجريمة البشعة التي جرت في جنين مثلا إلى صديق أو عدة أصدقاء هم أصلا غارقون في طوفان الصور الدامية، والمعلومات الصادمة عن مذبحة جنين وغيرها؟!

المهم.. بدأ البعض يستيقظ، ويقول: إن علينا الصراخ أو الحوار

في الاتجاه الصحيح وفي المساحة الفارغة إلا من أكاذيب الصهاينة يقلبون بها الحقائق، وما زالت جهودنا في هذا الميدان بدائية للغاية.. ولكنها بداية تبقى مهمة على خلفية اكتشاف متأخر جداً، ولكنه – مرة أخرى – أفضل على أي حال من استمرار الجهل.

واكتشفنا أيضاً – ويا للهول! – أن للحق والعدالة والحرية أنصارا في العالم من غير العرب والمسلمين، وأن الحقيقة التي كنا نعتقدها وترسخت لدينا عن عالم يقف ضدنا على قلب رجل واحد لم تكن سوى أسطورة كاذبة لا أساس لها، وأننا ضحية لجهلنا بالعالم بأكثر مما نحن ضحية لعداوته لنا، والجاهل في الحقيقة أكبر عدو لنفسه.

رأينا من أقطار عدة رجالا ونساء يتظاهرون من أجل فلسطين وهم مستعدون لما هو أكثر، مثل أن يكونوا دروعا بشرية بأجسامهم في مواجهة الظلم والوحشية الصهيونية، وفي الوقت الذي عجزنا فيه نحن عن اختراق الحصار المضروب حول جنين أو حول عرفات نجحوا هم بهوياتهم الزرقاء والحمراء وبشرتهم البيضاء وعيونهم الملونة من النفاذ هنا وهناك، وخاف الصهاينة من وجودهم؛ لأنهم شهود محايدون وهدف صعب لرصاصاتهم وطائراتهم، وضاقوا ذرعا بهم. ومع ذلك كانوا مضطرين للتعامل معهم بحرص وحذر، وما زالوا يتمنون أن ينسحبوا لتعود التقسيمة التي يريدون للعالم أن يظل على اعتقادها: إسرائيل البريئة المسالمة تدافع عن نفسها وسط محيط واسع من ألف مليون مسلم يهتفون من موريتانيا إلى جاكرتا: الويل لليهود والموت لإسرائيل!!

ومثل هؤلاء الذين يدافعون عنا آلاف.. بل ربما ملايين من الأنصار المحتملين.. لكنهم لن يكونوا كذلك ونحن لا نخاطبهم بل لا

نراهم، ومصرون على أن العالم كله ضدنا، وأن معركتنا هي مع هذا العالم الذي ضدنا، ويتطوع البعض بخبل شديد مختلط بحسن نية مؤكدة ليساعد في تصوير الأمر على النحو الذي يريده الصهاينة تماما، والجاهل مرة أخرى هو أشد أعداء نفسه.

هذه الاكتشافات العبقرية المتأخرة تحتاج إلى استثمار فوري واسع فيما يمكن تسميته "الدبلوماسية الشعبية"، وكذلك في مجال "حوار الأديان"، وهي ببساطة أن يتحول كل واحد فينا إلى جهاز إعلام ودعاية وتوعية ومواجهة في بحر الأكاذيب التي تروجها إسرائيل هناك في كل العالم، وليس هنا بين المعارف والأصدقاء وكل محفل أو مؤتمر أو مؤسسة أو مناسبة.

هي فرصة لفضح هؤلاء الفجار في البهتان الذي بدأ يتزعزع، ولكنه يحتاج إلى جهد أكبر ونفَس أطول لنخلعه من أساسه وننشر صفحة الحقيقة بدلا منه.

ونقطة البدء في برنامج الدبلوماسية الشعبية أن نكف عن الخبل والعمى في فهم العالم وإدراكه والتعامل معه، وأن تكون لدينا المعلومة الصحيحة عن تاريخ القضية وواقعها والأسلوب السليم المناسب لمخاطبة كل إنسان باللسان الذي يفهمه.

- بناء الجيل الجديد: كل هذا الجهل والعجز وغياب القدرة على الفعل، ومهارات التحريك والتنفيذ ناتج عن غياب الإعداد السليم الذي كان من المفروض أن نحصل عليه في الأسرة وفي المدرسة وفي الإعلام وغير ذلك، وكما ينبغي أن نسجل كلنا في فصول "محو أمية الكبار" لنتجاوز هذا القصور؛ فإن علينا أن نسلك نهجا آخر مع الأجيال التي تنشأ اليوم أطفالا، وقد سرت بينهم روح طيبة رائعة

تحتاج هي الأخرى إلى استثمار ينميها بدلا من أن يقتصر الأمر على شتيمة اليهود بألفاظ بذيئة؛ لأن هذه الشتيمة في الحقيقة ليست سوى "قلة أدب" و"تنفيس غضب"، ونحن نريد لصغارنا غير ذلك.

نريد لهم أن يعرفوا أين تقع فلسطين، وتاريخ شعبها وقضيتها، وأن يعرفوا أن صراعنا مع اليهود إنما هو مواجهة حضارية شاملة، والانتصار فيها لن يكون إلا إذا اجتهدنا في تحصيل العلم والدرس، والمنافسة في كل الميادين؛ فهي معركة بالعقل والتخطيط والبحث والعلم المدني والعسكري قبل أن تكون معركة بالصاروخ والبندقية؛ فهي معركة إعداد الإنسان الذي يحمل السلاح، والمجتمع الذي يساند هذه المعركة ويستمر فيها.

ونحتاج إلى أن نتعلم نحن الكبار هذه المعاني لنعلمها لأولادنا بالتبسيط اللازم والمتابعة المستمرة.

نريد لصغارنا أن يتعلموا حياة الجد؛ فقد قتلنا الترف العقلي والفراغ الذهني. واللهو النافع ليس نقيضا للجدية بل هو من أهم روافدها.

وهذه المعادلة المتوازنة تحتاج منا إلى إبداع يومي في أن نتعلم كيف نلتمس طريقا في الحياة يسمو بأرواحنا إيمانا وربانية وأدبا وفنا راقيا لنصبح إلى حياة الإنسان أقرب من حياة الأنعام التي نعيشها حاليا.

وينبغي أن نتعلم ونعلم صغارنا التمييز - مثلا - بين إيمان الصوامع والكهوف؛ الإيمان الذي يدفع صاحبه فقط إلى الخلاص الفردي الأخروي، والإيمان الإيجابي الذي لا يرى خلاصا في الآخرة إلا عبر الجهاد في الدنيا وعمارتها.. كيف نميز ونعلم الفارق بين

الفن الراقي المحترم الذي شاهدنا بعضه مؤخرا وبين منتجات الغثاء التي تصبها في الآذان والبيوت شاشات التلفاز، وغيرها من الشاشات والسماعات.

نريد أن نتعلم وإياهم الحياة الحرة الكريمة المتحضرة الراقية السليمة التي تليق بالمسلم وتليق بكل إنسان سوي.

ويستدعي هذا وذاك أن نتعلم نحن هذه المعاني الغائبة عن أغلبنا عمليا، وعن بعضنا تغيب حتّى نظريا، وعلينا أن نحدد جسور التواصل أو نبنيها بيننا وبينهم؛ فنحن لا نسمعهم، وهم لا يسمعون منا سوى الأوامر والانتقادات.

أختي، أطلت عليك والحديث يطول أكثر لو تركت للقلم العنان. حسبي أنني أردت أن أقول لك: إن الروح الجميلة التي رأيناها وعشناها يمكن أن تستمر وتتطور، ولكنها لن تفعل ذلك تلقائيا أو بتسخين الإعلام وتبريده للقضية كما حدث، إنما يمكن أن نرى منها عجبا إذا فهمناها بأسرارها، واجتهدنا في حمايتها من أخطاء سلوكنا، وسوء تقديرنا وإدراكنا للصديق قبل العدو. وهي مسألة ليست مستحيلة لكنها أيضاً ليست سهلة ببساطة أحاديث المجالس، وبراءة المشاعر، ولغو الكلمات المرسلة التي هي معالم حياتنا اليومية.

فهل لدينا النية الصادقة والعزم والقدرة التي هي معالم حياتنا اليومية؟ وهل لدينا النية الصادقة والعزم والقدرة على تغيير هذا النمط وطي هذه الصفحة ونشر غيرها؟ هذا هو السؤال.. وشكراً على رسالتك.

دعوة المستشارة "الأم"..

حي على الجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم، جزاكم الله خيرا على موقعكم الخير، مشكلتي أنني أقرأ في كتاب الله ﴿إلا تنفروا يعذبكم﴾ [التوبة: 39]، و﴿كتب عليكم القتال﴾ [البقرة: 216]، و﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم﴾ [الصف: 10]، و﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله﴾ [النساء: 75] وغيرها.. بلادنا محتلة وعدونا لا يرحم، هذا هو قدرنا، والحمد لله على كل حال.

هذه المقدمة أذكرها لأضعكم في صورة مشكلتي فأنا قد حسمت أمري ولله الحمد وهفت نفسي للقاء الله وتلبية ندائه، وأريد أن أتاجر مع الله تجارة لن تبور إن شاء الله حتى ألقى الأحبة في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فله الحمد والشكر على هذه النعمة، ولا أريد أن أترك هذا الطريق.

المشكلة الكبرى والدتي.. إنسانة حساسة وعاطفية ومرهفة. حاولت أن أخفي عنها أيا من نشاطاتي مع المجاهدين، ولكن هيهات؛ فهي أخبر الناس بأبنائها، لم أصرح لها بشيء سوى أني لمحت لها تلميحا بأني أرغب أن يكون لي نشاط كالذي في بالها، وهنا وقعت الكارثة.. أحسست أني جرحتها جرحا غائرا في قلبها الحنون المحب.. غضبت جداً (وأنا لا أقوى على كسر خاطرها)، وعنفتني بشدة، وحاولت إقناعي بعدم وجوب الجهاد اليوم لغياب الدولة

الإسلامية، وأن الذي يحصل إنما هو تهور... إلخ. وبعد نقاش طويل وهادئ توصلنا إلى أنه سنة (نسيت أن أذكر أن والدتي متدينة جدا).

بعدها لاحظت التغير عليها، باتت مهمومة دائما، وصارت تكثر من البكاء وقراءة القرآن، ثم تعود وتقول لي: لا أقدر، لا أقدر، أنا ربيتك، وسهرت عليك، وانتظرت تخرجك في الجامعة، وأريد أن أفرح بك كباقي الأمهات.. نعم سنة، ولكني لا أطيقها.

أنا حاليا أحاول تجنب الحديث معها في هذا الموضوع (لأني لا أعرف ماذا سأقول لها ولا قدرة لي على إيلامها)، ولكني ألاحظ أنها بدأت تنفر مني، أو تظهر لي عدم رضاها عني، وأحياناً تريد أن ترتب لي سفرا للخارج أو زواجا أو أي شيء.

باختصار، يبدو أن مجرد أن تخطر على بالها فكرة الاعتقال أو الاستشهاد فإنها تتمزق. المشكلة الكبرى (التي لا أنوي أن أخبرها بها أصلا) أن ما أخطط له هو الاستشهاد بإذن الله (هذه أمنيتي ورغبتي). لكن أخاف على أمي الحبيبة.. فأنا لم أستطع إقناعها بمباركة قيامي بعمل جهادي وحسب، فكيف إذا أقنعها باستشهادي؟!

لا أخفيكم أن نفسيتي تعبت وبدأت أشعر بالإحباط والألم؛ لأني أحس أنها غاضبة مني، فكيف أستطيع أن أخفف على أمي وفي نفس الوقت أرضي ربي وألقاه وهو راض عني؟

لا بد أنكم آباء وأمهات وتعرفون كيف يفكر الآباء نحو أبنائهم، خاصة إذا كانت الأم حساسة، بل مرهفة الإحساس، وتخاف على أبنائها.

أرجوكم ساعدوني فأنا قد فشلت في إقناعها أو كسب رضاها أو حتى تخفيف ألمها.

عامر – فلسطين

الحل

المستشار: د. سحر طلعت

الأخ الكريم، عندما تلقيت رسالتك جلست أفكر هل أكتب لك من منطلق أنني أم تحب أبناءها ولا تطيق فراقهم أم أكتب لك من منطلق المسلمة العربية التي تذوب في حب أرض الإسراء والتي لا تطيق أن تظل مدنسة بالصهاينة والتي تحلم بيوم تصلي فيه في المسجد الأقصى أو تختلط دماؤها بهذا التراب الطاهر؟!

ولكنني عندما أمعنت النظر لم أجد تعارضا بين النظرتين، فهل الأفضل لي أن أنعم بصحبة أبنائي في الدنيا مهما طال مكوثنا بها أم أن الأفضل أن أنعم بصحبتهم في جنات الخلد في مقعد صدق عند مليك مقتدر؟!

وأيهما أفضل لي: أن أطمئن على أولادي وهم ينعمون بحياتهم في صحبة الأزواج والأبناء أم أطمئن إلى مقامهم في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا؟!

هل الأفضل لأولادي أن يموتوا، ثم يواريهم الثرى اليوم أو غدا أو بعد غد - وكم من غاد إلى عمله يعود محمولا على الأعناق وهو في ريعان الشباب، وكم من نائم لا يعود إلى دنيانا بغير مرض أو سقم - أم الأفضل لهم أن يكونوا أحياء عند ربهم يرزقون، وأن يشفعوا لي ولسبعين من أهلينا يوم نلقى الله سبحانه؟!

أعلم أن قسوة الفراق شديدة الإيلام، حتى إنني عندما رأيت إحدى أخواتنا وهي تودع ابنها قبيل استشهاده، وتسير معه خطوات على الطريق، وتقبله وتمسك يديه بكيت حزنا على نفسي؛ لأنني أضعف من أتحمل مثل هذا الموقف، وأدركت ساعتها أننا - ونحن

بعيدون ويحال بيننا وبين أن نجود بالنفس والولد - لا بد أن نعتاد البذل، وأن نتعلم كيف نجود بكل غال ونفيس، ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: 92] حتى نستطيع تقديم ما هو أغلى (فلذات الأكباد والنفس).

أخي في الله، أنتم رمز عزنا ومصدر فخرنا، أنتم المرابطون في سبيل الله إلى يوم القيامة، لن يضركم بإذن الله تعالى تخاذلنا عن نصرتكم. ويعلم الله كم نتمنى أن نكون معكم وأن نشارككم لحظات الألم وأن نشارككم في صنع النصر.

ورغم تخاذلنا - المفروض علينا - فلست أتفق مع والدتك أن جهاد الصهاينة في هذا الوقت سنة، ولكنه فرض عين على كل مسلم ومسلمة في كل بقاع المعمورة، كل حسبما يتيسر له من وسائل الجهاد، فهناك الجهاد بالسلاح، وهناك الجهاد بالكلمة المكتوبة والمقروءة، وهناك الجهاد بالعلم أو حتى بالفن.

ولنتعلم أخي الكريم من أعدائنا الذين ينصرون باطلهم في كل لحظة وبكل وسيلة ممكنة، فالجهاد أخي الكريم هو استغلال كل الطاقات الممكنة لدعم ونصرة قضيتنا وحقنا العادل والمشروع.

وحتى تطمئن أنت ووالدتك أن غياب الدولة الإسلامية لن يفت في عضدكم، وأن النصر قادم لا محالة.. سوف أذكر لك طرفا مما كتبه الدكتور عبد الوهاب المسيري - أنعم الله عليه بالعافية وبارك الله في عمره - في كتابه الأخير "من الانتفاضة إلى حرب التحرير" عن انتفاضتكم المباركة والتي يفضل أن يسميها "حرب التحرير".

لقد أوضح المسيري أن الإحصائيات تشير إلى أن الخسائر البشرية على الجانب الإسرائيلي نتيجة الانتفاضة أكثر من خسائرهم

في الحروب السابقة مجتمعة ضد الجيوش العربية النظامية، هذا إلى جانب الانهيار الاقتصادي الذي لولا الدعم الأمريكي لكان الحال غير الحال، والحالة النفسية السيئة جداً للمستوطنين والصهاينة؛ بسبب عدم الإحساس بالأمان، وفقد القدرة على الحياة الطبيعية.

إنكم إخوتي وأخواتي نجحتم بفضل الله سبحانه ثم بجهادكم في تحويل الحلم الوردي للمستوطنين إلى كابوس يقض مضجعهم ليل نهار، لقد نجحتم في أن تتحولوا من الإنسان الغائب أو الهامشي إلى الإنسان الطبيعي. وتاريخ النضال في جنوب أفريقيا وفي غيرها يثبت أن هذا التحول للسكان الأصليين وأصحاب الأرض يقابل في البداية بعنف شديد من المستعمرين؛ فإذا استمر هذا التحول وتصاعد ووجدوا من أصحاب الحق إصرارا على مواصلة النضال مهما كانت التضحيات، هذا الإصرار يدفع المستعمرين للرضوخ لطلبات أصحاب الأرض.

الأخ الكريم، طريق النضال والتحرير درب طويل وشاق ويحتاج لتضحيات جسام، فلا يفت في عضدكم حجم التضحيات، واستمروا فالنصر قادم لا محالة، طالما سرتم في طريقه، ولكل إنسان أن يختار الطريقة التي تناسبه ليجاهد بها، المهم أن نعيش لفلسطين وأن نموت لها، قد تختار طريق الاستشهاد والموت، ولكن الأصعب أن تعيش للقضية. وقد نتعلم من سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه عندما كان يردد في دعائه: "اللهم ارزقني شهادة في سبيلك بعد عمر طويل في سبيلك". فالموت في سبيل ما نؤمن به قد يكون أسهل من العيش لنفس القضية، والموت ليس هدفا في حد ذاته، ولكن الهدف الجهاد للفوز بإحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة.

وعموما أنتم أعلم بما يناسب ظروف مجتمعكم في ظل التضييق الأمني الذي يفرضه عليكم الصهاينة، ولكن لا تتردد في أن تخفي عن والدتك كل نشاطاتك - ما دامت بهذه الحساسية - وحاول أن تطمئنها عليك، والله سبحانه خير معين لها على الصبر إن شاءت إرادته أن يمن عليك بالشهادة أو الاعتقال أو غير ذلك من صنوف الابتلاء، نسأل الله لنا ولك العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

أخي الكريم، لا أستطيع أن أصف لك مقدار سعادتي بتواصلي معك، وأتمنى أن نتواصل دائما، فأنتم تحملون لنا عبق النصر، وبكم نستطيع أن نرفع رؤوسنا، وأدعو الله عز وجل أن نلتقي في القريب العاجل بعد تحرير كل شبر من أرض الإسراء.

دعوة المستشارة الأم..
شهداء واستشهاديون (مشاركة)

مشاركة من الدكتورة ليلى أحمد مستشارة فريق الحلول على المشكلة السابقة المنشورة تحت عنوان: "دعوة المستشارة الأم.. حي على الجهاد".

الحل

المستشار: د. ليلى أحمد

لعلي تناولت موضوع فلسطين في تعليق سابق تم نشره هنا تحت عنوان: "تحبها وتكرهنا.. فلسطين.. آمال وآلام" (مشاركة)، وذلك من ناحية إيمانية تغلب عليها العاطفة؛ حيث كنت عند كتابتها متأثرة جداً بمشاهد الجرحى والمعاقين من الشباب الفلسطيني رماة الحجارة، ولكنني استيفاء للموضوع ووفاء لدين إخوتنا وأخواتنا في فلسطين، حيث إن دم شهدائهم أمانة في أعناقنا.. أرى أن أتناول الأمر من وجهة نظر موضوعية أكثر، ولا بد أن الله عز وجل سيسألنا جميعاً عما قدمنا لأهل فلسطين في محنتهم، ولعل كلماتي هذه تنير بعضا من الطريق المظلم أمامهم.

إن محنة أهل فلسطين مضاعفة، وعلى كل مخلص أن يعترف بذلك، وكفى بالكلمات التي كتبتها الأخت الفلسطينية في متابعتها: "لم

تعد تكرهنا فلسطين.. حديث الساعة"، دليلا على ضرورة ووجوب الصراحة والشجاعة والمواجهة الحرة، فقد ذكرت عبارتين لا بد من لفت النظر إليهما للبحث عن أسبابهما وتوقي نتائجهما، وهما:

الأولى: بعد أن أذاقنا اليهود وأعوانهم من أبناء جلدتنا الذل...

والثانية: نحن ملاحقون من أبناء شعبنا تارة ومن اليهود تارة...

ولا يهمني من قصدتُ بأبناء شعبنا وأبناء جلدتنا، ولست أكتب لأفرق وحدة الصف الفلسطيني، ولكن عليّ أن أذكّر كل مخلص من أهل فلسطين بصعوبة المهمة في تحريرها من أيدي الصهاينة الغاصبين ما دام الحال هكذا؛ لأن من أهم عوامل النصر اتحاد الكلمة وتوافق الرؤى، وهنا تتوجب الحكمة البالغة في التعامل مع قضية متفرعة ومتشعبة وفيها من الفتنة ما فيها.

وأول ما تقتضيه الحكمة هو أن تكف الحركات المقاومة عن الإعلان إثر كل عملية استشهادية عن منفذها وبلده وأهله، إذ إنها بذلك تعطي إسرائيل شرعية نسف منزله وتشريد أهله واعتقال أقربائه، ولعلها تكف عن نسبتها لها من الأساس فتُفعل بصمت، وهذه الحكمة واضحة في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: "استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان" [رواه الطبراني]، وخاصة أن على الاستشهادي تحري إخلاص النية، كي يوفقه الله تعالى في مهمته التي لا يعادلها في الصعوبة – وكذلك في الأجر – أي عمل آخر.

وأتفق مع أحد القادة ولو لم يكن من الإسلاميين، لكنني لا أظنه إلا يريد الخير لأبناء شعبه – والله أعلم – إذ يقول: "إن المعركة طويلة، ولا بد أن نحذر من الغدر الإسرائيلي ومحاولات الاغتيال للكوادر القيادية الميدانية بشكل خاص، وعلينا أن نتصرف بشكل

مكتوم دون الإفصاح عن مآربنا وأهدافنا. يجب علينا أن نعمل بهدوء وأن نبتعد عن المفاخرة والتبجح، وكما قال أحد قادة حرب العصابات: احمل عصا غليظة وتحدث بهدوء".

والأمر الثاني الذي يجب على هذه الحركات أن تنتبه له هو الاهتمام بالجانب الدعوي والتربوي كما تهتم بالجانب الجهادي والحركي؛ إذ لا يكفي أن نعرف كيف نموت، بل لا بد أن نتعلم كيف نحيا، وكفى بما حصل في أفغانستان بعد انتصارهم على الروس عبرة؛ إذ توحدوا من أجل طرد المستعمر، ولكنهم ما إن انتهوا منه حتى تفشت الفرقة في صفوفهم، ودبت الخلافات فيما بينهم، وأحلوا قومهم دار البوار.

أما الابن الذي يريد الاستشهاد ووالدته تمنعه فأقول له: لا يستطيع أحد أن ينكر أن الجهاد على أرض فلسطين فرض عين، ولكن سؤالك بالتحديد كان عن العمليات الاستشهادية، فهل هذه العمليات فرض عين؟ إذا كان الأمر كذلك فيجب على كل أهل فلسطين أن يقوموا بها، وهذا ما لم يقل به أحد من العلماء داخل فلسطين أو خارجها، ولكن بما أنها أصبحت الطريقة الوحيدة للجهاد؛ لذلك فلا بد منها، خاصة أن لها أكبر الأثر في زعزعة الأمن الإسرائيلي، وبث الرعب في نفوس الصهاينة.

ولا يخفى على أحد أن هذه العمليات أدت إلى شل كثير من مناحي الحياة في إسرائيل، وأخلت بالتوازن الاقتصادي فيها، وأوقفت الهجرة إلى أرض الميعاد – كما يحلو لليهود تسميتها – بل شجعت الهجرة منها، لكن مع هذا كله يجب ألا يقوم بهذه العمليات إلا القادر عليها جسديا ونفسيا واجتماعيا؛ لأنها تتطلب جرأة ورباطة جأش

وهدوء أعصاب، وإلا كانت النتيجة عكسية كما حصل في بعض الحالات. ولا تزال صورة محزنة وأليمة تجثم في مخيلتي وهي صورة ذلك الشاب الذي فجر نفسه قرب العفولة الواقعة إلى الغرب من جنين ولم يقتل إلا نفسه.

والسؤال في حالتك يا بني العزيز: كيف ستقدم على العملية الاستشهادية بروح جريئة فتحمل روحك على كفك، وتفجر نفسك وفي داخلك يعتلج الأسى لما قد يصيب والدتك بعدك؟ هل ستستطيع القيام بهذه المهمة كالشاب الذي تدفعه أمه دفعا ليقدم روحه رخيصة في سبيل الله؟ هل من يتخيل كيف ستزهو أمه باستشهاده وتوزع الحلوى فرحا بأن ابنها عريس في الجنة كمن يتخيل أمه مصعوقة بالخبر؟!

تذكرت يا بني الخنساء في جاهليتها وكيف بكت أخاها صخرا عندما قُتل حتى عميت عيناها، أما بعد أن هداها الله للإيمان وجاءها نبأ استشهاد أولادها الأربعة في معركة القادسية، تلقت الخبر بهدوء المؤمنة الواثقة بربها فقالت: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم، وأرجو أن يجمعني الله وإياهم في مستقر رحمته".. هكذا الإيمان يغير الإنسان من حال إلى حال، فإذا استطعت أن تبني الإيمان في نفس والدتك فافعل؛ لأنها بالإيمان فقط ستقبل بأمر الله عندما تعلم معنى كلامه سبحانه: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [النساء: 78]، وتدرك أنها بعد هذا الفراق القصير سيكون لقاء أبديا، عندها يمكنك أن تقدم غير هياب ولا وجل، أما وأمك غير راضية فلا أنصحك أبدا؛ لأنني أخشى ألا تنجح في مهمتك إذا تذكرت والدتك وضعفت وارتبكت، فقد يكشف أمرك ولا تكون عندها من الناجين.

ويمكنك مراجعة سؤال مشابه لسؤالك في صفحة "استشارات الدعوية" تحت عنوان:

- يا طالب الشهادة.. أد أدوارا لا دورا واحدا

لا تظن يا بني أني أثبط همتك أو أقلل من عزمك، بل علي أن أخبرك أن رؤيتي وإن اختلفت عن رؤية أختي الفاضلة الدكتورة سحر طلعت، لكنني مع ذلك لا أنصحك أن تأخذ بأي منهما إلا بعد أن تستشير أحدا من العلماء العاملين المخلصين في بلدك؛ لأنهم أقدر منا على إعطائك النصيحة المخلصة والصادقة، والمثل العربي يقول: "ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة"، وما كان لنا نحن القاعدين أن ننصح أمثالكم من المجاهدين في أمر عظيم كهذا الأمر، والله سبحانه يقول: ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما﴾ [النساء: 95].

أخيراً، أذكّر أهل فلسطين، وكل إنسان مسلم مخلص أن النصر لا يعطيه الله تعالى إلا لمن اتقاه وأناب إليه، فإذا لم يلزم المحاربون حدود الله سبحانه فيما أمر ونهى وكلهم الله إلى أنفسهم، وأمضى فيهم سنته، القوي يغلب الضعيف، والقادر يهزم العاجز، والأقوى سلاحا ينتصر على ذي السلاح الأضعف، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد: 7].

وأفضل ما أذكر به هنا كختام لهذه المشاركة فقرة مما ورد في كتاب عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص (رضي الله عنهما) عندما أرسله إلى فارس، وهو يعد ذخرا من ذخائر الفكر المسلم المحارب: "آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛

لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، وإن لا نُنصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، فلا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سُلط عليهم شر منهم، كما سلط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس: ﴿فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ [الإسراء: 5]".

ويضيف د. أحمد عبد الله:

إخواني وأخواتي، أخي السائل الكريم، لعلكم تلاحظون الحيرة التي تستبد بنا ونحن نعالج مسألة معقدة ومركبة كهذه، ولا أود الخوض فيما تفضلت به د. سحر طلعت من ملاحظات، أو ما أفاد به أخي كمال المصري من تعقيب ومشاركة في الموضوع، أو ما أضافته هنا د. ليلى أحمد.

والمسألة المتعلقة بالعمليات الاستشهادية تحتاج إلى المزيد من تعميق الدراسة النفسية والموازنة السياسية، وعلى ذلك وحده ينبغي أن يقوم النظر الشرعي السليم، فنحن أمام ظاهرة معقدة ومتعددة الوجوه والزوايا، ومن الظلم لأنفسنا ولأهلنا في فلسطين أن نتعجل أو نستسهل تحديد موقف مثل من يفعلون ذلك، سواء بالتحبيذ أو إصدار بيانات الاستنكار.

أما ما يتعلق بالحالة الفردية الخاصة بالأخ السائل فما أقترحه هو أن يعمل الأخ على عدة محاور:

الأول: أن يساعد أمه على أن تتفهم الواقع الفلسطيني الحالي، فالأمر كما نفهم ولعله الصواب أن الموت أقرب إلى كل فلسطيني وفلسطينية الآن من أي شيء آخر، والاستعداد النفسي له بالنسبة لأي

قريب أو حبيب يساعد على التماسك أسرع إذا وقع لا قدر الله، وأمك يا أخي السائل تحتاج إلى هذا التفهيم، ليس بوصفه مقدمة لقيامك بعملية استشهادية، بل لأنك أو غيرك ممن تحب هي معرضون للموت في أية لحظة. وبالمناسبة لم أقرأ في رسالتك الأصلية أية معلومات عن الوضع الاجتماعي لعائلتك من حيث عدد الأفراد وبخاصة عدد الإخوة والأخوات، والمستوى الاقتصادي، ومصادر الدخل والإنفاق.

وهذا ينقلني إلى المحور الثاني: وأحب فيه أن أقول لك إن إعالة والدتك ومن تلزمك نفقتهم أو نفقتهن، أو المشاركة في هذه الإعالة بحسب موقعك أو مؤهلاتك، أو التأهل للقيام بهذا الواجب والفرض.. كل هذه النواحي جديرة بالنظر والاعتبار، وأحسب أن تدبير هذه المسائل مما يلزم كل من يقدم على القيام بمثل تلك الاختيارات المسبقة للاستشهاد المدبر، وأخشى يوما أن تثور فيه قضية بين أهلنا في فلسطين عن فارق بين استشهاديين تدبروا أمور إعالة أهلهم من بعدهم، وبين آخرين لم يتدبروا هذه الأمور، والشهداء عند ربهم جميعاً أحياء يرزقون، ولكنْ للأحياء الآخرين أيضاً حقوق ينبغي تأديتها أو ترتيبها، فما هو تخطيطك في هذا الصدد؟!

المحور الثالث: وهو ما يتعلق بمؤهلاتك الشخصية، ومواهبك، ومهاراتك العلمية والعملية، فمن الخلل في التفكير والتخطيط أن ندفع بكفاءة علمية أو موهبة بحثية أو قيادية لتصبح مجرد قنبلة تقتل بضعة أفراد، بينما يمكن أن تفيد أكثر في موقع آخر، فهل كان "يحيى عياش" أو "صلاح شحادة" أو غيرهما جبناء حين كانوا يراوغون، ويستخفون بين الجموع؟!

وهل كان أبو بكر الصديق أو الفاروق عمر (رضي الله عنهما) متخلفين عن طلب الشهادة، وأحدهما يأخذ بلجام فرس الآخر ويقول له: "عد يرحمك الله، ولا تفجعنا بنفسك".. والمسلمون خارجون إلى الجهاد؟!

والمقصد أن لكل مكانه في الصف، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه؛ ليضعها في مكانها، والمرء حيث يضع نفسه، فهل ترى في نفسك كفاءة أو مهارة أو موهبة تضعك في مكان تفيد به أهلك وأمتك أكثر من هذا المكان الذي تحدثك به نفسك؟ أخشى أن أقول إن الهوى هنا يكون أخفى، وأصعب في كشفه ومقاومته، والاختيار الأصوب مطلوب قطعا.

وأخيراً أوصيك بعدم التعجل، وبفحص نيتك، وببر أمك، ومناقشة نفسك، وتدبر أمرك، حتى تفوز بدرجتها سواء صعدت روحك مع الشهداء الاستشهاديين الذين يحيون أمتهم بموتهم، أو كنت مع الشهداء على العالمين بحياتهم، وهو الواجب على كل مسلم، وتأمل نفس اللفظ الذي أطلقه القرآن الكريم أصلا على الله سبحانه وتعالى، وعلى الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وعلى من يعيشون شهداء على الناس بعملهم وبحياتهم، فانسحب على من كانوا شهداء بموتهم، وكن على صلة دائمة بنا.

التعريف بالمستشارين

د. أحمد محمد عبد الله

المؤهلات العلمية:

- ماجستير الطب النفسي – جامعة الزقازيق – مصر.
- الإعداد لدرجة الدكتوراة – جامعة الزقازيق – مصر.

الوظيفة الحالية:

- مدير صفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع islamonline.net منذ بدايتها في مارس 2000.
- محاضر الطب النفسي بالجامعات المصرية.

الخبرات العملية:

- الرئيس الأسبق لاتحاد طلاب جامعة القاهرة 1984م – 1985م.
- أدار وشارك في مجموعة من الدورات الموجهة للشباب منذ عام 1988م وحتى الآن، بالتعاون مع هيئات محلية وإقليمية ودولية منها: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، والمجلس الدولي للأديان والسلام wcrp، وغيرهما.
- ناشط في مجال حقوق الإنسان، وفعاليات المجتمع المدني، وحوارات الأديان والحضارات منذ بدايات التسعينيات.

د. سحر محمد طلعت

المؤهلات العلمية:

- بكالوريوس الطب والجراحة من كلية طب قصر العيني عام 1988.
- ماجستير الباثولوجي (طب القصر العيني - نوفمبر 1993).
- دكتوراة الباثولوجي (طب القصر العيني - نوفمبر 1998).

الوظيفة الحالية:

- مدرس الباثولوجي بكلية طب القصر العيني.

الخبرات العلمية:

- أحد مستشاري صفحة "مشاكل وحلول للشباب" على موقع Islamonline.net
- حضور وإعداد دورات في التدريب والتعامل مع مرحلة الشباب والمراهقة، وبرامج تنمية الشباب.
- المشاركة في العمل الأهلي في مجال الشباب والمجتمع من خلال بعض الجمعيات الأهلية
- الاشتراك في الدورة التدريبية عن "نفسية ما بعد الصدمة" بإشراف مشترك من جامعة ميسورى والاتحاد العالمي للصحة العقلية ومنظمة العالم الإسلامي للصحة العقلية.
- دورات تدريبية في إعداد المناهج وطرق التدريس ووسائل التقويم.

د. عمرو أبو خليل

المؤهلات العلمية:

- الزمالة المصرية للطب النفسي – مارس 2000.
- ماجستير الأمراض العصبية والنفسية – جامعة الإسكندرية – مصر – 1992.
- بكالوريوس الطب والجراحة – جامعة الإسكندرية – مصر – 1986.

الوظيفة الحالية:

- إخصائي الطب النفسي ورئيس قسم بمستشفى المعمورة للطب النفسي بالإسكندرية – مصر.
- مدير مركز الاستشارات النفسية والاجتماعية بالإسكندرية.

الخبرات العلمية:

- تنظيم عدد من الدورات في أماكن مختلفة، منها: نقابة الأطباء المصرية، نقابة التجاريين المصرية، نقابة العلميين المصرية، وعدد من المدارس المصرية.
- عضو الجمعية المصرية للطب النفسي والمشاركة في جميع مؤتمرات الجمعية.

د. فيروز عمر

المؤهلات العلمية:

- بكالوريوس الطب والجراحة 1993 - جامعة القاهرة
- إجازة معهد إعداد الدعاة 2000 - الجمعية الشرعية الإسلامية

الوظيفة الحالية:

- المحررة المسؤولة بصفحة "مشاكل وحلول للشباب" بموقع islamonline.net

الخبرات العملية:

- عضوة في جمعية تنمية المجتمع المحلي والقيام بالإشراف على الأنشطة الشبابية بالجمعية لمدة خمس سنوات.
- حضور وإعداد دورات في التدريب والتعامل مع مرحلة الشباب والمراهقة، وبرامج تنمية الشباب.
- المشاركة في ندوات العديد من الجمعيات الأهلية حول مشكلات الشباب والإعداد التربوي لهم.
- تأسيس مركز حواء تحت الثلاثين لتنمية الشباب والشابات.

د. ليلى أحمد

المؤهلات العلمية:

- بكالوريوس الطب البشري جامعة دمشق 1985.
- ماجستير النساء والتوليد جامعة دمشق 1991.

الخبرات العملية:

- معدة برامج تربوية ومناهج دينية لبعض المدارس الخاصة.
- الكتابة في بعض المجلات العربية والإسلامية خاصة في مجال المرأة.

الوظيفة الحالية:

رئيسة تحرير مركز الراية للتنمية الفكرية.

صدر لها:

- حوار الثقافات.. مدخل لقراءة الآخر ونقد الذات.
- أسئلة محرجة وأجوبة صريحة الجزء الأول.
- أسئلة محرجة وأجوبة صريحة الجزء الثاني.